



جامعة البليدة2 University of Blida2

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية.

قسم: العلوم الإنسانية.

الميدان: العلوم الإنسانية

الشعبة: تاريخ.

التخصص: تاريخ.

محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر المعاصر

الطور: جذع مشترك علوم إنسانية

السنة: الأولى.

السداسي: الأول.

من إعداد الأستاذ: محفوظ عاشور

الرتبة: أستاذ محاضر أ

السنة الجامعية 2022-2023

الفهرس

2	فهرس
6	قدمة:
6	قرر المقياس:
7	لمحاضرة الأولى: الوضع العام في الجزائر قبيل الاحتلال
7	قدمة
8	1-التنظيم الاداري:
9	2-النظام السياسي لايالة الجزائر
12	-3الأوضاع العامة في الجزائر في أواخر عهد الدايات (قبل الغز والفرنسي)
Erreur ! Sig	gnet non défini
27	ب.الأوضاع الاقتصادية:
28	ج.الأوضاع الاجتماعية
30	لمحاضرة الثانية: الغزو الفرنسي للجزائر 1830
30	عناصر المحاضرة
30	.1العلاقات الفرنسية الجزائرية الى غاية الحصار
	أ.قبل الثورة الفرنسية اي قبل 1789م: 31
	ب. بعد الثورة الفرنسية: 31
	.1حادثة المروحة 29 افريل 1927م33
34	2.الأسباب الحقيقية للاحتلال
34	أ.أسباب سياسية:
35	ب.أسباب دينية:
35	ج.أسباب اقتصادية:
35	د.أسباب اجتماعية:
36	ه.أسباب عسكرية:
36	3.الحملة الفرنسية على الجزائر الناجحة في ظرف 21 يوما
38	أ.معركة سطأولي19 جوان 1830
39	ب.معركة سيدي خالف 24 جوان 1830م
39	ت.معركة برج الامبراطور (28 جوان)
	ث.اتفاقية الاستسلام المبرمة بين قائد الحملة (دي برمون) وحاكم ايالة الجزائر الداي حسين42
43	لمحاضرة الثالثة: ظهور الزعامات الوطنية ودولة الأمير عبد القادر

43	مقدمة:
43	1.ظهور الزعمات الوطنية:
47	2.دولة الامير عبد القادر:
52	المحاضرة الرابعة: مقاومة الامير عبد القادر 1833-1847م
	1.الوضع العام في المنطقة الوهرانية سنة 1832 م اي قبل المقاومة:
	.2بداية مقاومة الأمير عبد القادر:
	أ.كقائد في صفوف جيش والده :
	ب.بداية مقاومة الأمير عبد القادر كأمير وقائدا للجهاد:
	3.مراحل مقأومته:
	أ.مرحلة الانطلاق والقوة (1832–1837):
	ب.مرحلة تنظيم الدولة (1837–1839) (الهدوء المؤقت)
	ج.مرحلة الضعف (1839–1847) حرب الإبادة
	ح.المرحلة الثانية من 1844 الى 1847 (مرحلة الكر والفر للأمير عبد القادر)
	المحاضرة الخامسة: مقاومة أحمد باي في شرق الجزائر
	.1أوضاع قسنطينة قبل الغزو:
	2.الغز والفرنسي لمدينة قسنطينة واحتلالها سنة 1837م
	أ.الحملة الأولى على قسنطينة سنة 1836م:
	ب.الحملة الثانية أكتوبر 1837م:
	3.مواصلة أحمد باي المقاومة واستسلامه سنة 1848 م:
	المحاضرة السادسة: الثورات الشعبية الأخرى خلال القرن التاسع عشر
	مقدمة:
98	1.انتفاضة الزعاطشة اكتوبر 1849م
101	2.مقاومة المقراني والحداد
106	.3انتفاضة الأوراس سنة 1879
111 .	المحاضرة السابعة: سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر من 1870 الى 1900 م
111	1.السياسة الفرنسية في الجزائر من 1870 الى 1914
	2.النظام السياسي في الجزائر:
	المحاضرة الثامنة : أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين إلى غاية 1919 -سياسيا- اقتصاديا-اجتماعيا
	1.الأوضاع السياسية
120	2.الأوضاع الاقتصادية :

123	ت.الأوضاع الاجتماعية:
127	المحاضرة التاسعة: دراسات الأحزاب السياسية والجمعيات الوطنية (1939.1900)
128	1.ظهور نخبة من الشباب الجزائري(jeunes Algériens)
129	2.نشأة الجمعيات والنوادي:
	3.دور النوادي والجمعيات:130
130	4.مطالب النخبة (الشباب الجزائري)
132	المحاضرة العاشرة : حركة الإمير خالد
132	1.مولدهو نشأته:
136	2.مساره العسكري في الجيش الفرنسي:
	3.نشاط ونضال الأمير خالد:
140	أ.المرحلة الأولى: 1913– 1919
143	ب.المرحلة الثانية من 1919– 1924
	المحاضرة الحادية عشرة : نجم شمال إفريقيا
	1.العوامل التي جعلت من النجم ينتهج الإديولوجية الثورية الاستقلإلى ة:
149	أ.العوامل الخارجية :
	ب.العوامل الداخلية:
150	2.تأسيس نجم شمال افريقيا:
152	3.مطالب النجم بعد التأسيس:
154	4.مشاركة نجم شمال إفريقيا في مؤتمر بروكسل 1927م
158	5.مطالب النجم في مؤتمره الوطني المنعقد سنة 1933:
161	6.نجم شمال افريقيأوالجبهة الشعبية:
164	المحاضرة الثانية عشرة: حزب الشعب الجزائري
164	.1تأسيس الحزب:
166	2.برنامج حزب الشعب الجزائري
169	المحاضرة الثالثة عشرة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (تيار الاصلاح)
	1.فكرة تأسيس الحركة الإصلاحية (جمعية علماء المسلمين)169
172	.2تأسيس جمعية العلماء المسلمين
176	3.أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:
179	4. العمل السياسي لجمعية علماء المسلمين:
180	المحاضرة الرابعة عشرة: الحزب الشيوعي الجزائري

1. تأسيس الحزب:	180
2.نشاطه السياسي:	180
حاضرة الخامسة عشرة: مشروع بلوم فيوليت.	184
1.ظروف نشأة مشروع بلوم فيوليت:	184
.2المواقف المختلفة من المشروع:	187
حاضرة السادسة عشرة: المؤتمر الإسلامي	189
نمة:	195
لاحق	196
مة المصادر والمراجع	197

مقدمة:

يتناول المقياس تاريخ الجزائر المعاصر في الفترة الزمنية الممتدة من العشرية الاخيرة من الحكم العثماني في الجزائر اي أواخر حكم الدايات الى غاية الحرب العالمية الثانية اي من 1820 الى 1945م، حيث يتلقى الطالب افكار عامة عن اهم التطورات والتغيرات التي عرفتها الجزائر في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والعسكرية، كما يتعرف الطالب عن أوضاع الجزائر في ظل نظام الحكم العثماني ثم يدخل الى ظل نظام جديد وهو الاستعمار الفرنسي وبالتالي يعرف ويستنج الطالب المتغيرات التي عرفتها الجزائر من انتقالها من طبيعة حكم لآخر.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، الاحتلال، المقاومة، التيار الإصلاحي، الأحزاب السياسية.

مقرر المقياس:

- 1) الوضع العام في الجزائر قبيل الاحتلال.
 - 2) الحملة الفرنسية على الجزائر 1830.
- 3) ظهور الزعامات الوطنية ودولة الأمير عبد القادر.
 - 4) مقاومة الأمير عبد القادر.
 - 5) مقاومة أحمد باي.
- 6) الثورات الشعبية الأخرى خلال القرن التاسع عشر المقراني بوعمامة...
 - 7) سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر.
- 8) أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين إلى غاية 1919 -سياسيا- اقتصاديا- احتماعيا.
 - 9) حركة الأمير خالد.

- (10 دراسات الأحزاب السياسية والجمعيات الوطنية (1939.1926)
 - 11) نجم شمال إفريقيا.
 - 12) حزب الشعب.
 - 13) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
 - 14) الحزب الشيوعي الجزائري.
 - 15) مشروع بلوم فيوليت.
 - 16) المؤتمر الاسلامي

المحاضرة الأولى: الوضع العام في الجزائر قبيل الاحتلال.

عناصر المحاضرة:

- 1-التنظيم الاداري:
- 2- النظام السياسي في الجزائر خلال الحكم العثماني.
- 3- الأوضاع العامة في الجزائر في أواخر عهد الدايات (قبل الغز والفرنسي)
 - أ- الأوضاع السياسة
 - ب- الأوضاع الاجتماعية
 - ت- الأوضاع الاقتصادية

مقدمة:

يتفق المؤرخون ان ايالة الجزائر خلال مراحل الفترة الطويلة من الحكم العثماني في عهوده الأربعة عهد البايلربايات beylarbeys (1518م-1587م)، عهد الباشوات (1587-1659) أنها كانت سيدة البحر الابيض المتوسط وتتمتع بسمعة ومكانة محترمة لدى كل الدول، الا انها عرفت في الفترة الاخيرة من حكم الدايات تقهقر أو تراجعا وضعفا في كل المجالات ما جعلها فريسة وعرضة لتكالب وتنافس بين الدول الغربية خاصة بين بريطانيا وفرنسا، ونعرج في هذه المحاضرة على حقيقة

الأوضاع السياسية، الاقتصادية والاجتماعية ونتوقف ونحلل هذه الأوضاع بالتفصيل، ولكن من الاجدر ان نعطي فكرة عامة عن التنظيم الاداري والنظام السياسي للإيالة خلال فترة الحكم العثماني¹.

1-التنظيم الاداري:

كانت تسمى الجزائر بإيالة الجزائر (Régence d'Alger) أي ولاية تابعة للدولة العثمانية (الباب العالي، السلطان العثماني والسلطة المركزية والأستانة)، وهي مقسمة الى 4 مقاطعات كبرى وهي:

• دار السلطان: هي واحدة من بايلكات إيالة الجزائر وعاصمة الايالة حيث يقيم بها الداي، فهي مقاطعة إدارية تشمل مدينة الجزائر وضواحيها، تمتد من دلس شرقا إلى تتس غربا ويحدها من الجنوب بايلك التيطري وشمالا البحر الأبيض المتوسط، تضم مقر الحكم (الداي والديوان أي مجلس وزراء)، في القصبة.

بايلك الشرق: (مقاطعة، اقليم، عمالة) هي من أكبر البايلكات مساحة وسكانا، عاصمته قسنطينة، يمتد من الحدود التونسية شرقا إلى بلاد القبائل غربا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، وتميز بقلة النفوذ العثماني. وكان يحكم البايلك باي يعينه داي الجزائر، فهو ممثل الداي والمشرف على التسيير الإداري للبايلك، ويقوم بتسيير شؤون البايلك الباي ويساعدونه في أداء مهامه.

بايلك الغرب: كانت عاصمتها مازونة ثم معسكر وأخيرا وهران بعد تحريرها من الإسبان سنة 1792م، يمتد هذا البايلك من الحدود المغربية غربا إلى البايلك التيطري شرقا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا الى الصحراء الكبرى جنوبا.

 $^{^{2}}$ عياد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، 1519–1830، ط 2 ، ط 2 ، دار هومة، 2007، ص 2

بايلك التيطري: عاصمتها المدية التي تقع في وسط الإقليم، ويعتبر أصغر البايلكات وأكثرها ارتباطا بالسلطة المركزية، لهذا وضع بجانب الباي قاضي يتصل مباشرة بالجزائر. يمتد من سهل متيجة شمالا الى الصحراء الكبرى جنوبا وبين حدود بايلك الشرق وبايلك الغرب (التيطري تعنى الوسط)

2-النظام السياسي لإيالة الجزائر

دام الحكم العثماني للجزائر من عام 1518م إلى الاحتلال الفرنسي عام 1830م. حيث اجمع المؤرخون على تقسيم هذه الفترة الطويلة من الحكم إلى أربعة عهود وهي كالتالى:

• عهد البايلربايات beylarbeys(1518م-1587م):

بيكمربيك أو بأمير باي بمعنى أمير الأمراء ونائب السلطان والعامل باسم الباديشاه²، يعد العهد الأول من أزهى عهود الحكم العثماني في الجزائر، إذ تميز بكثرة الإعمال العمرانية والإدارة السليمة وتنظيم البحرية أيام حكم السلاطين العثمانيين الأقوياء، وكانت السلطة في البلاد بيد رياس البحر وفئة إلى ولداش³،

• عهد الباشوات (1587–1659):

 $^{^{201}}$ عياد صالح، المرجع السابق، ص 1

² باديشاه أو پاديشاه هو لقب ملكي من اللغة الفارسيّة مكوّن من كلمة بادي (السيّد) وشاه (الملك). هذه التسمية هي على الأرجح إستمرار للتسمية الملكية الأخمينية. لقب الباديشاه يعادل لقب الامبراطور لدى الرومان الشاه لدى الفرس ("ملك الملوك") أو المهراجا في الهند ("الملك العظيم").

³ يولداش: هم فرقة أنشاها خير الدين في بداية حكمه من العثمانيين المسلمين والنصارى الذين اعتنقوا الإسلام، وكانت العضوية والانخراط فيها تمكن صاحبها من الحصول عمى امتيازات عدد منها الإعفاء من الضرائب والعقوبات، وهم يتصفون بالشجاعة والإقدام، وكانوا يرقون بالرتب والمرتبات، أما الجزائريين أو الكرا غلة المولودين من آب تركي وأم جزائرية فلم يحصلوا عمى الرتب العسكرية، بل مسموح لهم الانتماء فقط، للمزيد من التفاصيل ينظر: مبارك بن محمد الهلالي الميي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، 4964، ج3، ص ص 129–124.

كان على رأس الحكم وال تعينه الأستانة لمدة 3 سنوات، يمنح له لقب الباشا، وتميز بازدهار القوة البحرية، وسمحت الحكومة العثمانية بدخول الامتيازات الأجنبية إلى الأراضي الجزائرية. في سنة 1587 تم إلغاء نظام البايلربايات، واستبدله بنظام الباشاوات وهذا التغيير عين من قبل السلطان العثماني "مراد الثاني"، حيث أصدر فارمان إلغاء نظام البايلربايات واستبداله بهذا النظام، فاخذ الباب العالي بإرسال الباشاوات لحكم مدينة الجزائر ابتداء من 1587م.

عهد الأغوات 1659- 1671م:

تميز بسيطرة إلى ولداش على الحكم، وكانوا ينتخبون من بينهم أغا لمدة شهرين ثم يستبدل بغيره، وتميز ذلك العهد بالمحاولات المستمرة لفصل الجزائر على الحكم العثماني 1 . انتقل النظام من الباشوات إلى الأغاوات، وكان هذا عام 1659م، وكان الأغاوات ينتخبون من الفرق الإنكشارية لمدة شهرين قمريين لهذا كانوا يعرفون باأغا المقريين.

كانت العلاقات بين الجزائر والسلطة المركزية في إسطنبول متشنجة بسبب الاضطرابات 1 .

التي حدثت في عهد الأغوات، إذ انعدم الاستقرار فيها كولاية عثمانية وفصل الولايات الثلاث (الجزائر وتونس و طرابلس الغرب) عن بعضها البعض، مما عرض أملاك الدولة العثمانية

لمخطر، واسهم في إقامة دول متصارعة بعد ان كانت جميعها تحكم من بكمربيك الجزائر، وزاد الأمر سوءاً بعد التمردات التي حصلت، إذ لم تكن تأتي من الجزائريين وحدهم، بل من قوات الانكشارية والبحرية، فضاق السلطان العثماني محمد ال اربع 1687 – 1648 من تلك الاضطرابات التي أدت إلى طرد ممثل السلطان عمي باشا من الجزائر، وأرسل الصدر الأعظم كوبرلو محمد 1661 – 1656إلى القائمين على الحكم في الجزائر رسالة غاضبة جاء فيها ": أخيرا لن نرسل إلى كم وإلى أ، بايعوا من تريدون، السلطان ليس بحاجة إلى عبوديتكم لدينا آلاف الممالك مثل الجزائر، فالجزائر ان كانت وان لم تكن شيء واحد أو من بعد ذلك ان اقتربتم من الممالك العثمانية فمم تكونوا ا رضين"، وهذه الرسالة جعلت الأغوات يغيرون الحكم من نظام تبعية إلى نظام مستقل عن الدولة العثمانية .ينظر .عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005، ج2، ص 344.

• عهد الدايات ·

تميزت مرحلة الدايات بعودة رياس البحر الذين تغلبوا على إلى ولداش وأقاموا حكما جديدا وهو نظام الدايات وذلك بانتخاب داي يحكم البلاد من قبل مجلس، وأستمر حكم الدايات لحين سقوط الجزائر بين أحضان الحكم الفرنسي، انتقل حكم الدايات نتيجة الأوضاع التي شهدها عهد الآغاوات من النزاعات الشخصية والمؤامرات والانقلابات ضد بعضهم البعض والاغتيال حتى أن كثيرا من ولاة هذا العهد عزلوا أو قتلوا أو ابعدوا بعد شهرين أو أقل من تعيينهم في مناصبهم، وأدت هذه الحالة إلى ظهور طبقة الرياس واختفاء نظام الأغاوات وظهور عهد الدايات 1671م، والذي دام طويلا واندمج فيه الجنود الانكشارية بطائفة الرياس واختفى الصراع بينهما. وتمكن بعض الدايات من الاستقرار في الحكم مدة طويلة خاصة في القرن الثامن عشر، وكانت هناك بعض التنظيمات تحد من سلطة الداي في أوائل هذا العصر، ولكن في العصور المتأخرة حكموا حكما مطلقا وأصبح للداي الحرية المطلقة في الحكم والإدارة والتفاوض مع الدول الأجنبية وعقد المعاهدات السلمية والتجارية، ويعلن الحرب والسلم ويستقبل الممثلين الدبلوماسيين الأجانب، ومنه يعد عهد الدايات بداية لعهد الاستقلال الكامل للدولة الجزائرية عن الدولة العثمانية ولم تبق إلا بعض الشكليات، وأول من تولى هذا المنصب هو الداي الحاج باشا (1671م-1682م) وجاء بعده أربعة وعشرون دايا كان آخرهم الدي حسين باشا (1818م-1830م) والتي كانت فترة حكمه أطول من الفترات في عهد الدايات.

[.] الداي :أو دايي يعني الخال في اللغة التركية وحرف عند الباحثين العرب إلى الداي واستعمل مصطلحاً ليطلق على قائد الأسطول، أما تسمية هذا الدور في الجزائر فيعود إلى الجند البحريين أو قادتهم الذين أطلقت عليهم التسمية منذ سنة 1671 حتى .1830 فاضل بيات، المصدر السابق، ص- 542

3-الأوضاع العامة في الجزائر في أواخر عهد الدايات (قبل الغز والفرنسي)

كان الوضع العام في الجزائر في أواخر عهد الدايات خاصة بين 1800 أي 1830 كارثي في كل المجالات وهوما فتح الشهية للدول الأوروبية ان تتنافس وتتكالب عليها، واخير انفردت فرنسا ان تكون الفريسة من نصيبها، فما هي حالة هذا الوضع، سياسيا، اقتصاديا واجتماعيا؟

أ. سياسيا:

كان نظام الحكم في أواخر عهد الدايات قائما على أجهزة تشرف على تسيير الحكم في الايالة وهي الداي : اسم أصبح يمنح لحاكم ايالة الجزائر ومعنى مصطلح الداي: الداي بالتركية هو الخال، ثم أصبح يطلق على احد القادة الانكشاريين العثمانيين، ثم صار أيضا أحد مراتب السلطة في الدولة العثمانية ، إذن هولقب شرفي – قائد القيادة – هو أعلى سلطة في البلاد، يجمع بين السلطتين، العسكرية والمدنية أي طبيعة الحكم هو ذات الصبغة النظام الشمولي أي ديكتاتوري بتجمع كامل السلطات في يد الحاكم.

يتم تعينه من طرف السلطان العثماني مباشرة من (الأستانة)، ويغادر الجزائر بنهاية فترة حكمه، أما في المرحلة الثانية فكان يعين من الجزائر، لتتم تزكيته من طرف السلطان بالفرمان (بقرار). الديوان: يتكون من الديوان الخاص والعام يتكون الديوان الخاص من الخزناجي: وهو مسؤول المالية والمختص في الإشراف على الخزينة وإيداع مصارف دخل الدولة بشكل نقود ومقتنيات ثمينة، ويساعده كاتب الدولة وأمين السكة فضلا عن أجيرين من إلى هود أحدهما يدعى العيار للتحقق من النقود

الموسوعة الحرة، المرجع السابق، ص 1 .

المشكوك فيها والثاني الوزان لوزن أنواع النقود التي يتسلمها، يساعده أربعة كتاب رئيسهم يسمى (باشدفتر)، يقوم الخزناجي بتسليم المداخيل والإشراف على الإنفاق ومراقبة أمور السك.

البيتمالجي: يتولى إدارة أموال الأوقاف ويرث من لا وريث له، ويسمى بقاضي بيت المال، كما يسجل العقود والمواريث، يراقب الأملاك والثروات التي تعود للدولة نتيجة المصادرة أو انعدام الورثة، كما يقوم بحفظ الودائع وتسيير أملاك الغائبين، والتصرف فيها، بالإضافة إلى قيامه ببعض الأعمال الخيرية، كتوزيع الصدقات على المستحقين والتكفل بدفن الفقراء المعدمين.

وهو المشرف على مصلحة الأملاك وصيانة المقابر، ويعاونه في تلك المهمة قاض يعرف باسم وكيل وكاتبان يعرف باسم العدول.

خوجة الخيل: مكلف بقبض الضرائب ومراقبة أملاك الدولة وتموين الموظفين العثمانيين والفرق العسكرية بمدينة الجزائر بالمواد الغذائية، وهو الموظف الذي يدير أملاك البايلك ويشرف على مواشي الدولة التي يقدمها الأهالي كضرائب عينية تقرض عليهم، كذلك يقوم بالإشراف على تجنيد الفرسان (المخزن) 1 المتعاونين مع السلطة المركزية.

وكيل الخرج: هو قائد البحارة الذي يراقب النشاط البحري على أعمال الترسانة البحرية، وينظر في توزيع الغنائم، وتسجيل غنائم البحر ورسوم الجمارك ويتصل في بعض الأحيان بقناصل ومبعوثي الدول الأوربية (الاهتمام بالشؤون الخارجية.

¹ مكان خزن البضائع والمؤن، ثم أصبحت تطلق للدلالة على القوة التي يستعملها الداي لفرض سلطانه، وتتألف من القوة العسكرية التركية، وعدد من قبائل العرب والبربر مصطفى الاشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،1983 ، ص81.

الأغا: هو رئيس الجيوش البرية (الإنكشارية وفرسان المخزن) (الصبايحية)، يتلقى أوامره من الداي مباشرة، وهو مكلف بحفظ الأمن بالضواحي القريبة من مدينة الجزائر (الفحص).

أما الديوان العام: يتشكل من أعضاء الديوان الخاص إلى جانب الكتاب المساعدين للبيت المالج، كبار ضباط الانكشارية (الانكشارية، آغا الصبايحية)،القاضيان والمفتيان (المالكي يتولى النظر في قضايا سكان الجزائر، والحنفي في قضايا الأتراك) اما الوضع السياسي تميزت الأوضاع السياسية لإيالة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي (1800–1830) بفقدان نظام الحكم وأجهزته هيبته و قوته ودخوله مرحلة الضعف والانحطاط وعدم قدرته على التحكم في استقرار البلاد وحماية الأمن الداخلي والخارجي للبلاد، ما جعلها تعيش وتمر بالتوترات والاضطرابات على الصعيد الخارجي والداخلي. 1

علاقتها الخارجية:

اقليميا: شهدت الفترة الممتدة بين 1815–1830، جنوح الجزائر وتونس إلى السلم مع بعض التوترات الخفيفة، وذلك نظرا للظروف الصعبة التي تعيشها الجزائر والمتمثلة خاصة في تدهور الأوضاع الداخلية وكثرة الأخطار الخارجية التي كانت تهدد الجزائر أما فيما يخص العلاقات الجزائرية المغربية فتميزت هي الأخرى بعدم الاستقرار والتذبذب والتراوح بين الحرب تارة والجنوح إلى السلم تارة أخرى.

أما بقية الدول العربية: كانت علاقة الجزائر ببقية الدول الإسلامية المجاورة علاقات طيبة في مجملها، فقد تضامنت الجزائر مع مصر إثر تعرضها للحملة الفرنسية التي

¹ مصطفى الاشرف، المرجع السابق، ص 90.

قداها ضدها نابليون بونابرت سنة 1798 م، حيث أعلن الداي مصطفى باشا 1805-1798

علاقتها مع الدول الأوروبية ودول اخرى

مع الدول الأوروبية:

شهدت العلاقة بين الجزائر والدول الأوروبية خلال فترة حكم الدايات في الجزائر العداء الفرائر والعداء تارة والسلم والأمن تارة أخرى، باستثناء السبانيا التي بقيت في عداء دائمة وحروب مع الجزائر بسبب سيطرة الإسبان على مدينة وهران حتى عام 1792 م، كما قاموا بثلاث حملات عسكرية بحرية على مدينة الجزائر بغية احتلالها، الأولى على مدينة الجزائر كانت سنة 1775م التي استمرت 11 يوما وفشلت اسبانيا في الوصول الى هدفها ناما الثانية سنة 1783م حيث تم قصف مدينة الجزائر بالمدافع لمدة 10 أيام وفشلت ثانية، اما المرة الثالثة عادت لضرب الجزائر بعد عام وكان ذلك في جويلية 1784م واستمر القصف لمدة 11 يوما. وبفشل اسبانيا إخضاع مدينة الجزائر، غيرت سياسته أو ركزت على الأسلوب السياسي الدبلوماسي في تعاملها مع الجزائر حيث عقدت معاهدة صلح بين الجزائر واسبانيا في شهر أوت 1785 م، وقد ساهمت هذه الاتفاقية في عودة الهدوء والاستقرار في حوض المتوسط!

أما علاقة الجزائر ببقية الدول الأوروبية فتجلت معظمها في إبرام معاهدات واتفاقيات على غرار السويد وهولندا اللتان وقعتا معاهدة صداقة وسلم مع الجزائر سنة 1746 م بخصوص عمليات القرصنة والتجارة وبعدها مع البندقية سنة 1763 م، أما علاقة الجزائر مع فرنسا فقد كانت

عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج2، ص 1

تميل إلى السلم تارة وتارة أخرى إلى القطيعة، بحيث تميزت الفترة الممتدة بين 1766 م إلى غاية سنة 1790 بالهدوء والاستقرار وحسن النوايا المتبادلة، حيث عمل الطرفان على تتفيذ التزاماتهما إزاء بعضهما البعض بكل ثقة واخلاص، وقامت كذلك في أواخر شهر مارس 1790 بتمديد معاهدة السلم مائة سنة أخرى، كما اعترفت الجزائر بالثورة الفرنسية ووقفت معها في محنتها الاقتصادية عام 1789 م وأمدتها بالأموال والحبوب لكن هذه العلاقات الطيبة بين الجزائر وفرنسا لم تستمر على ما هي عليه فسرعان ما تعكرت العلاقات بعد قيادة الملك نابليون بونابرت للحملة الفرنسية العسكرية على مصر سنة1798م وفي سنة 1800 م عادت العلاقات الفرنسية الجزائرية إلى السلم بعدما تم التوقيع على هدنة غير محددة الأجل وتحولت إلى معاهدة سلم وصلح سنة 1801 م، وقد شهدت العلاقات بين الطرفين خلال الفترة الممتدة بين (1798–1815)م حالة من التوتر الشديد - إلى حين عودة أسرة أل بربون إلى الحكم بعد سقوط نابليون بونابرت، حيث عاد الهدوء نوعا ما إلى حين وقوع حادثة المروحة بين الداي حسين والقنصل دوفال في 29 أفريل 1827م والتي قامت فرنسا على إثرها بالحصار البحري على الجزائر قبل أن تعلن الغز والفرنسي بشكل رسمي سنة 1830 م.

كانت علاقة الجزائر بإنجلترا مجرد علاقة تبادل مصالح ونفوذ، خاصة وأن انجلترا كانت تهدف دائما إلى تعكير العلاقات الجزائرية الفرنسية وإفسادها عن طريق قناصلها المتواجدين في الجزائر، وذلك بسبب منافستها لفرنسا حول الحصول على الامتيازات داخل التراب الجزائري خاصة خلال القرن 18 م¹.

¹عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج2، ص 350.

استغلت بريطانيا تعكر العلاقات الجزائرية الفرنسية أحسن استغلال حيث وطدوا علاقاتهم مع حكام الجزائر ومن مظاهر التقارب الجزائري البريطاني تلك الرسالة التي بعث بها ولى عهد انجلترا إلى الداي الحاج على سنة 1812 م مؤكدا له فيها انه طالما استمرت الصداقة بين البلدين فان انجلترا سوف تحمى عاصمة الجزائر من أي عدوان خارجي، غير أنهم لم يستطيعوا الحفاظ على صداقتهم هذه، فبمجرد أن وضعت الحروب الأوروبية أوزارها عام 1815 م، حتى التفتت انجلترا إلى الأسطول الجزائري، فحاولت انجلترا القضاء عليه حتى لا يعرقل نشاطها داخل البحر الأبيض المتوسط، وعزمت استغلال قرارات مؤتمر فينا سنة 1815 في القيام بحملة عسكرية بحرية على الجزائر، بحجة محاربة القرصنة وتجارة الرقيق، وبناء على ذلك انطلقت الحملة الانجليزية بقيادة اللورد من ميناء بلايموث يوم 28 جويلية 1816 وعندما وصل إلى مضيق جبل طارق (انضم إليه الأسطول الهولندي بقيادة فان كايبلسن Vencappicen) حيث وصل التحالف الأوروبي إلى الجزائر في يوم 17 أوت 1816 م، وبعد أن قدم كل من النقيب تقريرهما المفصل حول تحصينات مدينة (Ziewgel)والضابط زويقل (WARD) وورد الجزائر بدأ الهجوم بالمدافع التي دكت الحصون الدفاعية للجزائر وانتصر الانجليز على الجزائريين 1 الذين لم يستعطوا صد هذه التحاف الانجليزي الهولندي الشرس، وقبل الداي في الأخير بشروط الاستسلام وتم توقيع الصلح بين الطرفين أعاد الانجليز الكرة مرة ثانية في يوم 24 جويلية 1824 م وشنوا حملة عسكرية ضخمة ضد مدينة الجزائر وفي هذه المرة وجدوا مقاومة كبيرة من طرف الجزائريين الذين لم يستسلموا، حيث قاموا برد الهجوم ثم غادر الأهالي مدينة الجزائر نح والمرتفعات المجاورة لها ولم يبق في المدينة

¹. Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 j'jusqu'à 1848, Vialat et compagnie, éditeurs, Paris ; 1949, p. 6.

سوى الجنود العسكريين الذين صمدوا ووقفوا في وجه المدافع الانجليزية بكل بسالة وشجاعة وأرغموا الانجليز في الأخير على الانسحاب من ميدان المعركة، والقيام بإبرام معاهدة صلح مع الداي الذي قبل بشروط الانجليز مقابل استبدال قنصلهم ماك دونال.

• دول أخرى غير أوروبية:

لقد ربطت الجزائر علاقات سياسية خارجية مع دول أخر غير أوروبية على غرار الولايات المتحدة الأمريكية التي أبرم ت معها الجزائر ثلاث معاهدات صلح وصداقة، كانت أولها في 05 سبتمبر 1795 م، والثانية في جوان 1805 م والثالثة في ديسمبر من نفس السنة، وقد أصدرت الحكومة الجزائرية مسوما تعترف من خلاله بشرعية الثورة الأمريكية واستقلال الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1776 م2

على الصعيد الداخلي:

تميزت العلاقات بين الحاكم (الاتراك) والمحكوم (الأهالي) بالتوتر من حين لآخر، اما نظام الحكم بعدم استقرار جهاز الحكم واهتمام الحكام بجمع الأموال وكانوا عدمي الكفاءة وفاقدي للسيطرة والتحكم في زمام الأمور ويهمهم التشريف لا غير بحيث أن بعض الدايات ليس لديهم أحكام الحل والربط وحتى أنهم بدون مستوى، ولم يكن لهم دراية بالعلم والثقافة والدين وقد تقلدوا السلطة بعدما كانوا يمارسون مهن حقيرة كإسكافي وحمال وحارس، مثل حال الداي احمد باشا 1698 –1695 الذي كان شيخا مسنا مريضا يشتغل على الأحذية فأصبح دايا خاضعا لسيطرة الانكشارية الذي يطبق أوامرها في تسيير أمور الحكم، وعلي باشا 1808–1809م ولقب بالغسال لأنه كان يغسل الموتى، وأمام تراجع مداخيل الدولة الخارجية خاصة بضعف الأسطول واكتشاف الأوروبيين لطرق تجارية جديدة، وهو ما دفع حكام العثمانيين في الجزائر انتهاج سياسة تعسفية اتجاه الأهالي وأصحاب الطرق الصوفية بفرض عليهم ضريبة مجحفة وثقيلة باستعمال القوة والقمع حيث لم تكن هذه الأموال تتفق

في المصلحة العامة وإنما لمصالح شخصية ولرفاهية عوائلهم حيث قامت بحملات عسكرية مخزنية لجمع الضرائب وقمع الممتنعين عن أداء الضرائب ولذلك قلت ثقة الأهالي في الحكام والمسئولين الذين أهملوا مصالح البلاد وأفقروا العباد وأنصب اهتمامهم بالسلطة وجمع المال، فأحس الأهالي أن جهودهم موجهة لخدمة الطبقة الحاكمة دون التمتع بأي حقوق فتوجهوا بشكواهم إلى رجال الطرق الصوفية نظرا لما كانوا يتمتعوا به من نفوذ روحي في المجتمع الجزائري.

وأمام هذا الوضع لم يستطيع رجال الزوايا والطرق الصوفية أن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الشكاوي المقدمة من الأهالي من جراء السياسة التعسفية، وباعتبار أن مصالح رجال الدين أيضا تضررت وفقدت امتيازاتها التي كانوا يتمتعون بها، ففضلوا الوقوف بجانب أهالي الريف ولذلك برزت سلسلة من الثورات في مطلع ق 19 كرد فعل على سياسة الحكام بنشوب تمردات وثورات وأهمها: انتفاضات بلاد القبائل 1804 م، 1810 م، 1824 م وانتفاضة التيجانية وواد ي سوف وثورة النمماشة سنة 1818م، وثورة ابن الاحرش والدرقاوي في شرق البلاد سنة 1804 والعديد من الثورات الشعبية الأخرى ضد الحكم الفاسد للعثمانيين، وكذلك سوء التسيير الاقتصادي للبلاد بحيث أنه منذ ضعف البحرية الجزائرية قلت الموارد وعجز الميزان التجاري للإيالة، وطبعا كانت الإجراءات التعسفية والسياسة الضريبية الجديدة قد أدت البي تأزم الوضع أكثر وأثار ذلك الرعية على الحكام الأثراك ومن أهم هذه الثورات: وثورة بن الاحرش المتعداده انطلاقا من جولته التي الم بها في عدة مدن في الشرق الجزائري انطلاقا من عنابة وقسنطينة قبل أن يستقر به المقام في مدينة جيجل ومنها بدا دعوته للثورة ضد العثمانيين، وقد استعمل عدة

-

[.]¹ ابن الاحرش: هو محمد بن عبد الله ابن الاحرش، درعي النسب، مالكي المذهب، درقاوي الطريقة زعم انه من شرفاء فاسن كان بليغ الاسلوب في الحديث، فصيح اللسان، انظر: يمينة سعودين الحياة الادبية في قسنطينة- خلال الفترة العثمانية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003/2005، ص34.

طرق لإقناع الناس بشرعية دعوته و ذلك بإيهامهم بأنه المهدي المنتظر 1 ، وهو المنقذ الذي سوف يحرر الناس من ظلم الأتراك بأمر من الله 2 ، وأن دعوته مستجابة وغيرها مستعملا العديد من أساليب الشعوذة والدجل 3 وقد استعان بدهائه و بلاغة لسانه و قدرته و مهارته على الإقناع 4 وقد قام بعدة عمليات ضد السفن الفرنسية التي تستعمل في صيد المرجان وتمكن من الاستعلاء على إحدى السفن واسر بحارتها، ورفض إعادتهم رغم تدخل الداي الذي حاول قتله لكن رسول الداي كشف الخديعة وقتل بعدما أعزاه الطمن وفتح إحدى الصناديق التي انفجرت في وجهه مما اغضب ابن الأحرش وقام بإعدام بعض الأسرى واستطاع ابن الاحرش جمع عدد كبير من الأنصار المقدر عددهم بحوالي مئة ألف رجل⁵، وقد اخضع مدينة جيجل بعد انسحاب الحامية التركية منها دون مقاومة ثم تابع طريقه نح والقل ومنها عنابة حيث انسحبت منها الحامية التركية أيضا نح وقسنطينة 6 ، لكن ابن الاحرش قام بشن هجوم كاسح على قسنطينة مستغلا غياب الباي عصمان منها بعدما كان منشغلا في إحدى حملاته في جباية الضرائب، لكن أهالي المدينة وأعيانها تصدوا له مما اضطره إلى الانسحاب منها بعدما جرح بسبب نيران المدافع التي تعرضوا لها، وقد تزعم الأهالي في قسنطينة وجمعهم في حماية المدينة من الثوار كل من الحاج احمد الأبيض وقائد الدار الشيخ سيدي احمد الفكون 7 ، ولما عاد الباي عصمان إلى

-

¹. المزارى: المصدر السابق، ص299

². العنتري :المصدر السابق، ص

الزياني :المصدر السابق، ص 3 .

^{.4} سعيدوني :ثورة ابن الاحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية، الثقافة، عدد78 ، 1983، الجزائر، ص202.

⁵ العطار: المصدر السابق، ص

^{.6} العنتري :المصدر السابق، ص20

 $^{^{7}}$ سعيدوني :ثورة ابن الاحرش .المرجع السابق، ص 7

قسنطينة وصله خطاب الداي الذي طالبه بالقضاء على الثورة وقتل ابن الاحرش، فتوجه الباي إلى الثوار ووقعت معركة طاحنة في منطقة واد الزهور - قريبة من قسنطينة والتي انتهت بهزيمة الباي وقتله، فتشتت قواته و وصلت أخبار مقتله إلى الداي مصطفى باشا فعزم هذا الأخير على خوض المعركة بنفسه و مواجهة ثورة ابن الاحرش وا لقضاء عليها، لكنه تراجع بعد إقناعه من طرف معاونيه بان هذا الأمر سوف يشكل خطر على حياته فقام بإرسال الحاج على أغا على رأس جيش برفقة الباي الجديد عبد الله بن إسماعيل وكلفه بملاحقة ابن الاحرش وضرورة التخلص منه في اقرب وقت، وعلى اثر ذلك وبعد معارك كبيرة تمكن الأتراك من إيقاع الهزيمة بابن الاحرش والقضاء على ثورته في نواحي بجاية عام 1806 وقد قتل ابن الاحرش فيما بعد حيث يذكر صاحب التحفة أنه قتل على يد ابن الشريف الدرقاوي لما استنجد به بعد هزيمته على يد الأتراك وذلك لان ابن الشريف كان يعتبره منافسا له، وبالتالي وبالرغم من الصدى الكبير الذي لقيته ثورة ابن الاحرش والتفاف الناس حولها إلا أنه فشل في تحقيق أهدافه الرامية إلى الحد من تعسف الأتراك وظلمهم رغم الأساليب التي استعملها لكسب القبائل في الشرق الجزائري وقد خلفت هذه الثورة آثار سليبة كثيرة انعكست على أوضاع البلاد بشكل كبير لما حلا بها من محن، كما شجعت هذه الثورة من زيادة عصيان القبائل التي امتنعت عن دفع الضرائب المجحفة للأتراك، وقد ظهر احد زعماء التمرد فيما بعد وادعى أنه حفيد ابن الاحرش وقد تمردا جديدا ضد الأتراك لمدة أربعة سنوات قبل أن يتم القضاء عليه هو الآخر وكانت اخطر النتائج المترتبة عن ثورة ابن الاحرش هو انتشار الفوضى والاضطرابات في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وانعدام الأمن والاستقرار وقد ذكرت العديد من المصادر الحالة المزرية والمتدهورة للسكان في تلك الفترة.

4ابن سحنون :المصدر السابق، ص 1

شارك ابن الاحرش مع المغاربة قبل قدومه إلى الجزائر في حرب الفرنسيين وقد علا شأنه بين السكان الجزائريين، ووصلت شهرته إلى الانجليز الذين تحالفوا معه ودعموه بالأسلحة والهدايا نظير مساعدتهم في الثورة ضد العثمانيين وهذا من اجل القضاء على المصالح الفرنسية بالجزائر، ومن جملة ما قدموه له بنادق ذات ثلاث طلقات، يقول الزبيري في هذا الشأن أن الانجليز شجعوا ابن الاحرش بسبب الحقد والتنافس الذي كانوا يبدونه لفرنسا خاصة أن هذه الأخيرة قد تمكنت من الاستحواذ على العديد من الامتيازات داخل الجزائر في التجارة وصيد المرجان في السواحل الشرقية للجزائر، وقد كان التنافس على أشده بين فرنسا وانجلترا من اجل كسب مناطق نفوذ جديدة خاصة في الجزائر، كما تبرز ذلك إحدى الوثائق الاسبانية متمثلة في رسالة جاء في مضمونه بما يلي: "ان حماس العرب للاستقلال هو نفسه في كل جهة ولا يرغبون في غير ذلك معتمدين على مساعدتنا ومساعدة الانجليز حسب الرسائل التي تسلمناها منهم، وهم يعرضون علينا مقابل هذه المساعدة تسويق جميع منتجاتنا في هذا البلد"

ويظهر من خلال هذه الرسالة الدعم الأجنبي للثورات الشعبية ضد العثمانيين في الجزائر وما يفعله الانجليز في مساعدتهم على تمرد ابن الاحرش ضد الحكم العثماني له استمرار لدورهم في المشرق ومساعدتهم للعرب في الجزيرة والشام وتحريضهم للثورة ضد الدولة العثمانية بشكل عام.

الثورة الدرقاوي بالغرب الجزائري 1805م بزعامة ابن الشريف الدرقاوي¹: قد بدا المرابطون في بايلك الغرب من التذمر من سلطة الأتراك حيث بدأوا ينشطون ويحيكون المؤامرات والدسائس بشكل سري، ويحرضون الأهالي بشكل باستمرار

أسمه الكامل هو عبد القادر بي الشريف و الذي يعرف عند العامة بابن الدرقاوي، و يعود أصله الى قبيلة كسانة المقيمة على ضفاف واد العبد، تعلم مبادئ اللغة العربية في مسقط رأسه في قرية أولاد بالليل ثم ألتحق بزاوية القيطنة بمعسكر التابعة للطريقة القادرية، ويقال عنه انه من الاشراف من الصحراء الغربية أو من فاس.

وانتشروا في كامل المناطق الغربية معانين صراحة عداءهم للأتراك وهتفوا بصوت عالي على أنهم سوف يقضون على الأتراك في الغرب وبسبب ذلك بدأت دائرة التمرد والعصيان في الاتساع إلى أن وجدوا في الثورة الدرقاوي مبتغاهم واتبعوها وانضموا إليها ودعموها كذلك.تعد الثورة الدرقاوي من اكبر الثورات التي استهدفت العثمانيين في الجزائر وأخطرها، منذ بداية استقرارهم بالجزائر، فقد تلقت الطريقة الدرقاوي الدعم من المغرب الذي لعب دورا فعالا فيها، مثلما دعمت من قبل ثورة الشيخ محمد بن علي الإدريسي مرابط(عين الحوت) بناحية تلمسان(1736–1759) الشيخ محمد بن علي الإدريسي مرابط(عين الحوت) بناحية تلمسان(1736–1759) الغرب وكان رد الباي محمد الكبير قاسيا ضدها حيت انتهج سياسة تعسفية وقمعية وصلت إلى حد اقتحام الحدود المغربية وملاحقة الثوار في التراب المغربي إلى أن تم عقد الهدنة مع السلطان مولاي يزيد عام 1781.

قام ابن الشريف الدرقاوي بالتحضير للثورة وجمع أنصاره حوله لمدة خمسة سنوات (1800–1805)، ولما أتم استعداد هو جمع العدة والعتاد أعلن الثورة على العثمانيين مستغلا هزيمة إحدى الحاميات التركية أمام قبائل الانجاد المتمردة ضد السلطة العثمانية أيضا، وتوجه برجاله نح ومدينة غليزان حيث اصطدم بجيش الباي مصطفى العجمي ووقعت معركة شرسة في منطقة فرطاسة سنة 1805 م حيث أنهزم فيها الباي وطارده الدرقاوي حتى أسوار مدينة معسكر 7 ، ومنها امتد لهيب الثورة من مليانة إلى غاية تلمسان وقد بدأت على اثر ذلك الحاميات التركية انسحابها الواحدة تل والأخرى نح والمناطق الساحلية حيث انقطعت كل الإمدادات والطرق نح والداخل ما عدى الطريق البحري الذي كان المنفذ الوحيد للوصول إلى

¹ Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 j'jusqu'à 1848, Vialat et compagnie, éditeurs, Paris ; 1949, p. 10

وهران عاصمة بايلك الغرب وتمويله إلى حين تمكن الثوار من محاصرتها بزعامة الدرقاوي الذي طوقها من كل مكان وقطع عنها الإمدادات وقد استمر الوضع إلى الأسوء بالنسبة للعثمانيين حيث كادت هذه الثورة أن تقضي على الوجود العثماني في الغرب الجزائري ككل لولا تدخل الداي من دار السلطان الذي أرسل جيشا كبيرا إلى وهران لفك الحصار عليها لكنه أنهزم وفشل في أداء مهمته بعدما اعترضته القبائل المعادية للعثمانيين 3 ، ولكن سرعان ما تمكن الأتراك من فك الحصار على وهران عن طريق الباي الجديد محمد المقلش سنة 1805 م، وبفضل سياسته و دهائه في الحكم تمكن من القضاء على ثورة الدرقاويين، وتوفي ابن الشريف فيما بعد بسبب الوباء سنة 1809 م.

إن هذه الثورة وبالرغم من أنها لم تحقق الهدف الرئيسي على غرار ثورة ابن الاحرش في القضاء على الحكم العثماني في الجزائر، إلا أنها ساهمت في إضعافه حيث مهدت الطريق لسقوط الجزائر في يد الفرنسيين فيما بعد سنوات قليلة من نهايتها، كما أنها استطاعت التأثير حتى على الحكام أنفسهم مثل الباي بوكابوس الذي تولى الحكم بعد الباي المقلش الذي انضم إلى الثورة فيما بعد وتحالف مع السلطان المغربي مولاي سليمان الذي حرضه ضد السلطة العثمانية في الجزائر 1 ، لكنه فشل هو الآخر في ثورته و انتقم منه الحكام وقضوا عليه 2 ومن نتائج هذه الثورة كذلك أنها خلفت العديد من الخسائر المادية والاقتصادية والبشرية كذلك حيث راح ضحيتها العديد من رجال الدين والعلماء من جراء مشاركتهم في المعارك كالكاتب الشهير ابن هطال التلمساني والعلامة الأديب أب وعبد الله السيد محمد الغزلاوي ، ومنهم من لقي حتفه جراء الإجراءات القمعية التي قام بها الأتراك ضد أتباع الدرقاوي، هذا دون أن ننسى انتشار حالة الفوضى والنهب والسلب الذي سلكه رجال الدرقاوي والحاميات التركية على حد سواء. وفي الأخير وبالرغم من رفع مجمل هذه الثورات في الشرق الجزائري أوفى غربه شعارات دينية إلا أنها في الحقيقة كانت منفذا لسكان الجزائر

للتعبير عن سخطهم على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية التي كانت تسود البلاد من جراء الحكم العثماني الفاسد خاصة سياسة الضرائب المجحفة، وكذلك الدور الكبير الذي لعبته القوى الخارجية في تعزيز هذه الثورات ودعمها ماديا وما لقيته من تقبل السكان وهو ما يفسر انتشار الثورات في اغلب جهات الوطن¹. الثورة التيجانية بالجنوب الجزائري بزعامة محمد بن احمد المختار التيجاني²:

تنسب الطريقة التيجانية إلى مؤسسها الشيخ أب والعباس احمد مختار بن سالم التجاني المولود في بعين ماضي سنة 1737 م، أسس طريقته في عين ماضي بالجنوب الجزائري خاصة في منطقة قمار بواد سوف وتقرت بورقلة وتماسين وقد امتد نفوذها إلى غاية إفريقيا جنوب الصحراء ناحية السودان الغربي الكبير 8 , وقد كان سيدي احمد التجاني يتمتع بمكانة واسعة ومرموقة بين السكان في وسط الصحراء مما أزعج السلطة العثمانية وأثار تخوف الحكام أنفسهم منه، كما أن العلاقة بينه و بينهم كانت سيئة سادها العداء والنفور هذا بالإضافة إلى كونه زعيم الطريقة التجانية في عين ماضي البعيدة عن أعين السلطة المركزية 4 .

بعد عودة أولاده من المغرب الاقصى الى عين الماضي ما أن سمع الداي حسين بن حسين بوصول ابني الشيخ حتى هزته المخاوف، فأرسل "إلى أولاد الشيخ رضي الله عنه يطلب منهم أن يأتوا إليه ليتبرك بهم، وقصده شيء آخر، فاجتمع الأصحاب الحاضرون في ذلك الوقت، وقدم القطب سيدي الحاج على رضي الله عنه في ذلك اليوم وصاروا يتكلمون في هذه الواقعة وماذا يفعلون؟ هل يتركون أولاد الشيخ رضي

¹ Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 j'jusqu'à 1848, Vialat et compagnie, éditeurs, Paris ; 1949, p. 6.

هو الابن الاكبر لمؤسس الطريقة التيجانية، دخل من فاس بعد وفاة والده سنة 2 .

^{.147} التليلي :المرجع السابق، ص 3 .

^{.4} الفلالي :المرجع السابق، ص 80.

الله عنه يذهبون إليه فقال سيدي الحاج علي رضي الله عنه بجلال كيف نترك أولاد الشيخ يذهبون إلى الترك يلعبون بهم هذا لا يكون أبدا" وبعد التشاور بينهما ـ سيدي محمد الكبير وسيدي محمد الحبيب رضي الله عنهما ـ وبحث الأمر مع الشيخ علي التماسني تقرر رفض دعوة الحاكم التركي، وحينما قرر سيدي محمد الكبير التجاني الذهاب إلى الحج "على طريق الصحراء... أمر الأمير حسن باشا باي قسنطينة أن يعترض طريقه عند قدومه، ويوقفه، فلم يمكنهم الله منهم في ذلك الوقت .

فعندما رجع ـ رضى الله عنه ـ من الحج إلى بلاده ظهر له أن ينزع الملك من يدي الأتراك الذين كانوا في غاية الاستبداد، وكان حكمهم كله طغيانا، ونظرة واحدة تُلقى على تاريخهم، تفصح عما كانوا يرتكبون من سفك الدماء ونهب الأموال واغتيال بعضهم بعضا، فكانت حكوماتهم المتعددة فوضى. فجمع حوله عرب الصحراء واكمل العدة (الاستعداد للحرب)، توجه نح ومعسكر سنة 1827م (غريس) لتحريرهم من قبضة الاتراك، وبايعوه سرا، وكان خبره قد بلغ باي وهران فكتب للأمير الداي حسين بن حسين بخبره، وتحيروا كثيرا، وانتظر الباي قدومه، فلما وصل إلى غريس، وأخذ يقاتل أهل المعسكر، واستولى على بعض الجهات، بعث الباي ـ باي وهران ـ المال لكبراء الحشم لكي يتخلوا عنه، وخرج إلى ه من وهران بالقوم، وأمر المحلة أن تردفه، فأصبح الباي مقاتلا، وفر الحشم عن التجانى ـ سيدي محمد الكبير ـ وفر الكثير من جيوشه التي أتت معه ـ بدافع الخيانة ـ ولم يبق معه إلا نح والثلاثمائة من أعراب زكور، فثبت هو وثبت من معه من الأعراب ثباتا لم يثبته معهم أحد. وكان من عادة هؤلاء الأعراب في وقت القتال أن يعقلوا أنفسهم مثل الإبل، وهكذا، عقلوا أنفسهم وهو معهم، وقاتلوا قتالا شديدا، إلى أن قتلوا عن آخرهم... وأتوا بسيفه وبعض الحاجيات التي كانت علتي كانت معه، واحتوى الباي على أثقال التجاني، وأمواله، ورجع إلى وهران.

ب. الأوضاع الاقتصادية:

• القطاع الزراعي

عرف المجتمع الجزائري انه زراعي بالدرجة الأولى حيث يشكل أكثر من 90°/° من إلى د العاملة ويساهم في الدخل الفردي – سواء انتاج زراعي أو الرعي). تميزت الفترة الاخيرة من الحكم العثماني بقلة المردود الزراعي لعدة اسباب منها الاعتماد على الادوات البسيطة البدائية في الزراعة اضافة الى الضرائب المرتفع التي يدفعها الفلاح الجزائري للحكومة حيث زادت خاصة بعد تراجع مدخول الخزينة بعد تراجع مداخيل البحرية، وكنتيجة لارتفاع الضرائب المفروضة على كاهل الفلاحين ما جعلهم يتخلون عن ممارسة الزراعي.

لم يكن النشاط الزراعي مقتصر على الانتاج الزراعي فقط بل شمل ايضا تربية الحيوات بمختلف انواعها خاصة في المناطق الداخلية بحكم سكان هذه المناطق هي رعوية ما جعل تربية الماشية بمختلف انواعها (الابقار، الغنم، المعز، ابغال الدواجن)1

• القطاع الصناعي

تميزت الصناعة في الجزائر في أواخر الحكم العثماني بالصناعة البسيطة والتقليدية ولا يمكن مقارنتها بالصناعة في الدول الغربية، واقتصرت في معظمها على المنتوجات النسيجية والادوات التقليدية حيث اختصت كل مدينة بصناعتها المحلية المتميزة، فنجد على سبيل المثال مدينة تلمسان بصناعة الصوف والاغطية و الزرابي التي تميزت بطابع محلي عريق واسلوب اندلسي راق واشكال تركية جميلة أي المزج بين الحضارة المحلية والاندلسية والتركية، اما مدينة الجزائر اختصت بصناعة

¹. William Shaler, Esquisse de l'état d'Alger, consul général des États-Unis à Alger, Librairie L'avocat, Paris, 1830, p.16.

الشواشي وصناعة الاحزمة الصوفية والحريرية والمناديل وصناعة الجلود والسروج، اما قسنطينة التي كانت بمثابة قطب لصناعة النحاس والحلي والاحجار.

وعرفت هذه الصناعة تراجع وتدهر بسبب المنافسة وضعف القطاع الزراعي التي كان بمثابة خزان للمواد الأولية الصناعية.

• القطاع التجاري:

عرفت الجزائر نوعان والتجارة الداخلية والخارجية، فبالنسبة للتجارة الداخلية، كان يقوم بها الأهالي في العموم الى جانب إلى هود حيث كانوا ينقلون منتجاتهم الى الجنوب والعكس صحيح.

اما التجارة الخارجية: كان يحتكرها في معظمها الاجانب كما يمارسها إلى هود وبعض الأهالي، وقدرت قيمة الواردات 1200000 دولار اسباني، أما قيمة الصادرات قدر بنحو 237000 دولار اسباني ما جعل الميزات التجاري يسجل عجز بقيمة 927000 دولار اسباني سنة 1822 م والسبب في ذلك الى تراجع مداخيل الاسطول الجزائري

ومن بين الموارد المصدرة، نجد الصوف باعتبارها من النوعية الجيدة وتصدر الى كل من فرنسا واسبانيا وايطاليا¹.

ج. الأوضاع الاجتماعية:

اختلف المؤرخون في تعداد عدد سكان الجزائر، اذ قدره حمدان خوجة ب 10 مليون نسمة سنة 1833 م ولكن هذا الرقم مبالغ فيه بينما قدره وليان شالر بأكثر من مليون نسمة²، السلطات الفرنسية قدرته بمليونين ونصف نسمة، ولكن مهما اختلف العدد

¹ William Shaler, p.16.

². Ibid.p.20.

ولكن التركيبة الاجتماعية تميزت بالتنوع والثراء ومن اهم الاجناس المكونة للمجتمع الجزائر: الأهالي ، الاتراك، الكراغلة، الاندلسيين، الزنوج، المسيح كما يمكن تقسيم المجتمع الجزائري الى سكان المدن حيث يقطنون فيها الاتراك والاندلسيين والمسيحيين وقلة من الأهالي بينهما سكان الريف الذين يشكلون الاغلبية هم من الأهالي .

ولم يهتم الاتراك بالتعليم بل تركه للعامة ولم يشجع الثقافة وعدم اهتمامه بدور التعليم ما ادى بانخفاض مستوى التعليم عبر كافة التراب الجزائري.

المحاضرة الثانية: الغزو الفرنسى للجزائر 1830

عناصر المحاضرة

- 1- العلاقات الفرنسية الجزائرية الى غاية الحصار
 - أ- قبل الثورة الفرنسية
 - ب- بعد الثورة الى غاية الحصار 1827
 - 2- حادثة المروحة
 - 3- الاسباب الحقيقية للاحتلال
 - أ- اسباب سياسية.
 - ب- اسباب اقتصادیة.
 - ت اسباب اجتماعیة
 - ث- اسباب دینیة
- 4-الحملة الفرنسية على الجزائر والمعارك قبل احتلال مدينة الجزائر
 - أ- معركة سطاوالي.
 - ب- معركة سيدى خالف
 - ت معركة حصن الامبراطور
 - 5- اتفاقية الاستسلام

1. العلاقات الفرنسية الجزائرية الى غاية الحصار

تميزت العلاقات الفرنسية الجزائرية بالتذبذب، تتسم تارة بالصداقة والسلام وتارة بالتوتر والدخول في مواجهات الى غاية الحصار البحري على مدينة الجزائر ثم شن الحملة العسكرية عليها واحتلالها.

أ. قبل الثورة الفرنسية أي قبل 1789م:

نقارب عثماني فرنسي طول فترة ق16 الى غاية النصف الأول من القرن 17م خلال فترة سليمان القانوني حيث منح امتياز لفرنسوا الأول كان لكلاهما مصالح من وراء هذا التحالف. وكنتيجة لهذا التحالف منحت الدولة العثمانية لفرنسا حرية الملاحة في كافة المياه الإقليمية التي تسيطر عليها الدولة العثمانية، كما منحتها امتيازات اقتصادية في الجزائر المتمثلة في تأسيس أول شركة فرنسية لاستثمار المرجان (شركة لانش) وكان ذلك سنة 1561م. وتطورت العلاقات بإقامة علاقات دبلوماسية بتأسيس أول قنصلية فرنسية في الجزائر سنة 1580.

تدهور العلاقات خلال المنتصف الثاني ق 17 م حينما ارادت فرنسا اقامة قواعد عسكرية على السواحل الشرقية للجزائر باشتداد الصراع الذي ادى بالقصف الفرنسي للجزائر خلال الفترة الممتدة من (1663–1688) حيث تعرضت الجزائر ل9 مرات لمحاولة الغز وإلا أنها باءت بالفشل، ونتيجة لتعكر العلاقات الفرنسية العثمانية ما ترتب عنه إلحاق خسائر فادحة للتجارة الفرنسية، توجهت الحكومة الفرنسية ازاء السلطان العثماني للتدخل من اجل إعادة التعاون التجاري مع الجزائر والسماح لفرنسا بإعادة بناء المراكز التجارية وتحصينها.

ب. بعد الثورة الفرنسية:

_ تعرضت فرنسا مع نجاح ثورتها لسنة 1789م إلى حصار سياسي واقتصادي من طرف الدول الأوروبية الملكية، لقد عانت فرنسا من جراء هذا الحصار حيث عصفت بالخزينة إلى إفلاس وتهديد البلاد بمجاعة هو ما جعل فرنسا إلى إعادة النظر في علاقتها مع الدول العثمانية بشكل عام وداي الجزائر بشكل خاص، حيث طلبت منها

المساعدات بتزويدها بالقمح ومنحها قرض مالي، ولظروف إنسانية استجابت الجزائر لطلب فرنسا.

وحينما قام نابليون بغز ومصر (1798–1801)، طلب الباب العالي من الجزائر الدخول في حرب ضد فرنسا إلا أنها رفضت لأن لا تخدم مصالحها، ومن جهته قام نابليون بتجديد علاقات السلم مع الجزائر مقابل إجبار ايالة الجزائر على إطلاق سراح المسيحيين العبيد التابعين للإمارات الإيطالية التي أصبحت تابعة للإمبراطورية الفرنسية، وكان هدف نابليون من إبرام السلم مع الجزائر لربح الوقت، حيث كانت السواحل الجنوبية لبحر الأبيض المتوسط من مشاريع نابليون للتوسع على حسابها.

بدأت العلاقات في توتر منذ ان أن أعتل على عرش ايالة الجزائر حسين باشا سنة 1818م، واشتدت أكثر للأسباب التالية:

- اختراق الجزائر المعاهدات والاتفاقيات المبرمة مع فرنسا وخاصة الاقتصادية حيث وقعت تجاوزات في قنصلية فرنسا بعنابة بحجة وذريعة تهريب، حيث منحت تراخيص مخافة للقانون للإقامة والتجارة على سواحل مناطق قسنطينة بإعطاء الموافقة لكل من المفاوضين الانجليز وكذا البلدان الإسلامية، وفرض حق ضربي تعسفي ب 10°/° تم وضعه على السلع المحظورة لهذه المدن على حساب أموال الامتيازات الفرنسية.
- قيام البحرية الجزائرية سنة 1826م بعملية حجز سفن فرنسية ووضع أيدهم على الأموال، كما تم حجز سلع فرنسية من سفينة اسبانية وبالتالي اختراق الجزائر الاتفاقية المبرمة مع فرنسا، زيارات تعسفية على السفن الفرنسية من قبل البحارة الجزائرية، كما أصبحت السيادة الفرنسية في مدن ساحلية الشرقية مهددة. وهذه الأفعال المرتكبة من طرف الايالة رأت فرنسا أن الجزائر اخترقت الاتفاقية والمعاهدة إضافة إلى ذلك، هناك ديون تقدر ب

2500000 ف على عاتق فرنسا لتسديدها ليهود الجزائر (بوشناق والبكري) من صادرات القمح لفرنسا التي كانت خلال السنوات الأولى من الجمهورية الفرنسية.

1. حادثة المروحة 29 أفريل 1927م

تقدم القنصل الفرنسي مثله مثل بقية الوفود الأجنبية المتواجدة في الجزائر خلال مراسيم احتفال بعيد الفطر الذي يصادف 29افريل من سنة 1827م إلى داي حسين لتقديم التهاني، أثناء المحادثات بين الداي وقنصل دوفال عن العلاقات بين الدولتين، حيث رفع دوفال مسألة اختراق الايالة لبعض بنود الاتفاقيات المبرمة بينهما، فرد من جهته الداي على أن الاختراق كان من طرف فرنسا التي لم ترد على مراسلات الداي المتعلقة بديون اليهوديين (بوشناق وبكري)، وبذلك حمل الداي المسؤولية للقنصل دوفال، وكان جواب هذا الأخير: "إن الملك والدولة الفرنسية لا يمكن إرسال الردود على الرسائل التي أرسلتها لهم"، وهاجم الداي بعبارات مهينة للديانة الإسلامية، لم يتحكم الداي في غضبه، فضرب القنصل دوفال على مرتين بالروحة أ.

بسماع الحكومة الفرنسية بهذا الخبر، طلبت من قنصلها مغادرة الجزائر سنة 1828م، وتحقق ذلك في جوان من نفس السنة، طالب من جهته داي حسين بتخريب المؤسسات الفرنسية الموجودة في القل مما جعلها تغادر الجزائر ليبدأ الحصار الفرنسي في جولية من نفس السنة بقيام 13 سفينة حربية بقيادة النقيب كولي(Collet) في حين لم يكن بحوزة الداي امكانيات بحرية عسكرية لفك الحصار المفروض من طرف الاسطول الفرنسي².

¹. Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 j'jusqu'à 1848, op.cit, p. 7.

². Fallet Cellin, conquête de l'Algérie p.46.

وبعد سنتين من الحصار الذي لم يعط نتائج (لم يتأثر الداي بالحصار لأنه كان يملك فائض من الذهب)، قررت الحكومة الفرنسية قبل اعلان الحرب منح الداي فرصة لتقديم الاعتذار وذلك بإرسال ممثل فرنسي لوبروتتيار (Le Bretonier) في 30جويلية 1929م إلا أن الداي رفض وقصف الباخرة الفرنسية مما زاد في تعكير الجو بين البلدين.

ردا على شرف التاج الملكي، وامتيازاتها في الجزائر التي فقدتها والممتلكات، ومن أجل تحقيق الأمن للسيادة وتحرير فرنسا وأوروبا من المشاكل الثلاث: القرصنة، وتحرير العبيد وكذا القبائل البربرية لدولة التي تفرض نفسها على القوى المسيحية. فباءت كل محاولات الإصلاح بالفشل، فكان السبيل الواحد للملك الفرنسي للانتقام اللجوء الى القوة المسلحة. ان كانت الذريعة التي اخذتها فرنسا لتبرير غزوها على الجزائر (قضية المروحة اي شرف فرنسا) الا ان هناك مجموعة من الاسباب والحيثيات الحقيقية والفعالة التي كانت وراء الغزو، فما هي هذه الأسباب؟

2. الأسباب الحقيقية للاحتلال

أ. أسباب سياسية:

- رغبة فرنسا في إقامة مراكز عسكرية من اجل تحصين شركاتها وامتيازاتها في الساحل الشرقي للجزائر خاصة القل وحتى تكون هذه المراكز قواعد عسكرية خلفية.
- تجسيد مشروع الاحتلال الفرنسي للجزائر الذي كان سائدا من عهد لويس 14 الى نابوليون بونبارت الذي اسر هذا الاخير احتلال الجزائر لقطع الطريق امام بريطانيا في حوض البحر الابيض المتوسط، قطع العهد باحتلالها لذا أرسل الضابط بوتان للتجسس لوضع خطة للغزو، الا ان مشروع نابوليون

تبخر بعد انهزامه امام التحالف الأوربي الملكي في معركة وترل وسنة 1814م.

• تم احياء مشروع الاحتلال بعد مجيء الاسرة الملكية آل بربون، وحينما اعتلى شارل العاشر العرش سنة 1824م الذي رأى أن الفرصة المواتية لتجسيد الحملة من اجل توجيه الراي العام الفرنسي الى الخارج وامتصاص غضب الشعب الفرنسي وكذا قطع الطريق امام بريطانيا في البحر الابيض المتوسط.

ب. أسباب دينية:

• ترى فرنسا انها هي المسؤولة على حماية المذهب الكاثوليكي، وبالتالي الانتصار على الجزائر يعتبر أنصار المسيحية على الاسلام اي انتصار الصليب على الهلال، وان تكون الجزائر بوابة لنشر المسيحية في افريقيا.

ج. أسباب اقتصادية:

- غنى الجزائر بالموارد المعدنية المنتوعة وجعلها خزان لتموين مصانع فرنسا بكون انها دخلت بقوة المجال الصناعي.
- خصوبة التربة وتنوع المناخ الذي يعطى تنوع في المحاصيل الزراعية وتغطية العجز الزراعي الفرنسي بالإنتاج الزراعي الجزائري.
 - جعل الجزائر سوقا لترويج منتوجاتها حتى لا تتكدس السلع وتتوقف المصانع.

د. أسباب اجتماعية:

• التخلص من الفائض السكاني بارتفاع نسبة المواليد نتيجة تحسن المستوى المعيشي.

- التخلص من الفئة الاجتماعية المنحرفة، اي الفئة التي ليس لها مكانة في المجتمع الفرنسي) البطالين، اللصوص، المتشردين..)
 - التخلص من المعارضة السياسية.

ه. أسباب عسكرية:

• اقامة قواعد عسكرية لحماية مصالحها التجارية والاقتصادية عبر حوض البحر الابيض المتوسط.

3. الحملة الفرنسية على الجزائر الناجحة في ظرف 21 يوما

- قامت فرنسا بأعلام الدول الأوروبية بالحملة العسكرية على الجزائر في الوقت القريب، لم تتردد الدول بالترحيب باستثناء بريطانيا، فأصبحت الحملة لا رجعة فيها.
- قامت فرنسا بتجنيد كامل قواتها العسكرية للمشاركة في الحملة والمقدرة ب 70 شخص منهم 40 ألف عسكري، أما الأسطول البحري مقسم الى 3 وحدات بحرية وحدة خاصة بالإنزال والوحدة الثالثة هي وحدة الاحتياط، ويضم الأسطول السفن الحربية إلى جانب أكثر من 400 سفينة شراعية مخصصة لنقل المواد الغذائية.
- كانت بداية الصعود بتاريخ 11 ماي 1830 صباحا من ميناء تولون وأخر يوم هو 16 ماي اي ان مدة الركوب دامت 5 ايام¹.

36

¹. Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 jusqu'à 1848, op.cit,, p. 11.

- أعطيت إشارة الانطلاق يوم 25 ماي على الساعة الثانية زوالا. من سفينة قائد الأسطول الرائد(أميرال) دوبيري.
- كانت للرياح العكسية التي هبت أثناء قطع الأسطول للبحر تأثير حيث اخر في عملية إنزال القوات الفرنسية.
 - عين د يبرمون قائد الحملة العسكرية.
- حينما علم الداي حسين بالحملة، أسرع للاستنجاد وطلب المساعدة العسكرية من البايات الثلاث وكذا من الدول المجاورة (تونس، المغرب وطرابلس)، الا ان الداي لم يتحصل على اي مساعدة الدول المجاورة، فكان عليه الاعتماد على القوات المحلية.
- القى الاسطول الفرنسي مرساه على شاطئ سيدي فرج مساء 13 جوان ومن سخافة الداي وقادته العسكريين أنه لم تحدث مقاومة فعلية باستثناء بعض الطلقات المدفعية الموضوعة فوق تلال البريجة (سطاوالي) واصابة فرد من لقوات الفرنسية ليعم السكوت حين غروب الشمس.
- عند فجر يوم 14 جوان وبالذات على الساعة الرابعة صباحا، أعطى الضوء الأخضر للقوات الفرنسية للنزول على الأرض (ساحل سيدي فرج) وإجبار القوات المحلية التراجع للوراء وترك المجال للقوات الفرنسية، حيث استمر الإنزال طيلة يوم للقوات الفرنسية والأسلحة والمؤونة... (معركة سيدي فرج). أما يوم 15 تم إنزال كامل المعدات والمستلزمات...)،
 - وفي 17 جوان، سيطر الأسطول الفرنسي على كامل ساحل سيدي فرج.
- وفي 18 جوان، نزل كامل الجيش الفرنسي، وتمكن من السيطرة على مرتفعات المنطقة وعلى كامل شبه جزيرة سيدي فرج. كما استحوذ على مدفعية برج تور شيكا (Torre-Chica) الذي حول الى مركز القيادة العسكرية للقوات الفرنسية.

- وبعدها شرعت الهندسة العسكرية إقامة معسكر كبير ليكون مركزا للقوات الفرنسية للتخطيط العسكري للشروع في التوسع الى غاية إسقاط السلطة والاستلاء على مقرها.
- تحسبا للتوسع وتقدم القوات الفرنسية اتجاه المدينة ولتصدي لها تجمعت قوات ايالة الجزائر تحت قيادة ابراهيم أغا والمتكونة من قوات البايلك الثلاث زائد شيوخ القبائل بقواتهم تحت امر بن زعموم بلغ عددهم بين 25 الى 30 ألف في سهل سطاوالي وإقامة حصن.

أ. معركة سطأولي 19 جوان 1830

تميزت المعركة بقيام القوات الجزائرية بقيادة إبراهيم أغا بتعداد 40.000 من افراد وعتاد عسكري في صبيحة يوم 19 جوان بعد توغلها في الضباب الكثيف بشن هجمات متتالية على الخطوط الأولى للقوات الفرنسية بتقدم المشاة واطلاق النار ثم تبعها الفرسان والحاق خسائر في صفوف القوات الفرنسية إلا أن القوات الفرنسية تصدت لها ودامت الهجمات 20د، لترد القوات الفرنسية المدعمة بالمشاة والمدفعية بهجوم شامل لتلحق هزيمة نكراء بالقوات الجزائرية بانسحابه كليا تاركة المعسكر الجزائرية تكسوه الجثث، وتسيطر القوات الفرنسية على المعسكر وتضع يدها على كل ما وجد في المعسكر: 8 المدافع البرونزية كبيرة عيار، 400 خيمة، المجوهرات، الذخيرة الحربية، العديد من قطعان الإبل والأغنام، انه يوم لا ينسى، بينما قدرت خسائر العدو قتل اكثر من 60 عسكري وجرح ما يفوق 500، وبسيطرة القوات الفرنسية على معسكر ابراهيم أغا، قضى

¹. Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 j'jusqu'à 1848, op.cit.,

p. 8.

الجنرال دي بورمون ليلته في خيمة ابراهيم أغا، كما أقامت القوات الفرنسية معسكرها في شراقة، وقد أعطى الانتصار الفرنسي في معركة سطاوالي الثقة والشجاعة للجيش الفرنسي مما حفزه على التقدم نحو مدينة الجزائر.

ب. معركة سيدى خالف 24 جوان 1830م

- بانسحاب القوات الرسمية من معسكر سطاوالي وترك المجال للقوات الفرنسية التي أقامت فيه معسكرها، وتقابلها القوات الجزائرية بقيادة قائد جديد وهو باي التيطري (مصطفى بومزراق) على بعد 3 كلم في مرتفع (هضبة سيدي خالف) حيث يوجد ضريح الولي الصالح سيدي خالف.

كانت هذه المرة المبادرة من دي بورمون بشن العمليات العسكرية، ففي فجر 24 جوان، شنت الفرق الفرنسية هجومها باتجاه القوات الجزائرية المتجمعة في سيدي خالف التي اجبرتها من الانسحاب والتراجع من منحدر لأخر الى غاية مرتفعات التي تطل على مدينة الجزائر (الابيار وبوزريعة).

وفي الساعة الرابعة زوالا، تقدمت القوات الفرنسية الأمامية نحو مدينة الجزائر ووصلت الى بني مسوس صانعة خط يمتد من حوش دلي ابراهيم الى حائط بوزريعة بجانب الولي الصالح سيدي بوناقا بالذات في بني مسوس.

كانت هذه المعركة عنيفة على القوات الفرنسية حيث فقد دي بورمون أحد أولاده الأربعة وهو اميدي دي بورمون (Amédée De Bourmont) الابن الثاني.

ت. معركة برج الامبراطور (28 جوان)

بتقدم القوات الفرنسية نحو مدينة الجزائر، اصطدمت بمدفعية البرج العسكري وبدأت الاشتباكات، وتموقعت القوات الفرنسية أمام برج الامبراطور (مولاي حسان)

(المبني في ترتقان، يرجع تاريخه الى حملة شارلكان على مدينة، حيث شرع القوات البحرية في تحصين المكان للتصدي للغز والمسيحي، ولكن تمكن القوات الاسبانية من السيطرة على المرتفع حيث اقيمت خيمة شارلكان في هذا المكان، ليعطي الضوء الاخضر لبنائه في الليل لذا يطلق عليه العرب خلال هذه الفترة بحصن بوليلة، وبعد ان تمكن الأتراك السيطرة عليه اعيد بنائه خلال 4 سنوات ليعطي اسم برج مولاي حسان).

- على بعد أمتار من مدينة الجزائر، في 28جوان، وقعت اشتباكات بين القوات الجزائرية والقوات الفرنسية الأمامية بعد تعزيز وتدعيم موقعهم قرب برج الإمبراطور.
- وفي 29 جوان تمكنت القوات الفرنسية من السيطرة على مراكز التي كانت تسيطر عليها القوات الجزائرية قرب البرج، ليقيم دي بورمون قيادته العسكرية في عين المكان وتعزيز مركزها بحفر الخنادق وتوجيه المدفعيات اتجاه البرج ومحاصرته من كل الاتجاهات.
- وفي 1 جويلية، تعرض الحصن للهجوم والقصف، وفي نفس اليوم، قام فوج من السفن الحربية الفرنسية بقيادة الاميرال روزافيل بالتقدم من ساحل مدينة الجزائر من جهة باب عزون وقصف الحصن وتفجيره، لتهيأ الطريق امام القوات البرية للهجوم للسيطرة عليه.
- وبسقوط البرج، خرجت الفرق العسكرية لبايلك الشرق والغرب من مدينة الجزائر
 وعائدة الى مراكزها.

وشك سقوط مدينة الجزائر وفتح المحادثات

وجهت مدفعيات برج باب عزون والقصبة قصفها في اتجاه برج الإمبراطور حيث تتمركز القوات الفرنسية، وفي يوم 2 جويلية تقوم من جهتها القوات الفرنسية مع

القوات البحرية قصف حصن باب عزون وساحة القصبة لتسكت مدفعيات القوات الجزائرية، الجزائرية حيث تتمكن القوات الفرنسية وضع يدها على مدفعيات القوات الجزائرية، وخوفا أن تتعرض القصبة إلى الدمار والخراب ومجزرة لسكانها، ما كان على الداي الا الاستسلام بفتح باب التفاوض والمحادثات من طرف ممثل له (الأمين العام لداي الجزائر وهو سي مصطفى) للاتصال بقائد الحملة (د يبرمون)، دارت المفاوضات كالتالى:

- اقتراح الداي " الاعتذار وفتح المجال للامتيازات الفرنسية وكذا تعويض فرنسا لكل خسائرها في هذه الحرب وعلى ان يبقي الداي سلطان الجزائر وسحب القوات الفرنسية".
- رد دي بورمون:" إن مصير مدينة الجزائر العاصمة والقصبة بين قبضتي، انني في موقف سيد لان برج الامبراطور وجميع المواقع الحساسة والمئات من المدافع الفرنسية والمدافع التي انتزعت من يدي الجزائريين تمكنني في غضون ساعات من تحويل مدينة الجزائر والقصبة الى خراب ودمار، وبعدها سوف يتعرض كل قصر الداي والسكان الى عملية الاقتحام. وإذا أراد حسين إنقاذ حياته وحياة الأتراك وسكان المدينة، فعليه الا الاستسلام وتسليمه القصبة وجميع حصون المدينة والحصون الخارجية في الحين "

حيث طلب المفوض على ان تكون هذه الشروط موثقة من يد القائد ومؤشرة ومختومة لان خاف ابراهيم من الداي ان ينقل له الخبر.

• من جهتهم قام الإنكشاريين(الديوان) منزعجين من سياسة الداي اتجاه فرنسا إرسال مفوض للقائد العسكري طالبين منه التريث حيث وعدوا بخلع الداي وفتح ابواب الجزائر للامتيازات الفرنسية" الا ان القائد لم يعترف بمفوض الديوان واشترط ان تكون المفاوضات مع الداي فقط.

• كما اتصل بالقائد مرسلين أندلسيين من الرجال الأثرياء في الجزائر يحسنون اللغة الفرنسية للوساطة والتوسل له حتى لا يقصف المدينة.

كون دي برمون مجلس من الضباط لتحرير الشروط حتى لا تتعرض المدينة للخراب ثم لاقتحام، هذه الشروط هي بمثابة مشروع معاهدة الاستسلام حيث تصبح وثيقة رسمية بعد التوقيع عليها من طرف الداي.

ث. اتفاقية الاستسلام المبرمة بين قائد الحملة (دي برمون) وحاكم ايالة الجزائر الداي حسين

نصت المعاهدة على ما يلى:

- تسليم حصن القصبة وجميع حصون مدينة الجزائر وكذا ميناء المدينة للقوات الفرنسية هذا الصباح على الساعة العاشرة بتوقيت فرنسا.
- يلتزم قائد أركان القوات الفرنسية بمنح داي الجزائر الحرية الكاملة وكامل ممتلكاته الشخصية. 1
- تمنح للداي لحرية للانسحاب رفقة عائلته وممتلكاته إلى أي مكان يريد الإقامة فيهو طالما هو موجود في الجزائر هو وعائلته يكون تحت حماية قائد القوات الفرنسية، يخصص له حراسة لضمان أمنهو كذا امن عائلته.
 - يضمن القائد العام لكامل جنود المليشيات نفس المزايا ونفس الحماية.
 - حرية ممارسة وأداء العقيدة المحمدية.

42

¹ Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 j'jusqu'à 1848, op.cit, p. 7.

• تعهد القائد القوات بشرفه على احترام حرية السكان بجميع شرائهم، ولا يتم اختراق دينهم، تجارتهم، صناعتهم واحترام نسائهم. بعد توقيع الاتفاقية من جانب الداي لم يبق طويلا ليشد الرحال الى نابولى مطأطئ الرأس.

المحاضرة الثالثة: ظهور الزعامات الوطنية ودولة الأمير عبد القادر

عناصر المحاضرة:

- 1- ظهور الزعامات الوطنية.
 - 2- دولة الأمير عبد القادر.

مقدمة:

بعد توقيع الداي حسين على اتفاقية الاستسلام وتسليم مفاتيح مدينة الجزائر الى القوات العسكرية بقيادة دي بورمون، شد الرحال الى نابولي مطأطئ الرأس مع حاشيته وعائلته الى جانب الإنكشاريين تاركا ورائه الحكم والسلطة شاغرة دون ان ليجر كذلك الإنكشاريين على معادة الجزائر. السؤال المطروح من يملئ الفراغ؟

1. ظهور الزعمات الوطنية:

بتسليم داي حسين حاكم ايالة الجزائر مفاتيح المدينة لدي بورمون بعد توقيع على اتفاقية 5جويلية 1830 م وبالتالي أصبح كرسي الحكم شاغرا، ظهرت شخصيات التي كانت متحمسة للزعامة كان أول من حاول ان يمسك بالزعامة بعد رحيل الداي حسين باي التيطري بحكم ان اقليم هذا الاخير قريب من دار السلطان اي مدينة الجزائر، شارك بومزراق في التصدي للحملة الفرنسية ومن اهم معارك الذي قادها

معركة "سيدي خالف 24 جوان 1830م" 1، تمكن بومزراق تكبيد القوات الفرنسية خسائر جسيمة في الارواح ومنهم ابن دي بورمون ولكن عجزت القوات الجزائرية القاف الزحف الفرنسي على مدينة الجزائر.

عاد بومزراق لبايلك "تيطري" عازما على مواصلة المقاومة، ففي 2 اكتوبر، جهز جيشا قويا وزحف الى المتيجة في اتجاه مدينة الجزائر الا ان القوات الفرنسية تفطنت لهو تصدت له وتابعته الى المدية، فوجد نفسه محصورا من الجنوب الصحراء التابعة لأحمد باي عدوه و من اسمال القوات الفرنسية ما ادي بتسليم نفسه الى القوات الفرنسية في 3 نوفمبر 21830.

وبعد تسليم بومزراق أصبح التيطري دون ولي فكان التنافس بين احمد باي والامير عبد القادر على بايلك التيطري. اما في شرق الجزائر (بايلك الشرق)، بعد عودة احمد باي من مدينة الجزائر بعد مشاركته في مواجهة الحملة الفرنسية، واستقر في بايلك قسنطينة واصراره على المقاومة، حاول أحمد باي العديدة من المرات إقناع السلطان العثماني بالاعتراف به واليا على الجزائر، وإمداده بمساعدات عسكرية يستعين بها على قتال الفرنسيين، لكنه لم يحصل منه سوى على وعود وتشجيعات وذلك خوفا من فرنسا، اما غربا كما تخلي الباي "حسن" الذي كان يحكم ايالة الغرب عن السلطة يوم جانفي 1831، وقد جاء هذا الاستسلام للعدو بعد أن قام الجيش الفرنسي باحتلال ميناء المرسى الكبير يوم 4 جانفي 1831.

¹. Sans auteur, Victoires et conquêtes des français en Afrique depuis 1830 jusqu'à 1848, op.cit., p.15.

 $^{^2}$ Henri jean F. Edmond Pélissier de Reynaud, Annales Algériennes, Paris,1954, chap.1, p.148.

تميزت هذه المرحلة بالثورات والمقاومات الشعبية، الانتفاضات وعمليات الاعتداء على مصالح وممتلكات الوجود الأجنبي الفرنسي الذي خاض عقود من الحروب لإنهاء مقاومة الشعب الجزائري في الوقت الذي كان يتوقع استسلام الأهالي بسهولة، فكانت مقاومة الشعب الجزائري عنيفة ودامية، وقال أنجلز في غضون هذا الموضوع ما يلي: " قد تم احتلال الجزائر الا بعد اخضاعها منزل بمنزل سواء في مدينة صغيرة أو كبيرة وحدث ذلك بعد تضحيات لا تحصى ولا تقدر من سكان الأهالي لان القبائل العربية والأمازغية تري في السيادة والاستقلال شيء مقدس وكانت تفضل التضحية بالنفس والنفيس على الاهانة والسيطرة، تعرضت هذه القبائل لمداهمات وغارات رهيبة حيث أحرقت ودمرت منازلهم وممتلكاتهم وكما أتلفت محاصيلهم الزراعية على آخرها أما السكان المتواجدين في هذه الأماكن تعرضوا لأبشع الجرائم وأساليب القمع والاضطهاد1، والأمثلة كثيرة التي تعكس الشراسة والوحشية الغزاة المتمثلة في أقوال الجنرالات الفرنسيين المشاركين في التوسع تتاولها الكثير من الكتاب ومن أشهر السفاحين الكونت هريسون الذي قاد عدة حملات التوسع وتكلم عن حملة إجرامية، دموية انتهت بملء برميل من الأذان تم اصطيادها زوجيا، إضافة لذلك تعرضت القرى للنهب والتخريب والحرق، فهي تدخل في سياسة إبادة الأهالي وتعويضهم بالمستوطنين مثلما فعلها الأمريكيون مع الهنود الحمر 2. كان من رواد المقاومة الشعبية رجل عسكري ورجل دولة وهو الأمير عبد القادر الذي لم يستسلم إلا سنة 1847م وفق شروط وبعد خيانة فادحة من الداخل (القبائل العربية) والخارج (السلطان المغربي)، وان كانت هذه الاخيرة في الغرب فان شرق

¹. Karl Marks, Friedrich Engels, textes sur le colonialisme, éditions Moscou : Edifions du progrès, Paris, 1977, p.190

². Lacoste, Nouschi, Prenant, L'Algérie, passé et présent, Editions sociales, Paris, 1960, P.305.

الجزائري هو والاخر عرف مقاومة تحت رئاسة أحمد باي، كما كانت الجزائر مسرحا للمعارك والانتفاضات والثورات عبر كامل مناطق حسابها. استمرت المقاومات الشعبية بعد استسلام عبد القادر ولكنها لم تكن عنيفة وعلى نطاق واسع من ارض الجزائر بل كانت ظرفية، محددة، سريعة الإخماد، وأستمر الوضع هكذا إلى غاية الانتفاضة الكبرى لسنة 1870م بقيادة الإخوة الحداد والمقراني المنتميان للطريقة الرحمانية التي كانت شرارتها الأولى في قسنطينة لتمتد إلى القبائل ثم الغرب والأطلس الصحراوي، وقد شارك في المقاومة المئات الآلاف من المقاومين الجزائريين أي حوالي ثلثي البلاد، انتهت مقاومة 1871م بالانهزام والاستسلام. اتسمت عموما المقاومات المسلحة التي خاضها الشعب الجزائري طيلة القرن 19 ا بخصوصيات منها نقص التنسيق والتنظيم، وعدم شموليتها، وجرت في ظروف معينة محليا (ضعف الوعى القومي، النظام القبلي، نقص في العتاد العسكري...) ودوليا (الظاهرة الاستعمارية)، هو ما جعل المقاومة الشعبية الجزائرية تفشل في تحقيق هدفها، عكس ثورة المنتصف الثاني من ق 20 التي جرت في ظروف مغايرة تماما التي كللت بتحقيق هدفها وأمال الشعب الجزائري. إن كانت مقاومة الأمير ومقاومة 1871 من المقاومات العنيفة والقوية ضد المحتل الفرنسي إلا أن المقاومات الشعبية الجزائرية لم تتوقف رغم أنها كانت محلية وظرفية واستمرت إلى غاية الحرب العالمية الأولى ومن أهمها مقاومة 1872م التي عرفتها منطقة جنوب قسنطينة (بسكرة، تقرت وورقلة) وثورة الزيبان (بسكرة) في سنة 1876م، وثورة الأوراس سنة 1897، وفي سنة 1881 في جنوب وهران، وفي سنة 1882 في المزاب، كما لم تتوقف الاعتداءات الشعب الجزائري على المحتل حيث سجلت سنة 1895م 8389 عملية الهجوم على الممتلكات التي استحوذ عليها الأوروبيون أ.كما تم تسجيل بين 1886

¹. Charles Robert Ageron, Les musulmans Algériens et la France, tome 2, P.U.F,

إلى 1894م ما يقرب من 51077 عملية اعتداء من نفس النوع اي بمعدل 5675 عملية كل سنة. كما تصدى سكان الطاسيلي والهقار وكل سكان الصحراء للغزو الفرنسي أثناء توسعه سنة 1902 و 1903م، كما عرف شرق الجزائر غليان سنة 1908م، أما سنة 1916م فقد شهدت حركة مناهضة للتجنيد الإجباري المفروض علي الشباب الجزائري والتي مس مناطق مختلفة من الجزائر،:قسنطينة، التيطري وغرب الجزائري، حمل سكان بني شقران السلاح للتعبير عن رفضهم التجنيد الإجباري واشتبكوا مع القوات الفرنسية، أما في الشمال القسنطيني تعرضت عدة مزارع المسلوبة من قبل الأوروبيين لهجمات وتخريب من قبل سكان المنطقة تعبيرا عن رفضهم لسياسة التجنيد، كما ثارت الزاوية السنوسية في جنات (الصحراء) سنة عن رفضهم التجنيد الإجباري حيث تم الاعتداء علي قوافل الناقلة للمجندين من اجل جهتهم التجنيد الإجباري حيث تم الاعتداء علي قوافل الناقلة للمجندين من اجل تحريرهم. كما ثارت قبائل التوارق الهقار سنة 1917 و 1918م بشن هجمات على بعض القوات الفرنسية بين منطقتي ورقلة وتمنراست التي أسفرت بالقضاء على بعض الكتائب الفرنسية

2. دولة الامير عبد القادر:

أتبع الأمير استراتيجية محكمة ومدروسة لتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة يظهر ذلك من خلال ما يلى:

• توحيد الصف

عندما تولى عبد القادر الإمارة، كانت الوضعية الاقتصادية والاجتماعية صعبة، لم يكن له المال الكافي لإقامة دعائم الدولة إضافة إلى وجود معارضين لإمارته، ولكنه

Paris, 1968, p.553.

لم يفقد الأمل إذ كان يدع وباستمرار إلى وحدة الصفوف وترك الخلافات الداخلية ونبذ الأغراض الشخصية...كان يعتبر منصبه تكليفا لا تشريفا، وفي نداء له بمسجد معسكر خطب قائلا: «إذا كنت قد رضيت بالإمارة، فإنما ليكون لي حق السير في الطليعة والسير بكم في المعارك في سبيل "الله"...الإمارة ليست هدفي فأنا مستعد لطاعة أيّ قائد آخر ترونه أجدر منّي وأقدر على قيادتكم شريطة أن يلتزم خدمة الدين وتحرير الوطن".

إن وحدة الأمة جعلها الأمير هي الأساس لنهضة دولته واجتهد في تحقيق هذه الوحدة رغم عراقيل الاستعمار والصعوبات التي تلقاها من بعض رؤساء القبائل الذين لم يكن وعيهم السياسي في مستوى عظمة المهمة وكانت طريقة الأمير في تحقيق الوحدة هي الإقناع أولا والتذكير بمتطلبات الإيمان والجهاد، لقد كلفته حملات التوعية جهودًا كبيرة لان أكثر القبائل كانت قد اعتادت حياة الاستقلال ولم تألف الخضوع لسلطة مركزية قوية. بفضل إيمانه القوي انضمت إليه قبائل كثيرة بدون أن يطلق رصاصة واحدة لإخضاعه بل كانت بلاغته وحجته كافيتين ليفهم الناس أهدافه في تحقيق الوحدة ومحاربة العدو، لكن عندما لا ينفع أسلوب التذكير والإقناع، يشهر سيفه ضد من يخرج عن صفوف المسلمين أو يساعد العد ولتفكيك المسلمين، وقد استصدر الأمير فتوى من العلماء تساعده في محاربة أعداء الدين والوطن، ولم ينحصر وجوده في إقليم وهران بل توسع على سهل الشلف وإقليم التيطري الغاية سطيف واسترجع معسكر وتلمسان.

حاول توحيد القبائل وإعطاء بعدا وطنيا وعمل من اجل تحقيق الوحدة الوطنية تقوم على مقومات الدين وطرد الأجنبي الكافر (اي الاستقلال)، ويقوم على تأسيس دولة، حيث أنشأ مؤسسات ذات أبعاد بالغة الأهمية تهدف إلى إعطاء الجزائر وشعبها نوع

⁴⁵ ص بوعزيز ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الجزائر 1964، ص 1

من الوحدة الوطنية وانشأ بين القبائل رابطة التضامن الإداري وتحقيق العدالة واحترام قوانين اللهو السنة النبوية، لذا حينما أعلنت فرنسا الحرب سنة 1841م ليس ضد زعيم وإنما ضد دولة في طور التكوين أهتم عبد القادر بتنظيم البلاد بعد اعتراف فرنسا انه سلطان العرب بتحويلها من قبائل الى شعب موحد، كما شرع في حملة على التيطري لإجبار قبائلها الخضوع لسيادته و دفع الضرائب، هذه القبائل كانت تشكل قوة تعرقل مشروع الأمير، تقع هذه القبائل جنوب بوغار وهي: أولاد نايل، أولاد المخطار، دواوير التيطري، أولاد عبيد، أولاد موسى والزناخرة، رفضت هذه القبائل ان تخضع لسيادة الامير ورفضت دفع الضرائب، وجه لهم الامير رسالة كأخر إنذار للخضوع إلا أنه لم يتلق أي جواب. أعلن الامير الحرب عليهم بعدما جمع كامل قواته عبر الأقاليم المسيطر عليها وتمكن من إخضاعهم. في الوقت الذي حقق فيه الأمير الانتصار في الجنوب.

الاهتمام بالأخلاق ومحاربة التبذير: قام الأمير بإصلاحات اجتماعية كثيرة، فقد حارب الفساد الخلقي بشدّة، ومنع الخمر والميسر منعًا باتا ومنع التدخين ليبعد المجتمع عن التبذير، كما منع استعمال الذهب والفضة للرّجال لأنّه كان يكره حياة البذخ¹.

تكوين الجيش: كان الأمير يرمي إلى هدفين: تكوين جيش منظم وتأسيس دولة موحدة، وكان مساعدوه في هذه المهمة مخلصون. لقد بذل الأمير وأعوانه جهدًا كبيرا لاستتباب الأمن، فبفضل نظام الشرطة الذي أنشأه قُضِي على قُطّاع الطرق الذين كانوا يهجمون على المسافرين ويتعدّون على الحرمات، فأصبح الناس يتنقّلون في أمان وانعدمت السرقات. ان إنشاء عبد القادر لحصون في المناطق الداخلية من الجزائر (السلسلة الأطلسية) بوغار، تازا، سعيدة وتقدمات) لها دلالة وابعاد حيث

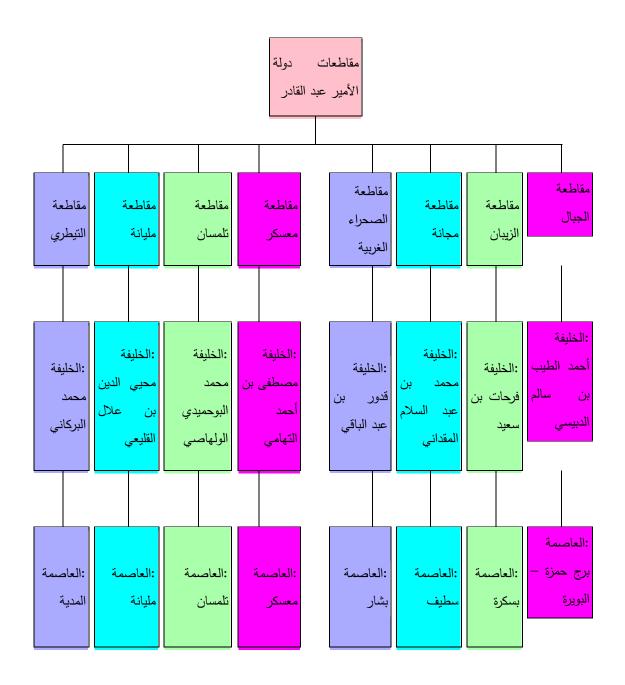
¹ يحي بوعزيز، المرجع السابق

يدخل في الدفاع عن السيادة الوطنية كما له ابعاد سياسية واقتصادية واقامة الصناعة الحربية لتقوية قواتها في المناطق الداخلية (تاقدمت، بوغار، تازا، سعيدة) ، كما انشأ جيش نظامي على طراز الدول الحديثة.

تنظيم إدارة الدولة: قسم الأمير التراب الجزائري إلى 8 وحدات أو مقاطعات وهي: مليانة، معسكر، تلمسان، الاغواط، المدية، برج بوعريريج، البويرة، بسكرة، سطيف.

ولقد شكل الأمير وزارته التي كانت تتكون من 5 وزارات وجعل مدينة معسكر مقرّا لها، واختار أفضل الرجال ممّن تميّزهم الكفاءة العلمية والمهارة السياسية إلى جانب فضائلهم الخُلُقِية، ونظم ميزانية الدولة وفق مبدأ الزكاة لتغطية نفقات الجهاد، كما اختار رموز العلم الوطني وشعار للدولة (نصر من اللهو فتح قريب) وكان أحمد بن سالم خليفة على "مقاطعة الجبال" ضمن هذه المقاطعات الثمانية في دولة الأمير عبد القادر الجزائري الظاهرة في المخطط التالي:

¹. Paul Fournier, l'état d'Abdelkader et sa puissance en 1841, d'après le rapport du sous-intendant militaire Massot, revue d'histoire et contemporaine, 1967, pp.123-157.



المحاضرة الرابعة: مقاومة الامير عبد القادر 1833-1847.

عناصر المحاضرة:

- 1- الوضع العام في المنطقة الوهرانية قبل الاحتلال اي سنة 1832
 - 2− بدایة مقاومة الامیر عبد القادر.
 - 3- مراحل مقاومة الامير عبد القادر:
 - أ- مرحلة الانطلاق والقوة (1832-1837):
 - ب مرحلة بناء دولة الامير عبد القادر (السلم والهدوء)
 - ت مرحلة الضعف والتراجع واستسلام الامير.

1. الوضع العام في المنطقة الوهرانية سنة 1832 م اي قبل المقاومة:

كان الإقليم الغربي للجزائر يتسم بفراغ سياسي وعدم الأمن، نتيجة تخلي الباي "حسن" الذي كان يحكم ايالة الغرب عن السلطة يوم 7 جانفي 1831، وقد جاء هذا الاستسلام للعد وبعد أن قام الجيش الفرنسي باحتلال ميناء المرسى الكبير يوم 4 جانفي 1831

ومن جهة أخرى بعث حضر سكان تلمسان بوفد إلى السلطان المغربي " عبد الرحمن بن هشام " يطلبون منه الحماية وبعد تردد قبلها، فأرسل في شهر نوفمبر 1830 خليفته مولاي سليمان رفقة قوة من الجيش المغربي ليتولى حكم تلمسان، فاحتج الجنرال كلوزال على هذا التدخل في الجزائر وهدد المملكة المغربية، إلا أن سلطان المغرب لم يأخذ تهديداته بجدية وواصل عمله، وعندما توسع نفوذ المغرب في الغرب الجزائري شعر الفرنسيون هذه المرة بالخطر الذي أصبح يهدد مصالحهم ونفوذهم في الجزائر، فبعثت الحكومة الفرنسية مذكرة احتجاج وأرسلت الى سواحل مدينة طنجة المغربية يوم 18 نوفمبر 1831 سفينتين حربيتين، وأمام هذا الضغط

الدبلوماسي والعسكري استسلم في الأخير السلطان المغربي لأوامر الملك الفرنسي " لويس فليب " وسحب قواته من التراب الجزائري.

ومن جهة أخري، كانت الاقليم مقسمة ومشتتة الى 5 مناطق تحت تأثير شخصيات: في الشرق قرب حوض الشلف كانت تحت تأثير سي العربي (-Sy-el) الملقب (Aribi أما ي الغرب (تلمسان) تحت زعامة بن نونة (Ben-Nouna) الملقب بالخليفة، في الشمال قرب وهران تحت تأثير مصطفى بن اسماعيل ابن المزاري قائد المخزن سابقا. في الجنوب الشيخ الغماري قائد القبيلة الكبيرة (الانكاد)، أما في الوسط يسيطر محي الدين.

ولملء الفراغ السياسي في الغرب الجزائري بادر الجنرال كلوزال إلى تعيين باي تونس حاكما على وهران بموجب الاتفاقية التي تمت بين الطرفين يوم 4 فيفري 1831، وهذا مقابل دفع ضريبة سنوية لحكومة فرنسا. إلا أن قوات باي تونس انسحبت بسبب عدم وجود أية سلطة تدفع رواتبهم وكذلك بسبب استياء باي تونس من المبلغ المالي الكبير الذي يدفعه الى فرنسا. وهناك بعض الروايات تقول أن قوات باي تونس انسحبت لأنه وجد أمامه خزينة فارغة من الأموال. 1

وأمام هذا الوضع القائم في اقليم الغرب الجزائري التجأ سكانه إلى شيوخ الزوايا ولم يجدوا أفضل من الشيخ محي الدين كقائد يوحدهم ويقود المقاومة، فطلبوا منه الامارة فرفضها وقبل الجهاد في سبيل الله.

¹ هنري تشرتشل: حياة الأمير عبدالقادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله،....الجزائر،1975.ص 45

2. بداية مقاومة الأمير عبد القادر:

أ. كقائد في صفوف جيش والده:

أظهر عبد القادر في مشاركته بجانب والده محي الدين في المعارك الذي خاضها هذا الأخير ضد القوات الفرنسية في وهران كمعركة خنق النطاح الأولى يوم 4 ماي 1832م ومعركة خنق النطاح الثانية في 4 جوان 1832 الفنون الحربية والبراعة في الفروسية والشجاعة حيث ابهر رفاقه في المعارك.

- بيعة الأمير عبد القادر: بعد المعارك الذي خاضها الجزائريين في الغرب وشارك فيها عبد القادر تيقنوا بأن المعركة مازالت طويلة مع العد ومن جهة، وأن الاقليم محتاج إلى شخص ينظم إدارته من جهة أخرى. ولهذا عرضت قبائل وأعيان الغرب للمرة الثانية من الشيخ محي الدين الامارة بتاريخ 22 نوفمبر 1832، قائلين له " إلى متى الثانية من الدين ونحن بلا قائد؟ إلى متى وأنت واقف جامد متفرج على حيرتنا. أنت يا من يكفي اسمه فقط يجمع كل القلوب لتدعيم وتماسك القضية المشتركة..." وقد أضاف أحد الحاضرين قائلا لمحي الدين " عمت الفوضى في البلاد والعد ودخل المساجد، وأحرق الكتب، وهدم الدور على أصحابها، ولابد من سلطان له سلطة شرعية، وقد اخترناك لتحمل هذه المسؤولية." لكن الشيخ محي الدين اعتذر مرة أخرى لكبر سنه وقال «أشكركم على ثقتكم وأعتذر عن عدم قبول هذا المنصب، فأنا الآن أقوم بواجبي الديني والوطني مجاهدا في سبيل الله كأي أحد منكم." وفي ذات الوقت لم يمانع في ترشيح ابنه قائلا " إن كان رأيكم وثقتكم بولدي عبد القادر كرأيكم بي فأنا متنازل له عن هذه البيعة، فتشاوروا فيما بينكم، وإذا عقدتم العزم فموعدنا في سبل عريس تحت شجرة الدردار صباح الاثنين 27 نوفمبر 1832." وهذا ما حدث سهل غريس تحت شجرة الدردار صباح الاثنين 27 نوفمبر 1832." وهذا ما حدث

بالفعل فقد تمت مبايعة الأمير عبد القادر في نفس المكان وفي نفس الموعد، بايعوه بالإمارة ولقبوه ب " ناصر الدين " وكانت هذه البيعة الأولى.

وبعد البيعة الأولى، وقعت بيعة ثانية (البيعة العامة) في قصر الإمارة بمعسكر في 4 فيفري 1833.

ب. بداية مقاومة الأمير عبد القادر كأمير وقائدا للجهاد:

كان قبول الامير البيعة وان يكون امير للمسلمين ليس من باب الشرف والمنصب ولكن لقيادة الجهاد والمقاومة، فما هي دوافع مقاومة الأمير؟

دوافع مقاومة الأمير عبد القادر:

- بداية توسع الجيش الاستعماري الفرنسي في الغرب بعد احتلال وهران في 4 جانفي 1831.
 - اشتداد الحاجة إلى قيام دولة جزائرية تقود الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين.
- الغيرة الشديدة على الدين الإسلامي والوطن والحرص على صيانة أسس المجتمع الجزائري.
- انتشار الفوضى في المناطق الغربية، وحرص الأمير على توحيد القبائل وتنظيمها. خاصة بعد تخلي الدولة العثمانية والدول الجارة عن نجدة الجزائر لمواجهة العدوان.

3. مراحل مقاومته:

مرت مقاومة الأمير عبد القادر بثلاث مراحل نلخصها فيما يلي:

1 . مرحلة الانطلاق والقوة (1832–1837): 1

سميت هذه المرحلة بالانطلاق لأنها شهدت بداية مقاومة الأمير عبد القادر للاحتلال الفرنسي كأمير وقائد للجهاد، وبداية بناء اللبنة الأولى للدولة الجزائرية الحديثة هذا من جهة، ووصفت من جهة أخرى هذه المرحلة بالقوة لأن ميزان القوة كان لصالح قوات الأمير حيث تفوق في أغلب المواجهات العسكرية بينه وبين العدو، وانتهت هذه المرحلة بإبرام معاهدة التافنة التي اعترفت فيها فرنسا بدولته.

وفيما يلي نستعرض أهم الأحداث التي شهدتها هذه الفترة:

اتخاذ معسكر عاصمة له، باعتبارها ان قبائل هذه المنطقة اختاروه قائد الجهاد ومنطقة انطلاق الجهاد. شرع الأمير في تشكيل حكومته في فيفري 1833، وتعيين القضاة، وتتصيب الولاة في مختلف أنحاء الإمارة، كما شكل مجلسا للشورى من 11 عالما، أنه كان يدقق في اختيار خلفائه وأعوانه، فكان يتحرى فيهم الكفاءة والقوة والتقوى. وبمرور الوقت أنشأ الأمير كذلك الدواوين والإدارات المركزية. عمل الأمير على توحيد القبائل حول مبدأ الجهاد وتحت سلطته، وانتزاع من الفرنسيين كثيرا من القبائل التي كانت قد تحالفت معهم، كما ألزمها بالتشبث بأرضها. وبالمقابل اعتبر المتعاونين معهم مرتدين عن الإسلام.

مقاطعة المحتلين ومحاصرة مراكزهم في وهران ومستغانم، وحملهم على الخروج من معاقلهم لقتال بالداخل، توسع نفوذ الأمير ليشمل كل الغرب الجزائري ماعدا وهران ومستغانم وأرزيو، كما توغل شرق وهران واخضاع كامل اقليم الشلف الى الونشريس شرع في تكوين جيش نظامي وطني، وأمر عبد القادر شيوخ القبائل العربية بعدم

76

¹ العربي إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر،1982. ص.

إجراء اي اتصال مع الفرنسيين والتعامل معهم كليا حتى تجاريا (اجراء حصار اقتصادي ضد القوات الفرنسية داخل مدينة وهران.

كما تمكن عبد القادر إخضاع مدينة تلمسان، ومنها توجه إلى مستغانم لمساعدة قبيلتين (الزمالة، الدوائر) في معركة خاضها دي ميتشال عليهما في أوت 1833م، وبدخول عبد القادر المعركة تمكن من تعديل التوازن لصالح العرب وتكبيد قوات العد وبخسائر فادحة.

فانتصار الذي حققه عبد القادر في أول معركة ضد قوات العد وجعلت عرب القبائل أكثر شجاعة وتمسكا وثقة بأميرهم الجديد. وكانت عنايته الأساسية موجهة للتخلص من كل العراقيل التي يمكن ان تهدد الصالح العام أو تضر بخطته العامة.

ترتب اللقاء الأول 4 فيفري 1834 واللقاءات التي تلتها (شرط عبد القادر وشروط دي ميشيل) الى التوقيع عن معاهدة بين الطرفين التي كانت في 26 فيفري.

2-محتوى الاتفاقية ديميشال:

المادة الأولى: توقف الحرب بين الفرنسيين والعرب منذ اليوم، وان القائد العام للقوات الفرنسية والامير عبد القادر لن يدخرا جهدا في الحفاظ على الاتحاد والصداقة التي بين شعبين حكما عليهما القدر أن يعيشا تحت نفس السلطة، ولها الغرض سيقيم ممثل والامير في مستغانم ووهران وأرزيو، ولمنع الصدام بين العرب والفرنسيين سيقيم ضباط فرنسيين في معسكر.

المادة الثانية: ان الدين وعادات العرب تبقى محل احترام.

المادة الثالثة: إطلاق جميع المساجين من الطرفين في الحال.

المادة الرابعة: حرية التجارة ستكون كاملة وشاملة.

¹ العربي إسماعيل المرجع السابق 88

المادة الخامسة: ان العسكريين الفرنسيين الفارين سيعيدهم العرب، ونفس الموقف سيتخذ ازاء كل العرب المجرمين الذين يفرون من قائلهم نح والفرنسيين تفاديا للعقاب فهؤلاء سيقبض عليهم في الحال ويسلمون الى ممثل الأمير في المدن الساحلية الثلاث المحتلة من الفرنسيين.

المادة السادسة: كل أوروبي سيعطى له في حالة الرغبة في سفر في داخل البلاد جواز سفر موقع عليه من ممثلي الأمير ومصادق عليه من طرف القائد العام، حتى يجدوا المساعدة والحماية في كامل الإقليم. اختراق معاهدة دي مشال وتجدد المعارك وانتصار كبير لعبد القادر في معركة المقطع28 جوان 1835م استئناف المواجهة والمعارك بين القوات الفرنسية وقوات الأمير بعد تعيين تريزال مكان دي ميشال على إقليم وهران في فيفري 1835م حيث كان معارضا لما نصت عليه الاتفاقية، رغم أن الحاكم العام الكونت ديرلون كان عكسه (غير معارض للاتفاقية)، وهوما لمسناه من الرسالة التي بعثها عبد القادر ولكن بزيارة الحاكم العام لإقليم وهران وقام الامير باستدعائه لفتح التفاوض معه إلا أن تريزل عرقل اللقاء وأقنع الحاكم العام على عدم الاستجابة للدعوى باعتبارها خطوة غير سياسية وفي غضون مارس 1935م دخلت كل من قبيلة الزمالة ودواوير في مفاوضات مع الجنرال تريزل، حيث اشترط عليهم تريزل للدخول في مفاوضات شريطة عودتهم مثل ما كانوا في عهد الاتراك اي "المخزن" "قوات تابعة للجيش الفرنسي"، علم الامير بواسطة قنصله في وهران" بن اكحو"، وافقت القبيلتين وتخلت على كل ممتلكاتها واقتربت من مدينة وهران "مسرغين" ويلتحق بها تريزل ليقيم فيها معسكر للدفاع عن القبيلتين وتم الاتفاق بينهما تحت اشجار التين"Figuier" وتم ابرام معهم اتفاقية التي تضمنت:10 مواد ومن اهمها المشاركة مع القوات الفرنسية اثناء الحملات في الجزائر ان هذه الاتفاقية هي التي كانت سبب في تجدد الحرب بين عبد القادر والقوات الفرنسية،فراسل عبد القادر تريزل موضحا انه إجراء مخالف لما نصت عليه الاتفاقية مع دي ميشال، فرد

هذا الأخير إن الأمر لا يتعلق بفرد عربي وانما قبائل بكاملها هي التي فضلت السلطة الفرنسية على سلطة الأمير. ويرى الأمير أن القوات الفرنسية اخترقت المعاهدة، ضيف إلى ذلك أن القوات الفرنسية حينما أصبح ينقصها الشعير أغارت على مزارع بنى هاشم والغرابة، لذلك أرسل عبد القادر فرسانه عند نهر السيق، وحين سمع تريزال خرج بقواته بتعداد يفوق 5000 عسكري ومعدات حربية في 26جوان 1835م، ليفاجئه عبد القادر في منطقة سيق، وتبدأ الاشتباكات في غابة "مولاي إسماعيل" لتتكبد القوات الفرنسية خسائر وقتل الكولونيل "أودينو"، وهو ما جعل القوات الفرنسية تتسحب حتى تتفادى خسائر أكبر. أنسحب الجنرال تريزيل في وقت متأخر من الظهر بصعوبة وحاول جمع وتتظيم قواته، وإقامة معسكره على حوض السيق ليقضى الليلة متأملا هزيمته الأولى التي ليست إلا مقدمة للكارثة الكبرى في المقطع، فكان على تريزل بذل كل طاقاته وفن حروبه للخروج من الحالة والوضعية الصعبة الذي يتخبط فيها، فكان من الصعب جدا ان يتجاوز الممر والغابة ليدخل الى السهل حتى يتفادى ويتجاوز المخاطر. بعد ان امضى ليلة 27 جوان في سيق، واصل تريزال في اليوم الموالي الانسحاب في اتجاه وهران، ولكن أصبح من جديد محصورا وصعوبة المرور عند نهر المقطع حيث قام عبد القادر بالإسراع لاحتلال المكان ويفاجئهم بهجوم مباغت ويلحق بهم هزيمة نكراء. يعتبر معركة المقطع هي احدى اكبر النكسات والخسائر المؤلمة التي تعرضت لها فرنسا خلال فترة احتلال وتوسع فرنسا على الجزائر ويقول عن المعركة انها بدأت في 25 جوان في غابة مولاي اسماعيل(غابة بين تليلات وسيق) وتستمر الى 26 بسقوط كولونيلOudinot وتنتهى يوم 28 جوان بهزيمة نكراء للقوات الفرنسية - نفس الاحصائيات وهي 280 قتيل، 500 جريح، 17 سجين مجموعة من العتاد الحربي. 1

معاهدة تافنة 30 ماي 1837 بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو:

بعد انتهاء من مهامه العسكرية بإخضاع معسكر وتلمسان، عاد كلوزيل إلى الجزائر وترك المهام لدرلانج ليفتح الطريق بين تلمسان ووهران بإقامة معسكر فرنسي في تافنة لشق الطريق نح وتلمسان لتموين القوات الفرنسية في تلمسان وكان ذلك في 1836م بقوات عسكرية 3200 والغرابة، رسم عبد القادر من جهته خطة لإفشال المشروع لذا تمركز بندرومة لمراقبة مدى انجاز المشروع وهران تافنة، تامسان.

خرج بارلانج لإنجاز المشروع، فعلم الأمير وأعطى أوامر القبائل العربية التجنيد لمواجهة برلانج وقواته، وظل الامير يترقب تقدم القوات الفرنسية الى ان وصل الى مكان طبيعي (هضبة) ليقوم بمحاصرة قوات برلانج في المكان لمدة تزيد عن 49 يوما حيث عانت القوات الفرنسية من الجوع والعطش ولم تتمكن من الخروج بسبب المحاصرة المفروضة من طرف قوات عبد القادر، فظل ينتظر النجدة الى ان غاية وصول بيج ورفقة 3 فرق عسكرية الوافدة من فرنسا لإنجاز مهمة فك الحصار تافنة وكذا تموين المعسكر الفرنسي في المشاور (تلمسان). بعد ان تمكن من فك الحصار على مركز تافنة اتجه صوب تلمسان من اجل التموين، اصطدم مع قوات الأمير في وادي سيكاك Ia Sikak عيث تكبدت قوات الأمير خسائر كبيرة مقدرة ب 250 وحجز 500 بندقية.

بعد هذه الهزيمة تخلت عنه القبائل والتحقت بديارها أما عبد القادر التحق بندرومة حيث يتمركز قواته النظامية. فخلال 7 أشهر، تمكنت القوات الفرنسية الدخول الى

-

¹ Paul Fournier, op.cit. pp.123-157.

معسكر، وتلمسان وأخيرا الحاق عبد القادر هزيمة نكراء في سيكاك، ولم يفقد الأمير الآمال وظل مصر أن يواصل الكفاح والجهاد الإسلامي رغم خيانة وتخلى الكثير من القبائل عن الأمير كلما تعرض للهزيمة.

تيقن كلوزال بعد الحملتين في منطقة وهران ان لا بد من احتلال المناطق التلية الموازية للمناطق الساحلية اي كل (قسنطينة، مليانة، معسكر وتلمسان) وعدم بقاء القوات الفرنسية محصورة عبر السواحل، لكن لتحقيق هذه الأهداف انتقل الى باريس لإقناع الحكومة بقبول هذا المشروع مع تدعيمه بقوة مقدرة ب ألاف عسكري،

ان تنظيم حملة على قسنطينة تساعد كثيرا شؤون عبد القادر لان في كلا الحالتين يرى عبد القادر انه يحقق انتصارا لان في حالة انهزام الباي، يمكن لعبد القادر ان يكون سلطان على كامل العرب ويتخلص من عدوه المحلي الذي يرى انه داي الجزائر بعد استسلام الداي حسين، أما في حالة الانهزام يجب على الكافر الفرنسي الانسحاب من الجزائر. نظرا لهده الاعتبارات لم يقوم عبد القادر بزعزعة القوات الفرنسية وإنما تركها وشأنها مع الحملة على القسنطينة.

وفي شهر نوفمبر من سنة 1836، شرع كلوزيل في محاصرة أحمد باي، امتتع عبد القادر من أي إجراء لأنه يرى في هذه الحرب هو المستفيد سواء خسروا ام انتصروا (انهزام احمد باي يعني التخلص من منافسه في الزعامة والسلطة وتدخل المنطقة الشرقية تحت سلطته) في حين ل وان احمد باي ينتصر يجعل الفرنسيون يغادرون الجزائر مما ينشب صراع بينه وبين احمد أحمد باي يكون شديد وطويل المدى.

فأغتم هذه الفرصة لتعزيز تواجده، خاصة بعد التجربة الحملة على معسكر وتلمسان، فذهب يعزز قواتها في المناطق المتأخرة القريبة من الصحراء الجزائرية ببناء حصون مستغلا الظروف وشرع في بناء حصن تاقدمت سنة 1836 وفي بوغار، سعيدة ومليانة. وبانهزام القوات الفرنسية في حملة قسنطينة نهاية 1936م، اغتنم عبد القادر الحالة والوضعية السيئة للجيش الفرنسي في الجزائر معلنا الحرب على الادارة

الفرنسية (شن الحجوطيين بقيادة بن صغير خليفة مليانة هجمات على ممتلكات الفرنسية في بوفاريك)، اما في الغرب تطبيق الحصار اقتصادي على مدينة وهران.

استغل عبد القادر موقعه القوي والوضع والحالة السيئة للقوات الفرنسية في الجزائر لإرسال قنصله السابق في مدينة الجزائر بن دوران اليهودي الى الجنرال (Brossard) لجس النبض حيث طرح الفكرة على الجنرال وهي التالية:" ان ثكنة وهران بحاجة الى قمح ولحم والأمير بحاجة الى حديد ورصاص، ويقوم كل واحد منكما بمنح الأخر ما يحتاجه و كل واحد يحقق ما يحتاج إلى ه، ويضيف قائلا ان عبد القادر يضل بعيدا عن هذا الاتفاق وأنا الذي يكون في الواجهة وأتكفل بكل علم المهام، فقط ان الأمير يكون على علم بأن اللحم موجه إلى كم وأنت تكون على علم ان الحديد يوجه الى الأمير، وافق الجنرال بروسار على الصفقة، فكانت هذه الصفقة في مصلحة الامير لتقوية جيشه، كما تجسدت الصفقة بتموين كل من مركز مشاور بتلمسان وثكنة وهران وفي المقابل تحصل الامير على الحديد والرصاص واستطاع اطلاق سراح 130 اسير لدى القوات الفرنسية، هكذا كان الوضع سائد في مقاطعة وهران.

حينما تم تعيين بيجوا في مقاطعة وهران حيث منحت له صلاحيات خاصة شبه مستقلة عن الحاكم العام الجديد الذي حل محل كلوزيل ودمديرون (Damrémont) وجدت الحكومة الفرنسية نفسها في مفترق الطرق بالنسبة للجزائر بعد اخفاقها في حملتها على قسنطينة وكذا إخفاقها في معركة المقطع، فرأت من الضروري الند للند إصلاح هذا الهزيمة مع إدراك فرنسا أنها تخسر أموال في حالة بقائها منحصرة في المناطق الساحلية، لذا أرادت تنظيم حملة على قسنطينة ولكنها متخوفة من المقاطعة الغربية حيث يتواجد الأمير لذا فكرت في إبعاده سواء عقد معه معاهدة أو القضاء على قواته. اختارت فرنسا التفاوض، يرجع الفضل إلى عبقرية يهودي(دوران) Ben الذي قام بدور الوساطة ليقرب بين الأمير وبيج ولفتح باب التفاوض، إلا

أن الأمير رفض التفاوض مع بيجو وانما التفاوض مع الحاكم دمدرون(Damrémont) لأنه صاحب السلطة في الجزائر، دار التفاوض على تكون الحدود عند الشلف، ولكن حينما سمع بيجو، لام الحاكم العام أن الشروط مبالغ فيها، فتوقفت المفاوضات. وصل الجنرال بيجو الى وهران نهاية مارس 1937م على رأس 9000 عسكري ليتوجه إلى تلمسان لتموينها ثم ينزل إلى تافنة الذي وصل إلى ها في 23 ماي 1937م دون أي اختلال خلال كل هذه المسافة إلا بعض الطلقات النارية من العرب، فخلال هذه الفترة، طلب الأمير من بن دوران أن يتصل ببيج وليبلغه انه مستعد للتفاوض معه عن منطقة وهران، أما منطقة التيطري والجزائر يخصها للحاكم العام، أصبح بيجو لا يثق في بن دوران لذا غير الوسيط ليعين شخصية مقربة إليه و هو سي حمادي بن سيل(-Sidi-Hamadi-Ben (Seal) ليأتي هذا الأخير باقتراحات أو شروط الأمير لتكون أساس التي تبني عليها الاتفاقية. ولكن السلطات الفرنسية حددت شروط للجنرال للتفاوض والمتمثلة في: الاعتراف الأمير بالسيادة الفرنسية، تحديد سلطة الأمير الى وادي الشلف، دفع الضرائب. إطلاق سراح الرهائن قبل التفاوض. ولكن بعد المد والجزر بين عبد القادر وبيج وتوصلا في الأخير إلى توافق الذي انتهى بتوقيع معاهدة تافنة التي تحتوي على 12 مادة وهي مؤشرة من طرف الجنرال بيجو والأمير عبد القادر.

المادة 1: يعترف الأمير بسلطة فرنسا في الجزائر 1

المادة2: يبقى لفرنسا في إقليم وهران: مستغانم ومزغران وهران وأرزيو وأراضيهما يحدها شرقا: نهر المقطع والبحيرة التي يخرج منها بخط ممتد من البحيرة المذكورة فيمر على الشط الجاري إلى الوادي المالح على مجرى نهر سيدي سعيد ومن هذا النهر إلى البحر بحيث يصير ضمن كل ما في هذه الدائرة من الأراضي الفرنسية. وفي إقليم الجزائر: مدينة الجزائر مع الساحل وارض متيجة يحد ذلك شرقا: وادي

1

القدرة وما فوقه وجنوبا رأس الجبل الأول من الأطلس الصغير إلى نهر الشفة فيكون ضمنه القليعة مع أراضيها بحيث يصير كل ما في الدائرة من الأراضي للفرنسيين.

المادة 3: على دولة الفرنسية أن تعترف بإمارة الأمير عبد القادر على إقليم وهران وإقليم التيطري والقسم الذي لم يدخل في حكم فرنسا من إقليم مدينة الجزائر لجهة الشرق بحسب التحديد المعين في المادة الثانية ولا يسوغ للأمير أن يمد يده لغير ما ذكر من ارض.

المادة 4: ليس للأمير حكم ولا سلطة على المسلمين من أهل البلاد المملوكة لفرنسا ويباح للفرنسيين أن يستوطنوا في البلاد التابعة لفرنسا.

المادة 5: إن العرب الساكنة في الأراضي الفرانسوية تمارس ديانتها بحرية تامة ولهم أن يبنوا جوامع بحسب مرتبهم الديني تحت رئاسة علماء دينهم الإسلامي.

المادة 6: على الأمير أن يدفع للعساكر الفرانسوية: ثلاثين ألف كيلة من الحنطة ومثلها من الشعير بمكيال وهران وخمسة آلاف راس من البقر يؤدى ذلك كله في مدينة وهران على ثلاثة قسوط الأول من غرة أغسطس (أوت) إلى الخامس عشر أيلول (سبتمبر) والقسطين الآخرين يدفعان بانتهاء كل شهرين قسطا.

المادة 7: يمكن للأمير أن يشتري من فرنسا: البارود والكبريت وما يحتاجه من الأسلحة.

المادة 8: يحق للذين يريدون أن يقيموا في تلمسان أو غيرها من المدن الإسلامية أن يتمتعوا بأملاكهم بكامل الحرية ويعاملون معاملة الحضر والذين يريدون منهم الانتقال إلى الأراضي الفرنسوية تكون لهم الرخصة لبيع أملاكهم أو إيجارها بكل حرية.

المادة 9: على فرنسا أن تتخلى للأمير على اسكلة رشكون ومدينة تلمسان وقلعة المشور مع المدافع التي كانت فيها قديما ويتعهد الأمير بنقل الذخائر والأمتعة العسكرية التي للعساكر الفرنسوية في تلمسان إلى وهران.

المادة 10: المتجر: (التجارة) يكون حرا بين العرب والفرنسوية وللجميع أن يتمتعوا بالتبادل في كل مكان.

المادة 11: تكرم الفرنسوية عند العرب كما تكرم العرب عند الفرنسوية وكل ما تملكته أو تتملكه الفرنسوية من الأملاك في بلاد العرب يكفل لهم حفظه بحيث يتمتعون به بكل حرية ويلتزم الأمير بان يدفع لهم الضرر الذي تحدثه النوائب فيها.

المادة 12: يكون رد المجرمين بين الطرفين بالتبادل.

المادة 13: يتعهد الأمير بان لا يعطي أحدا من الدول الأجنبية قسما من الشاطئ الا برخصة من فرنسا.

المادة 14: لا يسمح بيع وشراء محصولات الإقليم... إلا في الأسواق الفرنسوية.

المادة 15: لدولة فرنسا أن تعين في المدن التي في مملكة الأمير وكلاء ينظرون في أشغال الرعايا الفرنسوية وحل المشكلات التجارية فيما بينهم وبين العرب وكذلك للأمير أن يضع وكلاء من طرفه في المدن التي تحت إدارة الدولة الفرنسية 1

حرر في تافنة في السادس من ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائتين ألف (1253) أول يونيه (جوان) سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ألف 1837 كما تم تحديد لقاء بين الطرفين وتبادلا الحديث بينهما في 31ماي 1837م.

_

منقول باختصار من موقع: الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية

تقييم المعاهدة:

اعتراف دولة عظمى ومعروفة عالمية بسيادة سلطة أهالي الجزائر على ارض جزائرية وعلى شعب جزائري، جاء هذا الاعتراف نتيجة انتصارات عبد القادر.

تعد هذه المعاهدة تتويج لعظمة عبد القادر بتوسيع مجاله الجغرافي وأعطته السلطة على القبائل العربية والهيبة المعنوية، بقي لفرنسا سوى قليل من المناطق في إقليم وهران ضف الى ذلك عدم المحافظة على كامل إقليم مدينة الجزائر باستثناء الساحل وجزء من متيجة. كما تم الاتفاق على ان كل من إقليم وهران وإقليم التيطري وكذا إقليم الجزائر يصبحون تحت إدارة الأمير عبد القادر، وهكذا يصبح الأمير سيد لإيالة الجزائر القديمة، اما سيادة فرنسا على بعض الأراضي تبد وغير واضحة المعالم ومثيرة للجدل.

ان هذه المعاهدة جعلت من الأمير سلطان ايالة الجزائر باستثناء إقليم قسنطينة، فهو سيد ومستقل لأنه معفي من الضرائب وان المجرمين من الجهتين (إقليم فرنسا وإقليم عبد القادر) يتم ردهم، والحقوق المتعلقة بالعملة والعدالة لا يتم التأمين عنهما، وانه يتم التمثيل الدبلوماسي للفرنسيين لدى الأمير والعكس صحيح، وانه أصبح يملك جيش منظم وقوي فيمكن إبادتنا جميعا، فالمنتصر في المعاهدة هو الأمير (تعليق الجنرال دامريمون Damrémont على المعاهدة) اختراق بيج ولتعليمات وزارة الحربية التي طالبته بمحاصرة عبد القادر في إقليم وهران وان لا يتخلى عنه لإقليم التيطري، وفق هذه المعاهدة ظل الفرنسيون محصورين في المدن الساحلية وأصبح عبد القادر يملك تقريبا ثاثين من الجزائر طبقا لهذه المعاهدة، تصبح دولة الامير وفق الخريطة التالية:



مرحلة تنظيم الدولة (1837–1839) (الهدوء المؤقت):

استغل الأمير عبد القادر معاهدة التافنة وعاد لإصلاح حال بلاده و ترميم ما أحدثته المعارك بالحصون والقلاع وتنظيم شؤون البلاد، وكذا لتعزيز قواته العسكرية وتنظيم دولته من خلال الإصلاحات الإدارية والتنظيمات العسكرية الآتية:

- تشكيل مجلس وزاري مصغر يضم رئيس الوزراء، نائب الرئيس، وزير الخارجية، وزير الخزينة الخاصة ووزير الأوقاف واتخذت هذه الوزارة من مدينة معسكر عاصمة لها.

التقسيم الإداري للبلاد إلى ثماني مقاطعات (ولايات) وكل ولاية يديرها خليفة، وقسم الولاية إلى عدة دوائر ووضع على رأس كل دائرة قائدا يدعى برتبة آغا وتضم الدائرة عددا من القبائل يحكمها قائد، ويتبع القائد مسؤول إداري يحمل لقب شيخ.

تنظيم الميزانية وفق مبدأ الزكاة وفرض ضرائب إضافية لتغطية نفقات الجهاد وتدعيم مدارس التعليم...الخ.

تدعيم القوة العسكرية بإقامة ورشات للأسلحة والذخيرة وبناء الحصون على مشارف الصحراء حتى يزيد من فاعلية جيشه.

تصميم علم وطنى وشعار رسمى للدولة.

ربط علاقات دبلوماسية مع بعض الدول

مرحلة الضعف (1839-1847) حرب الابادة<u>:</u>

1 - تأزم العلاقة بين الامير والحكومة العامة وعودة الصراع الذي ادى الى الحرب:

في الوقت الذي تمكن فيه عبد القادر من تنظيم البلاد سياسيا وإداريا واخضاع وتوحيد القبائل وتنظيم جيشه واقامة حصون واقامة صناعة الاسلحة خلال سنتين تقريبا، ومن جهة اخرى تمكنت القوات الفرنسية في نفس الوقت من رفع رايتها على أسوار قسنطينة بعد انتصارها في الاختراق واحتلال المدينة ليتسع نفوذها ويمتد الى شرق الجزائر وتخلصها من قوة في شرق البلاد.

تولى حكم الجزائر بعد موت دامديرون في الحملة على قسنطينة سنة 1937م المارشال فالي، يرى هذا الأخير ان معاهدة تافنة ضيقت عليه الخناق وأن تفسيرها غامض حيث يفسره كل طرف لمصلحته، لذا لا بد من تعديل محتواها إعادة النظر وتوضيح النقاط الغامضة، لان فرنسا بحاجة إلى ربط مستعمراتها الجديدة (قسنطينة) مع مدينة الجزائر.

هل كان وراء تصدع معاهدة تافنة كما يزعم فالى والسلطات الفرنسية المادة الثانية (الغامضة) حيث اختلف الأمير والسلطات الفرنسية في تفسيرها؟ ام ان المادة الثانية هي حجة وذريعة للسلطات الفرنسية لإعلان الحرب على عبد القادر للقضاء على مقاومته بعد الانتهاء من المقاومة في الشرق الجزائري وبالتالي تجسيد مشروع التوسع في الداخل بعد القضاء على مقاومة أحمد باي؟ لب المشكل يتجلى في عبارة ما وراء وادي قدارة؟ ففصل عبد القادر في هذه المسألة وتوسع على كل المناطق التي تقع ما وراء قدارة، ورغم محاولات السلطات الفرنسية إجراء تعديل عن هذه المادة اغتم فإلى عبور بن عراش (Ben-Arach) لعرض عليه ملحق مشروع تعديل معاهدة تافنة وذلك بتوضيح المواد الغامضة في المعاهدة، الا أن مهمة بن عراش باءت بالفشل. وعاد بن عراش ثانية إلى مدينة الجزائر حامل توضيح النقاط الغامضة في المعاهدة، وبرفض السلطات هذا التعديل، رأى بن عراش انه يقوم بإحضار الأمير عبد القادر

الموجود في عين الماضي بقرب من المدية، وخوفا من ان بن عراش يحرف التعديل أرسل فالي معه الضابط سال(Salles) وفي طريقهما الى عين الماضي وحينما وصلوا الى مدينة مليانة منعوا من مواصلة الطريق، فعاد الضابط الفرنسي إلى مدينة الجزائر.

فسر فالي هذا التصرف بان لا معنى لمشروع التعديل، فقام بإخطار الحكومة الفرنسية، وهذه علامة لإنهاء المعاهدة وعودة إلى الحرب من جديد.

كان عبد القادر خلال هذه الفترة في المدية التي أخذها مقرا له لقربها من الجزائر خاصة بعدما عين الحاج عيسى خليفة عن الاغواط بعد أن أعلنت قبائل هذه المنطقة الجنوبية الانضواء تحت سلطة الأمير ما زاد الأمير أكثر قوة. ولكن الاغواط هي مقسمة الى منطقتين الأولى خاضع للحاج عيسى أما الثانية كانت تابعة الى التيجاني (الزاوية التيجانية بعين الماضي)، دخل عبد القادر في حرب مع عين الماضي التي استمرت 5 أشهر وتمكن من إخضاعها الا بعد الحصول على دعم من فرنسا وهكذا سقطت عين الماضي في يد عبد القادر في جانفي 1839م. وبعد ان التقى عبد القادر بين الأعراش علق على تعديل معاهدة تافنة إلا ان المحاولات باءت بالفشل وكانت أخرها في فيفري 1839م. وفصل نهائيا مجلس الأمير في المسألة بالجواب التالي: أفضل الحرب من الانسحاب من الأراضي المتنازع عليها، بعد فشل المفاوضات، اقترح فإلى 3 اقتراحات وهي أولا: ان فرنسا لا تعترف بالحكام المعينين في أقاليم النزاع لان يمكن ان تحدث اشتباكات مع قواتنا تأتي تعمل على حماية الممتلكات الكولون في متيجة.

الاقتراح الثاني: الدخول مباشرة في حرب مع الأمير لإضعاف قواته واحتلال مليانة والتيطري.

الاقتراح الثالث: التخلص من حاكم حمزة واحتلال دلس.

في الوقت الذي كان فيه فإلى يقدم اقتراحاته للحكومة، راسل الامير ملك فرنسا لشرح انه لم يمس بمعاهدة تافنة ويريد دائما السلم (رسالة مطولة الى ملك فرنسا) إلا الملك لم يرد على الرسالة أي دون جواب، فراسله الأمير ثانية الملك ولكن دون جدوى، كما راسل كذلك الحكومة الفرنسية الجديدة وهي حكومة تيرس(Thiers) التي خلفت حكومة مولي(Mole)، علق الامير أملا على أن تجديد الحكومة الجديدة لاقتراح إبرام السلم مع رئيس الوزراء الجديد، كما راسل الملك للمرة الثالثة كما راسل تير س كما راسل كذلك المارشال الجديد للقوات الفرنسية لم يتراجع عبد القادر عن الأقاليم وفق ما هي محددة في المعاهدة وان العبور القوات الفرنسية الم تريد التابعة له يعتبر تحديا واختراق لمعاهدة تافنة، ومن جهتها الحكومة الفرنسية لم تريد ان تتراجع عن ما أقره البرلمان الفرنسي والمتمثل في تعديل الاتفاقية. لذا اقرا الحكومة الفرنسية ان تقوم بحملة ضد البيبان بقيادة ابن الملك الدوق أورليان بعبور كتيبة من القوات الفرنسية التي كانت متواجدة في قسنطينة بقيادة ابن الملك وقطعها الممر (البيبان) الى وصولها بحملة على البيبان بتاريخ 28 أكتوبر وقطعت الطريق من البيبان الى مدينة الجزائر دون ان تتعرض لأي اعتداء من قوات الأمير.

كان الأمير في تاقدمت أثناء عبور القوات الفرنسية على البيبان (اقليم تابع للأمير) فوصله الخبر وتتقل إلى المدية ووصل في يوم 3 نوفمبر، وفي نفس اليوم كتب رسالة الى الحاكم العام بالجزائر (فالى) وجاء في الرسالة ما يلي:" إذا تم إعلامي بعبور ابن الملك لرفقته ولكنكم أعلنتم أن المناطق الواقعة بين قسنطينة والجزائر ليس لها علاقة بالأمير، اذن قمتم باختراق المعاهدة، فأحدروا الحرب التي كنتم سببا فيها". كما وجه الأمير رسالة إلى خلفاء الأقاليم م طالبا منهم الاستعداد للحرب وتجنيد قواتهم والالتحاق به في المدية، حينما شعر الحاكم العام بالخطر وان الامور جادة، قام بإرسال بن دوران للتفاوض مع الامير، حاملا له كلام الحاكم العام جاء فيه:" على الامير ان بتراجع على قراره ريثما تفصل في القضية حكومة باريس"

ولكن حلفاء الأمير أصروا على الحرب رغم انها لا تخدم الامير لعدم تكافؤ القوى وحذره بن دوران، وحتى الامير لم يريد أن يغامر في الحرب ولكن إصرار خلفائه وإلحاحهم من جهة على الحرب كما أصبح العرب يتهمون الامير بالمتواطئ مع الكفار.

اجتمع الحلفاء مع الامير في اليوم الموالي (11 من شهر رمضان، 18 نوفمبر 1839م) ونادوا كلهم' بالجهاد المقدس"، فرد الامير بما انكم تلحون على الحرب فأوافق ولكن شريطة ان هذه الحرب تكون صعبة وشاقة ومكلفة ومتعبة فعاهدوني على عدم الخيانة"، فكتب الأمير رسالة ووجهها مع بن دوران ليعلن الحرب على فرنسا"

اعطى الامير بتاريخ 20 نوفمبر الامر الى كل من بن علال والبركاني لشن الهجوم على سهل متيجة من الغرب والجنوب، أما قوات بن سالم تتدخل من الشرق، فمزقت معاهدة تافنة دفنت بعد سنتين ونصف من السلم فقامت قوات الامير بتخريب كل ممتلكات الكولون في متيجة وحتى بعض المراكز العسكرية فخلفت الرعب والدمار والخراب خلال 3 أيام، فطلب فالي التعزيزات فوصلت بعدد 33 ألف عسكري للسروع في الغزو والحرب على قوات الامير عبد القادر.

- استئناف الحرب والغز والفرنسي واستسلام الامير نوفمبر 1839-1847:

يمكن تقسيم الفترة من تجديد الحرب في 20 نوفمبر 1839 إلى استسلام الامير الى مرحلتين وهما:

المرحلة الأولى من 1840-1844) وهي مرحلة الغزو وتوسع القوات الفرنسية.

المرحلة الثانية من 1844 الى 1847م (مرحلة الكر والفر للأمير عبد القادر).

المرحلة الأولى: صمم عبد القادر الخطة التي يواجه بها القوات الفرنسية لأنه كان على يقين أن فرنسا ستنتقم من العمليات الحربية والتخريبية التي قامت بها قواته، لذا

لا بد من التحضير للمقاومة، كما أعطى تعليمات لحلفائه، صمم خطة بعدما أصبح يعرف جيدا نقاط القوة للجيش الفرنسي، لذا تجنب المواجهة معه إلا بالصدفة، كما أعطى توصيات لضباط جيشه كي لا يهاجمون جماعيا قوات العدو، وإنما استفزازهم من حين لأخر وإتعابهم ويكون الهجوم إلا إذا أتيحت الفرصة. اما خطة فالي استنتجها من التجارب الماضية للقوات الفرنسية حيث كانت تنسحب بعد غزوها للمدن مثلما حصل في معسكر وتلمسان وهو عكس ما حصل في شرق الجزائر وعليه لا ينتهي عملنا بإجبار عبد القادر الانسحاب من المدينة وانما اقامة مراكز عسكرية في كل مدينة يتم احتلالها.

احتلال واقامة مراكز عسكرية في كل من شرشال والمدية ومليانة:

فكانت مدينة شرشال هي الضحية الأولى التي أحتلها المارشال فالي في 1840، وباحتلالها أصبحت مليانة مهددة هي الأخرى وان هذا الواقع (تهديد مليانة) جعل الامير يقسم قواته من باب الحيطة والحذر، ومن شرشال توجه فالى الى المدية عبر ممر الثنية، رأى الأمير انه المكان المناسب للقيام بعملية الهجوم على الأعداء ويكون بقيادته، فتعرضت القوات الفرنسية لمضايقة وصعوبات ولكن في الأخير تمكنت من احتلال مدينة الثنية لتصبح الطريق معبدة لاحتلال المدية التي وجدها فالى خالية من السكان.

بعد اخضاع فإلى المدية عاد الى البليدة ليحضر لغزو مليانة على رأس 10 ألاف عسكري، بعدما احتل فإلى كل من المدية ومليانة بوجودها مخربة ومحروقة، أقام مراكز عسكرية فرنسية، فكان عليه ضمان تموينها من حين لأخر لكن ذلك كان يتطلب تعزيزات كبيرة للقيام بالعملية، وأثناء عمليات التموين وخروج قوات كبيرة تعرضت مراكز وممتلكات الكولون في متيجة الى هجمات تسببت في خسائر معتبرة للقوات الفرنسية كما تمكن الأمير من الصمود وخلق مشاكل للقوات الفرنسية وهو ما

أدى بالحكومة إلى تعيين بيج وحاكم عام على الجزائر بدلا من فإلى الذي عمر في السن.

عودة بيج والى الجزائر كحاكم عام:

وصل بيج الى الجزائر في فيفري 1841م، وقبل ان يمسك زمام القيادة وصلت تعزيزات إلى 25 ألف ليرتفع عدد القوات الفرنسية بعد ذلك الى 80 ألف ومن جهته تعالى صوت الامير عبد القادر للنداء الى الجهاد في الداخل والخارج وتجنيد كرجل واحد لمقاومة الكافر المحتل وكانت استجابة واسعة حتى في تونس والمغرب التي كانت تمون الأمير بالبارود والأموال.

ركز بيج وعلى مليانة والمدية بتقويتها عسكريا ليس فقط من اجل حمايتها والمحافظة عليها وانما لإقلاق القوات الأمير المتواجدة بين الفرق الفرنسية المتمركزة هناك.

ومن مليانة تتقدم في اتجاه سهل الشلف ودخل مستغانم، ومن مستغانم توغل في الداخل دون توقف ودون كلل حتى تم تدمير كل مراكز الأمير وإضعاف قواته، وكل منطقة أو مدينة يحتلها بيجو والا نصب فيها فرقة أو كتيبة عسكرية بقيادة ضابط، لتتحول هذه المدن من سلطة الأمير الى سلطة فرنسا وهي الخطة المعتمدة من طرف الحكومة الفرنسية. وقد ترتب عن هذه الخطة بروز وارتقاء ضباط شبان فرنسيين لتكتب أسمائهم في سجل التاريخ الفرنسي.

تدمير حصون الأمير (تاقدمت، بوغار، تازا) واخضاع كثير من المدن 1841-1842:

بدأ بيج حملاته العسكرية في 1 أفريل 1841م، كانت مهمته الأولى تموين كل من مليانة والمدية وترك جزءا كبيرا من قواته بقيادة براقاي هيليس (-Baraguey) مليانة والمدية وترك مريق عبيرا من قواته بقيادة براقاي هيليس (d'Hilliers) في إقليم الجزائر، ثم واصل طريقه من سهل الشلف متجها إلى مستغانم حيث كانت تنظره قوات مقاطعة وهران ليقودها الى تاقدمت الحصن العسكري القوي

الذي يعتمد عليه الأمير، وصلت إليه قوات بيج وفي 24 ماي الا أنها وجدته مهجورا من السكان وتم تدميرها وحرقها، وفي نفس اليوم تمكن هيليس (-Baraguey) d'Hilliers) من إخضاع حصن بوغار وتازا وتدميرهما وحرقهما.

بعد أن تمكن بيج ومن تخريب تاقدمت وأثناء عودته منها زحف نح ومعسكر ليجدها هي الأخرى مهجورة من سكانها، فأحتلها وأقام فيها ثكنة عسكرية. ولكن خطة الأمير تقوم على أن بمجرد انسحاب القوات الفرنسية من المنطقة التي أخضعتها إلا جاء عبد القادر ليعيد الأمور مثلما كانت. وبوصول بيج وإلى مستغانم حتى راسله عبد القادر. شن بيجو الحملة الثانية (حملة الخريف) لإتمام ما أنجزه في حملة الربيع، حيث تفقد واخضع القبائل الواقعة في الجهة الشرق لسهل الشلف، وبعد إخضاعه لبعض القبائل، توجه بيجو نحو معسكر فتوغل في جنوبها باحتلال حصن سعيدة واخضاعه.

وفي الوقت الذي كان بيجو يبحث عن الأمير عبد القادر ضانا انه اتجه نحو الجنوب الا ان عبد القادر تتصل واتجه شمالا حيث قام بحملة على الدواوير القاطنين على بعد 30 كلم من أسوار وهران والموالين لفرنسا (وان كل من قبائل الزمالة والدواوير وقبيلة يعقوبية) كلها في صف القوات الفرنسية.

وحين سمع بيجو بالخبر فأثناء عودته من الحملة أعطى الأوامر بتخريب وحرق قنيطرة مقر عائلة الأمير.

كانت نتائج الحملتين لسنة 1841: تقوية نفوذ الفرنسي في كل من مليانة والمدية واحتلال حصون الأمير عبد القادر وعاصمته معسكر وإخضاع الكثير من القبائل العربية. ولكن رغم هذه النتائج المحققة الا كانت بعيدة عن تحقيق الأهداف وإضعاف الأمير.

بعد ان وقف بيجو على النقائص والهفوات، رأى من الضروري نقل القيادة العسكرية لمقاطعة وهران إلى معسكر حتى تقدم النجدة والحماية للقبائل المعادية للأمير

والقبائل التي تم إخضاعها وبالتالي فالقبائل الواقعة بين معسكر والشلف الى غاية البحر أصبحت خاضعة للامورسيار قائد قوات مقاطعة وهران، وأصبح تموين المناطق العسكرية الفرنسية التلية يجرى دون صعوبة لتبقى تلمسان المعقل الملجأ الوحيد للأمير، فكان على بيج واحتلال هذه المدينة وتم ذلك دون صعوبة.

بعدما تمكنت القوات الفرنسية إجبار عبد القادر الانسحاب من تلمسان، لم يريد الابتعاد عن المغرب الذي كانت تقدم له المساعدات، ما جعله يتمركز الأمير بين مرتفعات نادرومة، هذه القبائل الندرومية المتشبعة بالقيم الروحية والدينية التي وقفت المرات بجانب عبد القادر (محاصرة تافنة، معركة سيكاك)، تمركز الأمير في هذا الوادى ليراقب تحركات العدو.

بعد تعيين النقيب بيد و (Bedeau) قائد تلمسان، كلف بملاحقة عبد القادر في ندرومة الذي ضرب بقوة هذه القبائل وجعلها تأسس رابطة معادية للأمير وهو ما ترك الامير يغادر هذه المنطقة بعد انهزام قواته في أفريل 1842 ويتوجه نحو قبائل بنى هاشم ليتوغل الى الصحراء.

ملاحقة القوات الفرنسية للأمير ورجوعه ثانية (الكر والفر):

في الوقت الذي كان فيه بيد ويشن حملة على ندرومة، خرجت 3 فرق عسكرية كبيرة، الأولى بقيادة بيجو (الحاكم العام نفسه) الذي تقدم نحو حوض الشلف حيث قام بمسح واخضاع كامل القبائل القاطنة على طول حوض نهر الشلف لتمون متوازية مع الفرقة العسكرية التي انطلقت من البليدة بقيادة الجنرال شنقارني (Changarnier) والفرقة العسكرية الثالثة التي قادها لامورسيار المطالب بالضغط على عبد القادر لإجباره على الانسحاب نحو الجنوب حتى لا يعود اخضاع ثانيتا القبائل التي تم السيطرة عليها من طرف القوات الفرنسية.

وفي الوقت الذي كان فيه لامورسيار يطارد عبد القادر والقبائل التي رافقته حتى سمع ان عبد القادر كان موجود بالقرب من معسكر لمعاقبة القبائل التي أصبحت

خاضعة لفرنسا ما جعله يعود من اين أتى ليطارد الامير ويبحث عن أثاره في كل اتجاه حيث تم الاشارة إليه، فتوغل عبد القادر بين البحر وفرقة بيجو اي الجهة الشمالية للشلف جنوب مليانة الذين تخلوا عنه في السابق ليعود ثانية الى الجنوب. ان حملة 1842م هي الاخرى حققت نتائج ملموسة رغم نقائصها والمتمثلة نقض العدد قوات الفرنسية لتوفير الحماية اللازمة للقبائل التي تم السيطرة عليها.

تبدأ سنة 1843 بانتفاضة شاملة للقبائل التي تم إخضاعها، حيث بعودة الحاكم العام من الحملة ودخوله مدينة الجزائر حتى ظهر عبد القادر في سهل الشلف ومنطقة قبائل مناصرة (متيجة) متبوعا برفاقه في الجهاد (بن علال والبركاني)، اتسعت الانتفاضة لتعم كامل سهل متيجة والشلف، واجبرت الجنرال شنقارني (Changarnier) على التراجع لحماية الممتلكات الأوروبيين في متيجة، وبعد تقسيم القوات الفرنسية الى فرق وبدأ هجوم لدفع الامير على التراجع للظهرة ومنها إلى بني وراغ (Beni-Ouragb) بالونشريس.

بينت هذه الانتفاضة للحكومة الفرنسية انه لا يكفي من مليانة وشرشال ومستغانم من اجل السيطرة على القبائل المتواجدة في هذا المثلث الواسع وانما لا بد ان تسيطر على مركز الوسط من اجل القاء بثقلها على القبائل وكذا غلق الحدود الجنوبية ويكون ذلك بإقامة مركز عسكري وهكذا تم تأسيس مدينة "أوريونفيل" على انقاض المدينة القديمة الأصنام وكذا إقامة مركز عسكري في تيارت على الحدود الثلية، وفي الوقت الذي كان فيه الحاكم العام يفرض سيطرته على حوض الشلف، كان الجنرال لامورسيار يتحرك في منطقة تيارت مطاردا الأمير، كما دعمت القوات الفرنسية بالتحاق الدوق دومال الذي عين قائد القوات في المدية الذي توجه جنوبا بحثا عن الزمالة، بدعم من أحد الخائنين الذي كشف عن موقع اقامة الزمالة، تدخلت قوات دومال لضرب بقوة الزمالة لتلحق بها خسائر كبيرة وبالتالي زوال "الزمالة" بتاريخ

16 مارس 1943م. كما تمكن الكولونيل تتبور (Tempoure) من القضاء على جيش بن علال بتاريخ نوفمبر 1843.

ج. المرحلة الثانية من 1844 الى 1847 (مرحلة الكر والفر للأمير عبد القادر)

خروج الأمير من الجزائر واقامته بالمغرب رفقة قواته والمقربين إليه:

اضطر الأمير عبد القادر إلى الانسحاب إلى المغرب الأقصى أمام ضغط الجيش الفرنسي القوي طالبا من سلطان المغرب عبد الرحمن بن هاشم مساعدته محذرا اياه من سقوط الجزائر، لأن ذلك سيؤدي إلى سقوط المغرب وبلدان إسلامية كثيرة تحت السيطرة الاستعمارية، لكنه لم يستمع إلى نصائح الأمير بحجة مواجهة المتمردين ضده، وكأن مواجهة الشعب الثائر ضده أفضل من مواجهة العدو الكافر الذي يهدد أرض الإسلام.

وأكثر من ذلك تعاون هذا السلطان مع الجيش الفرنسي لمحاصرة الأمير عبد القادر الذي اضطر للاستسلام في عام 1847 بعد محاصرته من طرف الجيش الفرنسي شرقا وجيش السلطان المغربي غربا وخيانة بعض القبائل له. ولم يستسلم الأمير إلا بعد أن اشترط على الجيش الفرنسي إعطاء عهد الأمان لجميع رفاقه وجنوده والسماح لهم بالالتحاق بقبائلهم، أما هو فطلب السماح له بالهجرة إلى الإسكندرية بمصر أو عكا بفلسطين، وإذا لم تقبل فرنسا بهاذين الشرطين فإنه الجهاد حتى الموت. وكان هدف الأمير من ذلك هو إبقاء شعلة المقاومة ضد الاستعمار ملتهبة على يد رفاقه بعدما يضمن لهم الحياة، وهذا ما حدث بالفعل فيما بعد مما يدل على بعد نظر الأمير عبد القادر.

بعد 3 ايام من تخريب الزمالة، عاد عبد القادر الذي كان غائبا اثناء هجوم الدوق دومال بقواته، وذهب يبحث عن ملجأ في اراضي المغرب وتحولت الزمالة الى دائرة.

اراد عبد القادر أن يقيم في المغرب لتجسيد خطة سياسة تقوم على:

- اجبار قبائل الجزائرية على عدم الاستسلام ومن اجل هذا يقوم من حين لأخر بحملة.

- اقناع المغرب ان يقف بجانبه ومن اجل هذا اثار رجال الدين الذين لهم تأثير على الملك، وان يقنع الملك ان يتحالف معه لمحاربة عدو واحد، كما اراد عبد القادر أن يورط الملك في الحرب اي إدخاله غصبا عنه، لهذا تمركز عبد القادر ودائرته وراء الحدود حتى يكون في مأمن.

في المقابل وافق بيجو اقتراح بيدو بإقامة مركز عسكري في الشمال الغربي لتلمسان وبالذات في لالة مغنية في الايام الأولى لسنة 1844م وانتهى من البناية في أوائل ماي من نفس السنة، ويعتبر المغاربة ان لالة مغنية من الاراضي المغربية وليست جزائرية وبالتالي يعتبر هذا الفعل انتهاك للسيادة المغربية والاماكن الدينة المقدسة. فسر الشعب المغربي هذا الفعل (اقامة مركز في لالة مغنية) انتهاك للسيادة المغربية والاماكن المقدسة واحتلال الصليب للهلال ما جعله يعرف غليان وتنفر وأصبح الامر يوحى بالتوتر وصاحت حناجر المسلمين للدعوة للجهاد، انتقال خبر الجهاد عبر كامل التراب المغربي وأمام هذا الوضع ساد الضغط على السلطان لإعلان الحرب أي الاستجابة لنداء الشعب رغما عنه لأنه لم يكن متحمسا للحرب، فالأوضاع تتذر بالرعب في خضم تجمع القبائل المغربية في وجدة، وحتى عبد القادر كان موجود برفقة فرسانه، وقرر الجميع في وجدة ان يوم 15 ماي يتم الزحف على المركز العسكري الفرنسي لالة مغنية، رغم بعض المحاولات التفاوض وتأجيل الهجوم الا ان مولاي الممون الشريف(ابن عم السلطان)، لم ينتظر وبوصوله الى وجدة قرر الزحف على لالة مغنية، ولكن في 30 ماى 1844 بدأت مناوشات بين القبائل المغربية والقوات الفرنسية ما دفع لامورسيار ببعث رسالة لبيج ويخبره عن الخطر و ويقترح له الالتحاق بالمكان برفقة قوة عسكرية، ما جعل بيج وينتقل الى لالة مغنية حيث وصل إلى ها في 13 جوان رفقة قوة عسكرية للتصدي للخطر الذي اصبح يهدد قواته. ولكن بيج وتريث على اساس ما الفائدة من الحرب لذلك طلب لقاء مع قائد وجدة القناوي (El Guennaoui) بتاريخ 15 جوان، إلا ان المفاوضات باءت بالفشل.

بعد فشل المفاوضات توالت الطلقات النارية في 30 ماي 1844، ما جعل بيج ويعطي الامر بإعلان الحرب والتقدم نحو وجدة حيث تمكن بيجو من الحاق هزائم نكراء لقوات المغرب كإنذار أول حيث توقفت المواجهات في 15 جوان ليعود بيجو الى المركز العسكري ويرسل ثانية رسالة الى قائد وجدة ليحذره وينذره.

بعد راحة يوم تحرك بيج وثانية متوجها أي وجدة في جوان على جانب حوض أسلي. بعد وصول القوات الفرنسية الى أبواب وجدة ودمرت الحصن وتحرير اكر من 1500 معتقل من تلمسان، ويرجع اعتقالهم الى سنة 1836 من طرف عبد القادر. وفور تحقيق الاهم عاد بيج والى مركز لالة مغنية.

يرى عبد القادر انه نتيجة تطور هذه الاحداث يمكن ان توقع فرنسا في ورطة الانتفاضة في المغرب ومقاومة القبائل الجزائرية من جهة اخرى، لذا دخل الامير الى الجزائر وتوغل الى غاية قبائل تيارت ولكنه وجد تموقع وتحركات العدو في كل مكان وان القبائل متتاثرة وليس لها الرغبة في الجهاد وامام هذه الحالة أصبح من الضروري العودة رفقة الزمالة الى الحدود ألمغربية حيث وجد ابن السلطان عبد الرحمان (سيدي محمد) مع قواته للدخول في الحرب مع الفرنسيين.

دخول المغرب في حرب ومعاهدة طنجة:

بداية عمليات العسكرية في سهل إسلي في 1 جويلية 1844م، حيث قام ايضا بيج وبحملة على هضبة أسلي باحثا عن الامير ودائرته إلا ان هذه الحملة لم تحقق نتيجة، فما العمل؟ حملة على فاس، الا ان السلطات المغربية اسرعت للتفاوض مع المارشال، فابن الملك يتقدم نح ومدينة وجدة في الوقت الذي يتقدم فيه بيج ونح وهذه

المدينة، تبادلت المراسلات على اساس تكون السلم الا بعد انسحاب القوات الفرنسية من لالة مغنية الا أن بيجو رفض هذا الطرح وتمسك بالبقاء، في لالة مغنية وظل بيجو يبحث عن ذريعة لإعلان الهجوم على المغرب.

قصف طنجة:

وصول سفن الفرنسية أمام مدينة طنجة في 1 أوت، في انتظار تجاوز فترة أخر انذار ولكن رغم الوساطة وجواب، وفي 6 أوت تقصف مدينة طنجة، وهو ما كان ينتظر فيه بيجو أي عدم تضييع الوقت لأنه لا يخدم القوات الفرنسية حيث اصبحت تصاب بأمراض وان عددها يتناقض عكس القوات المغربية.

معركة أسلى-أوت 1944:

انجز بيجو الخطة العسكرية بعد أن أختار واحدة منهما، سواء انتظار هجوم القوات المغربية أوانه يساهم في الهجوم، فأختار الثانية. كما اختار بيج وان يكون هجوم مباغت وضربه في معسكره والحروب التي تعتمد عليها اليوم، فمعسكر القوات المغربية يبعد عن القوات الفرنسية ما بين 30–35 كلم، ويكون السير نحو المعسكر سريع وفي خفية وان الهجوم يكون في الساعات الأولى من النهار.

يشرع في السير نحو معسكر القوات المغربية بتاريخ 11 أوت بعدد 10ألاف و 500 عسكري على رأسهم الحاكم العام الجنرال بيجو ووصول القوات الفرنسية بالقرب من قوات ابن السلطان في أسلي بتاريخ 13 أوت، ويبدأ الهجوم في صبيحة يوم 14 أوت على القوات المغربية لتلحق بها هزيمة نكراء وتحتل المركز وتتتهي في 14 أوت ويراسل بين السلطان على قبول الهدنة لتعود القوات الفرنسية الى لالة مغنية (24) أوت.

معاهدة طنجة:

نصت معاهدة طنجة المبرمة بين السلطان عبد الرحمان والسلطات الفرنسية بعد انهزام القوات المغربية في 14و 15 أوت 1844م في معركة إسلي، واهم ما جاء في هذه الاتفاقية اعتراف السلطان المغربي بالوجود الفرنسي بالجزائر والتوقف النهائي على دعم الامير عبد القادر وفي حالة القبض عليه يتم استلامه الى القوات الفرنسية.

حاول السلطان عبد الرحمن ادراج عبد القادر الى فاس حتى يلقي عليه القبض ولكن الأمير تفطن للخطة) وظل معسكره على الحدود الجزائرية المغربية، ويترقب العودة الى الجزائر.

عودة الأمير عبد القادر الى الجزائر سنة 1845:

وفي فيفري 1845م رأى انه حان وقت للدخول الى الجزائر بعد أن عرف سهل الشلف تمردا ولكن كل المنافذ مغلقة لذا عاد الى دائرته.

حينما اغلقت كامل المنافذ على الامير وشدد عليه الخناق، أصبح يفكر في الهجرة الى مكة المكرمة رفقة الذين وقفوا معه.

ان كان بومعزة ينشط في حوض الشلف الذي اعلم على الانتفاضة والجهاد ضد المحتل ولكن دون ان تكون علاقة بين الأمير.

راسل عبد القادر القبائل العربية بالجزائر لأشعرهم انه على وشك الدخول إلى البلاد فساد الحماس والحنين ليقودهم ثانية.

أستغل عبد القادر رحلة بيج والى فرنسا في سبتمبر 1845، عاد ثانية الى الجزائر عبر تافنة وتلتحق به الكثير من القبائل العربية ويشرع من جديد في المقاومة.

تجدد المقاومة بتحقيق عبر القادر انتصارات بالقضاء على فرقة فرنسية التابعة للغزوات، كما استسلم أكثر من 200 عسكري لقوات الامير عبد القادر، وهكذا

تنتفض الجزائر من جديد، ما أدى بالاحتلال الذي حققه بيجو Bugeaudخلال 4 سنوات في مهب الريح، فتم اعلام بيجو Bugeaud بالانتفاضة التي عمت الجزائر والالحاح عليه بالعودة سريعا.

البحث عن الأمير واستسلامه بعد تواطؤ المغرب مع فرنسا (1846-1847):

عاد الجنرال بسرعة ولكن برفقة تعزيزات كبيرة مقدرة ب 106 ألف عسكري وبعد ايام شرع في المقاومة والهجوم، تم تجنيد 15 فرقة عسكرية للتحرك ومهمتها قطع الطريق امام عبد القادر ومنعه من التوغل بالمناطق التلية، وملاحقة الامير أينما كان. تمكن ان يعبر وسط الفرق العسكرية وينقل الانتفاضة الى جبال الشلف، لتلاحقه الفرق العسكري، وتمكن من الهروب بين 3 فرق عسكرية عبر الهضاب العليا ويلتحق بمنطقة يسر، (منطقة بن سالم) وأصبح يهدد متيجة.

ففي ليلة 6 الى 7 فيفري فوجئ بهجوم من طرف فرقة عسكرية بقياد الجنرال جانتي (Gentil) حيث اعتقد هذا الاخير بأنها قوات بن سالم وتمكن عبد القادر ان يفلت من يد العد و وقتل فارسه، وتمكن ان يلتحق بمنطقة القبائل وحاول جر القبائل الى المقاومة ولكن لم تكن استجابة لذا توجه عبد القادر نحو الجنوب، واثناء تتقله التقى بالفرق الفرنسية عند الهضاب العليا متعرضا لضربات ما جعل قوته تتلاشى تدريجيا، رأى عبد القادر ان قوته اصابها التعب والارهاق وتتاقص عددها اضافة الى سوء الأوضاع المعيشية مما اضطر الى الانسحاب ويعسكر ويبقى بعيدا في مرتفعات الصحراء (أولاد نايل).

لاحقته الفرق العسكرية الفرنسية الى عين المكان ما دفع به الى العودة الى (الدائرة) المتركزة في الحدود المغربية الجزائرية في 18 جويلية 1846 م وهي اخر مرة للأمير في الجزائر.

كان للدبلوماسية الفرنسية دورا في التأثير على مولاي عبد الرحمان لدفعه للتعاون معها من أجل القضاء على الأمير وتطبيقا لاتفاقية طنجة، أرسل السلطان في ربيع

سنة 1847م قوات مغربية بقيادة مولاي هاشم (ابن اخ السلطان) لمطاردة الامير واجباره على الانسحاب من المغرب، تفاجئ الامير بالتحاق قبائل الريف في الليل وهذا من اجل مساندته والوقوف بجانبه في الحملة التي يقوم بها مولاي هاشم، وبالتأكيد تمكنوا من الحاق هزيمة بقوات الهاشمي واجباره على الانسحاب.

بعد قبول الحكومة طلب بيج وللراحة بعد إرهاقه، عين خلفا له أحد ابناء الملك الفرنسي، واسرعت الحكومة الفرنسية مراسلة السلطان وتهديده ان فرنسا تتدخل في حالة عدم التحرك المملكة المغربية.

امام التهديدات وتخوفا من حملة اخرى تشبه تلك التي عرفتها أسلي، قرر المالك المغربي ارسال قوات ضخمة بقيادة ابنائه (مولاي محمد ومولاي سليمان)

أصبح عبد القادر حائرا من المصاعب والمتاعب التي تلحق به، فكيف كان وكيف أصبح، والله مغير الاحوال فكيف ان السلطان المدعي انه من سلالة الرسول يرتكب مثل هذا العمل، فمن المستحيل! بادر للأمير انه هناك خطأ، فلا بد من توضيحه، لذلك أرسل عبد القادر بوحميدي الى الملك في فاس للحصول على توضيحات، فكان جواب الملك كالتالي: عليك بالاختيار بين اثنين سواء ان تسلم نفسك أو الهروب الى الصحراء، وفي حالة الرفض نقوم بإرسال قوات لإخراجك بالقوة "

ففي هذه الحالة أصبح الامير حائر في الاجراء أو الاستراتيجية التي ينتهجها، وأثناء التفكير بين والتشاور بين ما بقي في الدائرة حتى سقط خبر " استسلام شقيقان لعبد القادر للقوات الفرنسية سي مصطفى وسيد الحسين (–Si-Moustapha et Sid).

فكان القرار الاخير للأمير عبد القادر ان الدائرة تدخل الجزائر وتسلم نفسها الى فرنسا حيث كان عددها لا يتجاوز 6000 نسمة بينما شق الامير رفقة بعض الفرسان الأوفياء له طريقه نحو الصحراء في الوقت التي كانت تلاحقه القوات الفرنسية، حيث كانت القوات الفرنسية تعرف اتجاهه، فقامت فرق من القوات الفرنسية

بقطع الطريق على الأمير حتى أصبح وجه لوجه مع العدو، فما كان عليه إلا التشاور مع رفاقه لاتخاذ القرار النهائي، وكان القرار الجماعي والنهائي الاستسلام الى من السلطان أو القوات الفرنسية رد الامير الاستسلام الى القوات التي حاربتي 15 سنة ولا اسلم نفسي للخائن. وهكذا استسلم عبد القادر مع رفاقه للقوات الفرنسية قرب ضريح سيدي براهم حيث قدمت له القوات الفرنسية التحية العسكرية لينقل فيما بعد الى الغزوات ويلتقي مع الدوق دومال عام 1847.

المحاضرة الخامسة: مقاومة أحمد باي في شرق الجزائر

عناصر المحاضرة:

- 1-أوضاع قسنطينة قبل الاحتلال
- 2-الغز والفرنسي لمدينة قسنطينة واحتلالها سنة 1837
- أ- الحملة العسكرية الأولى واخفاق فرنسا احتلال قسنطينة 1936
 - ب- الحملة العسكرية الثانية وسقوط قسنطينة 1837
 - 3-مواصلة أحمد باي المقاومة واستسلامه سنة 1848

1. أوضاع قسنطينة قبل الغزو:

يعتبر بايلك الشرق اهم البايلكات في الجزائر من حيث المساحة والثروة وعدد السكان، ويتميز بكثرة المدن والقرى، عين الحاج احمد باي على الشرق سنة 1826 من طرف الداي حسين وهو كرغولي ولد في مدينة قسنطينة، كان معادي لفئة الاتراك والصوفية واستعمل معهم سياسة الاضطهاد.

شارك أحمد باي في مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر (جوان 1830) معركة (سيدي فرج وسطاوالي)، وفقد 200 فارس من قواته، وبعد استيلاء الفرنسيين على

قلعة مولاي حسن انسحب الحاج أحمد وتوجه إلى قسنطينة، وفي طريقه إلى عاصمة بايلكه تلقى احمد باي رسالة من قائد الحملة الفرنسية الجنرال دي بورمون يطلب منه أن يوقع على معاهدة الاستسلام مقابل اعتراف فرنسا كباي قسنطينة، إذا قبل دفع المجزية وكان جواب الحاج أحمد باي على هذا العرض هو أن السلطة توجد بيد جميع سكان قسنطينة ومقاطعاتها ويستشيرهم في الموضوع بعد العودة الى المدينة. وبعودته الى قسنطينة وجد ابواب المدينة مغلقة (انقلاب)، فاستتجد بالقبائل العربية وتمكن من العودة الى الحكم، اتخذ لاسمه باشا وأزداد نفوذه في قسنطينة وتحول الى طاغي هو صاحب الكلمة. عندما استقر أحمد باي في مدينة قسنطينة اجتمع بأعضاء الديوان وتباحث معهم في المسألة المتعلقة بعرض دي بورمون، فكان رد الجميع الرفض لأن قسنطينة تابعة لباشا الجزائر وتمتثل لأوامره، وهي بدورها تمتثل لأوامر اسطنبول، ولهذا لا بد من الكتابة إلى السلطان محمود الثاني والحصول على موافقته.

وعلى صعيد آخر شرع أحمد باي في التخلص من الجنود الإنكشاريين وتعويضها بعناصر وطنية، وبالتالي اعتمد أحمد باي في مقاومته للاحتلال الفرنسي على تأييد الجيش العربي بعدما أصبح لا يثق في الاتراك بعد الانقلاب الذي قاده هؤلاء ضده عندما كان في العاصمة. كما عمل على تحصين عاصمته قسنطينة وبناء ثكنات جديدة.

حاول أحمد باي العديدة من المرات إقناع السلطان العثماني بالاعتراف به واليا على الجزائر، وإمداده بمساعدات عسكرية يستعين بها على قتال الفرنسيين، لكنه لم يحظ منه سوى بوعود وتشجيعات وذلك خوفا من فرنسا.

يذكر بعض المؤرخين أن الحاج أحمد باي لم ييأس من بعث رسائل عبر وفوده الى السلطان العثماني يلح فيها على طلب المساعدة المادية، مؤكدا على أنه مستعد للتضحية من أجل الدين، ومشيرا في رسالته كذلك أن الفرنسيين يقتربون منه يوما

بعد يوم، وكان السلطان في كل مرة يرد عليه بأن " السلطان لم ينسهم وأن عليهم بالصبر والإيمان، وأن السلطان يعمل على إبقاء اقليم قسنطينة تحت طاعته، وكذا أن عليهم أن لا يقبلوا أي شرط بدون موافقته.

تمكنت فرنسا احتلال عنابة عام 1832 حيث يوجد فيها أهم موانئ إقليم قسنطينة (بعدما احتلت سنة 1830 و 1831 ولكن انسحبت القوات الفرنسية منها) وقد ترتب عن ذلك توترا مستمرا بين فرنسا والحاج أحمد، وكان وراء الاحتلال القائد العسكري جوزيف فانتيني (Joseph Ventini) الملقب بيوسف الذي تم تعيينه قائدا عليها الذي مارس على القبائل الجزائرية التتكيل والنهب، وقد حاول علي بن عيسى خليفة أحمد باي استرجاع عنابة في جوان 1833 لكنه فشل.

حاولت فرنسا جاهدة أن تقضي على مقاومة الحاج أحمد باي، فسعت إلى التفاوض معه عدة مرات، لكنها كلها محاولات باءت بالفشل، حيث كان أحمد باي يصر دائما على موقفه الرافض توقيع أي معاهدة استسلام مع العدو

بتعيين كلوزيل حاكم عام على الجزائر في أوت 1835 م وتوصيات الحكومة الفرنسية على ان القوات الفرنسية لا تبقى منكمشة في المدن الساحلية، حيث يترتب عليه اعتداءات وهجمات ونهب وسرقة من طرف العرب القريبة من السواحل وهو ما عرفته

. هو جوزيف فانتيني(Joseph Ventini) الملقب بيوسف، ولد سنة 1808 في جزيرة ألبا(Elbe) إيطالي

86

الفوضى في اقليم قسنطينة (عنابة) تمكن من تحقيق انتصار كبير لذا منح له الوسام الشرفي. وليتم تعيينه باي

تونس من طرف كلوزيل سنة 1936م.

ة (هي أراضي فرنسية منذ 1801)، و هو متنقل و في سنه 6 سنوات عبر مركب شراعي الا انه تم اختطافه على يد القرصنة لشمال افريقيا (تونس)، و حينما تم عرضه في سوق العبيد للبيع، تفطن طبيب فرنسي و نقله الى قصر باي تونس و هنا تعلم العربية و دخل الاسلام لذا لقب بيوسف، و حينما أصبح شابا، اراد الهروب و تلقى المساعدة من القنصل الفرنسي حيث ركب شراعية و كان طلن في 13 جوان 1830م و تشاء الصدف ان يذهب هذا الشراع مع الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر و باكتشافه من طرف د يبرمون عينه كمترجم و أغا العرب، و حينما عين كلوزيل حاكم عام للجزائر طلب منه هذا الاخير بتكوين كتيبة من فرسان الأهالي التي تصبح تسمى ب"سبايس"، و بانضمامه في الجيش الفرنسي تحصل على رتبة قائد في الجيش الفرنسي، و حينما سادت

بونا بوجود بعض مزارع المعمرين القريبة من المدينة حيث تتعرض باستمرار للهجمات والاعتداءات هذا ما دفع كلوزيل لانتهاج سياسة التوسع في الداخل خاصة ان احمد باي لم يعترف ولا يخضع للسلطات الفرنسية.

كما عرفت المدينة سنة 1836 انتشار الأوبئة والأمراض (الكوليرا والطاعون)، كما انتهج احمد باي سياسة اضطهاد العائلات القديمة والمعروفة في المدينة (موظفي الاتراك قدماء والإنكشاريين) وأضطهد كل منافس له بينما قرب إليه الأهالي وشيوخ القبائل العربية ومن اهم الشخصيات القريبة إليه: علي بن عيسى، احمد بن الحملاوي، الحاج محمد بن البجاوي، اما القوة الروحية اصبحت بين يد عائلة الفكون. وكان لأحمد باشا خلال سنة 1836 قبائل عربية حليفة له منها عائلة المقراني لمجانة بينما هناك اعداء لهو هم قبيلة حناشة وقبيلة حراكة التي هي دائما في حرب مع احمد باي.

2. الغز والفرنسى لمدينة قسنطينة واحتلالها سنة 1837م

لم تتمكن القوات الفرنسية من احتلال قسنطينة الا بعد حملتين عسكريتين كبريتين تكبدت فيها خسائر بشعة، فكانت الحملة الأولى سنة 1936 م التي باءت بالفشل لتعيد الكرة ثانية سنة 1837 فنجحت في اقتحام ابواب قسنطينة واحتلالها.

أ. الحملة الأولى على قسنطينة سنة 1836م:

شغل اهتمام كلوزيل شن حملة عسكرية على قسنطينة بعد وصوله رسائل عديدة من قبائل الشرق التي طلبت منه التدخل لإنهاء حكم احمد باشا. كما قام كلوزيل بتعيين الضابط يوسف (Yusuf) سنة 1836 باي على قسنطينة وتمكن هذا الاخير من اقامة مركز عسكري في الذرعان (جنوب عنابة تقريبا تتوسط قالمة وعنابة)، وفي 14 أفريل رحل كلوزيل الى باريس لإقناع الحكومة بدعمه بتعزيزات عسكرية للقيام بالحملة، وبعد ان عاد كلوزيل من باريس ولكن دون ان يحصل على امدادات

عسكرية، الا ان الرسائل المتهاطلة على كلوزيل من يوسف وبعض شيوخ القبائل حفزته ان يقرر بشن الحملة¹.

العمليات التحضيرية من الجانبين - (يوسف واحمد).

تحضيرا للحملة، شرع كلوزيل منذ صيف 1836 م ارسال الى عنابة المعدات والقوات الموضوعة تحت تصرفه، كما طلب من يوسف ان يجمع المعلومات عن الحالة النفسية لسكان قسنطينة والتعرف عن اهم ثروات الباشا.

اخذ احمد باي من جهته كل الاحتياط وذلك بجمع كل الفرق العربية للمشاركة للتصدي للحملة، وبما ان الاخبار الاتية من الشرق لم توح بتقدم القوات الفرنسية في شهر سبتمبر لذا قام احمد باي رفقة قواته بدورة الى درعان ولكن تمكنت القوات الفرنسية التصدي لها.

السير نحو قسنطينة: بعد تكوين وتنظيم صفوف القوات الفرنسية في 2 نوفمبر من طرف كلوزيل المقدرة بحوالي 8000 عسكري² و 1200 من الخيلة و 400 بغل للحمولة. وصلت القوات الفرنسية الى بون حيث كان آخرهم نمرون (29أكتوبر اما كلوزيل) كانت متكونة من فرق مختلفة: المشاة 5300، الهندسة العسكرية:650، المدفعية:545 موظفين اداريين: 250، الفرسان:895، فرق من الأهالي :500، المجموع: 8040. كما قام في نفس الوقت بتوجيه نداء الى سكان المدينة جاء فيه: «عليكم الابتعاد عن احمد باي كي تحترم ممتلكاتكم ودينكم وعقائدكم".

خرجت الحملة من عنابة، كان الخروج الأول لفرقتين عسكريتين الأولى بقيادة تريزل والثانية بقيادة الجنرال دورنيي (de Rigny) بتاريخ 8 و 9 نوفمبر باتجاه قسنطينة، بينما بقية القوات الفرنسية والتموين وبقية الامتعة التحقت بتاريخ 13 نوفمبر بقيادة

¹. Ernest Mercier, Les deux sièges de Constantine (1836-1837), Librairie L. Poulet, Constantine, 1896, pp.2-11.

تشير بعض المصادر الى 7500 عسكري. 2

الدوق نمورس (le duc de Nemours) والجنرال كلوزيل، لتتجمع كامل القوات بتاريخ 15 نوفمبر وعرفت هذه الايام تساقط امطار طوفانيه، وهو ما أدى الى اصابة أكثر من عسكري 200 بالحمى.

عسكرت القوات الفرنسية يوم 16 في سيبوس، وفي 19 نوفمبر حينما أصبحت القوات الفرنسية قريبة من قسنطينة حدثت بعض الاشتباكات بين العرب والقوات الفرنسية، ووصلت هذه الاخيرة امام المدينة في 21 نوفمبر، وليلة 21 و22 تساقطت ثلوج كثيفة على قسنطينة والحقت خسائر لأفراد القوات الفرنسية كما حطت من معنوياتها الى جانب تعرض المؤونة للسرقة من طرف القبائل العربية كما تمكنت من الحاق اضرار للقوات الفرنسية. لكن رغم الصعوبات تمكنت القوات الفرنسية الوصول الى المنصورة.

تمركز القوات حول المدينة والتحضير للهجوم:

تقدم المارشال كلوزيل مع قيادة الاركان للتأمل في المدينة وشاهدوا في اعلى المدينة مدفعيات وأبوابها مغلقة، وفجأة القت المدافع ببعض قذائفها باتجاه القوات الفرنسية، تحرك المارشال هو الأخر ليأخذ ضريح الولي الصالح "سيدي مبروك مقرا له لقيادة الاركان لإعطاء توصيات وتوجيهات.

ولكن كيف نفسر وجود احمد باي خارج المدينة رفقة فرق القبائل العربية، وحينما علم بتحرك القوات الفرنسية، قام بإرسال نسائه وكنزه الى ميلة عند صديق. وترك المدينة تحت قيادة بن عيسى، بينما تمركز رفقة فرقه العسكرية قرب نهر الرمال.

ترك المدينة تحت قيادة بن عيسى وابن البجاوي وسكانها الرافضين الخضوع للكافر وكانت القوات النظامية لا تتجاوز 1200.

هكذا كان واقع قسنطينة، كما خابت آمال كلوزيل بوجود كامل المدينة مستعدة للمقاومة ومن جهة اخرى عدم التحاق القبائل العربية التي أعلنت مشاركتها بجانب القوات الفرنسية اثناء عملية الاخضاع وفي حقيقة الأمر لا وجود لها.

رغم هذا الواقع الذي لا يخدم كلوزيل الا انه قرر في الاخير تنفيذ عملية اقتحام المدينة في أسرع وقت وبقوة كاملة. كلفت الفرقة الأولى والثانية بقيادة نمروس وريني باحتلال الكوديا، وحينما بدأت القوات الفرنسية تسلق المنحدرات، فجأة فتح باب الجديد وباب الواد فخرجت حوالي 1000 فارس مع صيحات السكان لتبدأ تبادل الطلقات النارية وهجوم على القوات الفرنسية لكن بتدخل قوات اخرى تمكنوا من إنقاذ الكثير. أما الفرق الأخرى تمركزت في المنصورة، والكارثة التي حلت بها هي ان فرقة المؤونة وصلت متأخرة وتعرضت للسرقة والنهب من طرف القبائل العربية ما جعل القوات تنتظر كثيرا وتعبت وجاعت دون أن تصل المؤونة. وبوصولها سادت الفوضى للحصول على الأكل، ونتيجة الإحباط المعنوي للقوات الفرنسية أكثرت من شرب الخمر ليلا، فأبتعد بعض افراد القوات عن المركز ما جعلها تتعرض للقتل.

محاولة اخضاع المدينة وفشل كل المحاولات:

كان الوضع حزينا في معسكر القوات الفرنسية المتمركز امام المدينة في صبيحة يوم 22 بسبب استسلام الكثير نتيجة البرد والارهاق حيث تعرض الكثير منهم الى التجمد وكذا اخبار فقدان القافلة المؤونة وقتل حراسها.

حاول الكلونيل تورنمين نقل المدفع الى مرتفع الكوديا، فأثناء الصعود وجد عراقيل كبيرة حيث صعب على عجلات التحرك بسبب الطين، كما تعرضوا لطلقات من قوات أحمد باي، تمكنت القوات الفرنسية وضع المدفعية في مرتفع المنصورة ليبدأ قصف أبواب القنطرة في المساء.

اراد المارشال الانهاء من العملية في وقت سريع حينما أوشكت الذخيرة على النفاذ، فحاول رجال الهندسة من التقرب من الباب الا ان المحاولة باءت بالفشل. وفي صبيحة 23 حاول احمد باي شن هجوم من جهة جنوب الغربي الكوديا حيث كانت تتمركز كتيبة الجنرال رني وبدأت المعركة التي كانت عنيفة ثم انسحبت قوات احمد باي حددت القوات الفرنسية ساعة الهجوم على الساعة 10 ليلا. وتم تبادل القصف

بالمدفعية الذي استمر الى غاية 3 صباحا وحاولت للمرة الثانية اقتحام المدينة إلا انها فشلت بسبب مقاومة للسكان والفرسان العنيفة.

رفع الحصار والانسحاب:

كان المارشال في القنطرة حينما أمر قواته بالتجمع وانه ينسحب يوم الغد حيث ظلت القوات الفرنسية طيلة الليل تحظر لوازمها للرحيل بعد تمركز القوات الفرنسية 3 ايام امام ابواب قسنطينة، وفي صبيحة يوم 24 تحركت الفرق العسكرية، وبانسحاب القوات الفرنسية هلل سكان المدينة وهم صاخرين منهم وقائلين" ان الكفار هاربون"، وأثناء الرحيل لاحقتهم القوات العربية لتشن هجومات من حين لأخر، وفي ليلة 24 تمركزت القوات الفرنسية في صومعة (Soumâa) غير بعيد عن قسنطينة وفي صبيحة 25 وجدت القوات الفرنسية محاصرة من طرف القبائل العربية ولكنها لم تتقدم وسمعت الطلقات النارية من بعيد، وظلت تراقبها وتتابعها طيلة 26 و 27، وأخيرا وصلت القوات الفرنسية الى قالمة في 28 واستمرت في طريقها الى عنابة بسلام حيث وصلت في 1 ديسمبر.

ومن اهم النتائج التي خلفتها فشل محاولة إسقاط مدينة قسنطينة خسائر كبيرة من الدوات وذخائر واسلحة كما قدر عدد الخسائر البشرية من العسكريين فرنسيين بحوالي 1000 قتيل، فخابت أمالهم وعادوا متطأطئين الرأس. ومن جهة اخرى يقابلها الفرحة والبهجة التي ادخلت في نفوس سكان المدينة وللإشارة تم معاقبة بعض الافراد من شيوخ القبائل التي كانت لهم الرغبة في الاستسلام اثناء عملية قصف بالمدفعية الفرنسية لأسوار المدينة بعد عودة الباشا الى المدينة.

ب. الحملة الثانية أكتوبر 1837م:

كان لإخفاق القوات الفرنسية في اسقاط مدينة قسنطينة صدى كبير على الرأي العام الفرنسي والحكومي حيث تعالت اصوات للانتقام، فكانت أول الاجراءات تغيير الحاكم العام كلوزيل وتعيين خلفه الجنرال دامديرون، ورأى هذا الاخير ان أول إجراء كان الانتقام لإهانة الراية الفرنسية أمام قسنطينة إلا أن الحكومة نصحته على إتباع أساليب لينة لإصلاح شرف فرنسا.

اراد الحاكم العام التفاوض مع الباي بشروط مقبولة، فتح باب التفاوض في باريس ممكن ولكن في الجزائر هو مستبعد لان العلاقات انقطعت نهائيا.

أرسلت الحكومة مفوضين الى تونس وهنا يمكن التفاوض لان كان علاقة تقارب بين احمد وباي تونس إلا أن المحاولة باءت بالفشل لكن الحكومة في باريس ألحت على فتح التفاوض في الوقت الذي قام فيه بيج وبالتوقيع على اتفاقية مع عبد القادر دون علم دامديرون، وفي نفس الوقت تدخل يهودي (بوشناق) كوسيط لعرض على الباي شروط التفاوض.

أرادت فرنسا من هذا التفاوض أن تخلق أمير أو سلطان في الشرق لمنافسة عبد القادر في الغرب (أي خلق فتنة بين الجزائريين)، فالمحاولة الثانية هي الأخرى باءت بالفشل لأن أحمد وضع شروط تعجيزية تحديا لفرنسا قام الباي باستفزاز القوات الفرنسية بقيام فرقه بحملة على المركز العسكري الفرنسي في قالمة، وكنتيجة لهذا الاستفزاز انقطعت كل مبادرة للتفاوض وراسل دامديرون باريس لتمنح له الضوء الأخضر لتنظيم حملة على قسنطينة مع منح له الامكانيات المادية الضرورية.

تنظيم وتحضير الحملة:

تمهيدا للحملة، أقام دامديرون معسكر كبير في مجاز عمار (قرب قالمة) حيث اصبح يصل إلى ه في كل وقت معدات وإمدادات وقوات ووقف بنفسه عن الانجاز في

شهر أوت 1837م. وأعلن الحاكم العام في 7 سبتمبر أن نمروس هو الذي يقود الحملة، في المقابل أحمد باي هو الاخر يحضر قواته للتصدي للحملة والمقاومة وخاصة انهم استفادوا من تجربة السنة الماضية، لذا اتخذ أحمد كل الاحتياط اللازمة لأنه يعرف أن هذه الحملة تكون أقوى من سابقاتها حيث قام بإصلاح وتحصين كل المحيط وأسوار المدينة، كما تم ترتيب كل الآليات العسكرية من ذخيرة ومدافع. الخ، كما أن ابواب المدينة تم تحصينها من الخارج ببناء أسوار من الإسمنت كما تم غلق طريق القنطرة (الجسر)، واتصل بكامل قبائل الشرق للاستعداد والتجنيد للجهاد المقدس.

تشكلت قافلة الحملة من 12الف عسكري الى جانب الفرق المخصصة في الادارة والممرضين، وبالتالي قدر العدد ب 13 ألف بدون حساب الفرسان المساعدين، أما العتاد عسكري: 12 المدفع و 6 مدافع الميدان وآلات سحب المدافع والعربات تقوم بها 580 حيوان للجر و 480 بغل مخصصة للحمولة.

وتضم الحملة 4 فرق بقيادة كل من الدوق نمرود والجنرال تريزل والجنرال هورهلس (Rulhières).

تحركت الحملة في 1 أكتوبر وبعد مشي 5 ايام وصلت امام الى مشارف قسنطينة بدأت الاشتباكات الأولى في 5 أكتوبر بحرق وتدمير القرى القريبة من المدينة وفي مساء هذا اليوم أي 6 أكتوبر تتمركز القوات الفرنسية أمام المدينة قرب مرتفع المنصورة واقامة مركز قيادة الأركان داخل الولي الصالح "سيدي مبروك، ويقضي الحاكم العام دامرون الليلة في قبة الولي الصالح ولم تعرف هذه الليلة إلا بعض تبادل طلقات نارية، وفي ظهر 6 أكتوبر تتقدم فرقتين نحو المدينة وقطع وادي الرمال (rivière de Rummel) واستولوا على هضبة "كوديا" ولكن البطارية المدفعية لقوات أحمد الموجودة بجانب الوادي اسقطت الكثير من قوات العدو.

بداية العمليات - مغامرات الهجوم وموت دامديرون ليخلفه فالى:

بعدما تمكنت القوات الفرنسية من توجيه المدافع صوب المدينة من الجهة الشرقية (المنصورة) بدأ قصف المدينة في 9 أكتوبر، حاولت الفرق العربية من جهتها شن هجوم على جانبي القوات الفرنسية التي كانت في المنصورة الا ان تم التصدي لها.

وبما ان القصف المدفعي لهذا اليوم لم يحقق نتائج بفتح ابواب المدينة من الجهة الشرقية (المنصورة)، لذا قرر دامديرون نقل المدافع الى الجهة الغربية أي "الكوديا" وقصف باب الواد ولكن هناك صعوبة في النقل وتم ذلك إلا بعد مجهود طويل وكبير، وبعد نقل المدافع والذخيرة الى الجهة الغربية(كوديا) انتقل المارشال للتفقد في صبيحة يوم 10 لاتخاذ كامل الاحتياط، وفي الساعة 11 قامت الفرق العربية يشن هجوم على "الكوديا" واجرت معركة كبيرة حيث كبدت فيها القوات الفرنسية خسائر في صفوفها، وبعدما أصبحت البطاريات والمدافع موجة نحو المدينة والانتظار اعطاء الضوء الأحمر حاول دامديرون ان يتفاوض مع سكان وقبول الاستسلام وارسل وسيط حمل الرسالة منه، فكان رد سكان المدينة :" اذا كان تتقصكم الذخيرة فسنزودكم، واذا لم يكن لديكم الخبز نتقاسم معكم ولكن "لا نسمح لكم بالدخول الى المدينة ما دمنا احياء ولا تصبحوا احياء الا بعد قتلنا جميعا". تجدد القصف 11 يوم اكتوبر بالمدفعية على اسوار وابواب المدينة لم يحقق نتائج ملموسة وعليه نقل المدفعية الى مواقع قريبة من المدينة.

وفي 12 تفقد دامديرون رفقة قيادة الاركان الوضع في الكوديا وأثناء تقدمه الى المنحدر بالقرب من مدفعية نمورس ومن هنا استطلع على المدينة من بعيد وفجأة قصفت مدفعية باب الواد منحدر الكوديا فأصابت المارشال الذي قتل على الفور كما تعرض الكثير من الضباط الفرنسيين الى جراح متفاوتة الخطورة، وبعدها تم عقد

مجلس الحرب وعين فالي قائد الحملة والأركان وفي عشية يوم 12 تجددت القصف ليحقق نتائج بتحطم اسوار المدينة وابوابه.

عملية اقتحام المدينة ومقاومة عنيفة من السكان فسقوط قسنطينة:

في ليلة 12 التي اعتبرت ليلة الحسم بالنسبة للطرفين، كان أحمد باي يتابع من بعيد قصف المدينة وحينما رأى الامور في غير صالحه بادر بالتفاوض ولكن فالي رفض قائلا: «بعد فوات الأوان، عليكم الا فتح الأبواب".

أخبر فإلى قواته العسكرية في مساء يوم 12 ان الاقتحام يكون في صبيحة اليوم الموالي وهذا لمنع اصلاح العطب في اسوار المدينة ظلت المدفعية الفرنسية مستمرة في القصف، وفي الثالثة ونصف صباحا توجه ضابط من الهندسة واخر من سبايس لتفقد مكان الاختراق، وفي نفس الليلة تم اختيار وتشكيل الفرق التي تقوم بالاختراق وعين لامورسيير قائد حملة الاختراق، وفي صبيحة يوم 13 الفرق المعنية بالاقتحام متواجدة في موقعها الأولى في ساحة على يمين مدفعيات "الكوديا"، الثانية على الطريق المؤدى الى باتنة اما الثالثة مرتكزة على باردو.

اعطيت اشارة الهجوم على الساعة السابعة صباحا من طرف الدوق نمروس لتنطلق قوات الفرنسية في اتجاه ثغرات الاسوار داخلة المدينة وفجأة تم نزع الراية الحمراء وتعويضها بالراية الفرنسية، وفجأة حدث انفجار ذخيرة احمد باي وكانت الكارثة سواء على القوات الفرنسية أو سكان المدينة، وتمكنت القوات الفرنسية من الدخول الى المدينة التي عرفت مواجهات ساخنة بين المقاومين والقوات الفرنسية التي انتهت في الاخير بتقديم وثيقة الاستسلام من طرف شيخ المدينة وتوقف اطلاق النار على الساعة 9 سقطت قسنطينة وتبدأ مرحلة النهب من طرف القوات الفرنسية خاصة انهم كانزا في حالة يرثى لها من جوع وثيابهم مبللة ووسخة. ونظرا لقصف المدينة طيلة 4 ايام وهو ما أدى الى خراب ودمار وسقوط اسوار المدينة لتصبح عرضة لهجوم القوات الفرنسية، اعطي الاذن بالهجوم على المدينة في 14 صباحا، وفي

بضعة ساعات تمكنت القوات الفرنسية من احتلال المدينة حيث وجدت المدينة مليئة بالجثث ممزقة المترامية في الاماكن حيث يدوس عليها الفرنسيين (مجزرة كبيرة)، بينما صمد قادة المقاومة كل بن عيسى وبن البجاوي طيلة الاقتحام وبعدما ا فقدوا الامل تمكن بن عيسي المصاب بجروح رفقة ابنه بالخروج من المدينة والهروب الى الريف، أما بن البجاوي مات وهو يقاوم، أما أحمد باي الذي ظل يتابع في تطورات الاقتحام من بعيد فحينما رأى ان المدينة سقطت توجه نحو الجنوب رفقة بن قنة، قدرت خسائر القوات الفرنسية ب 19 قتيل و 38 جريح من الضباط ، أما ضباط الصف والجنود : 129 قتيل و 468 جريح.

3. مواصلة أحمد باي المقاومة واستسلامه سنة 1848 م:

لم يستسلم احمد باي بعد سقوط مدينة قسنطينة، فتوجه رفقة بن قنة وجماعة من الفرسان المقربين الى أم الأصناب (الأوراس) حيث استقر فيها الا أن بعض القوات العربية في المنطقة أجبرته على مغادرة المكان ليشق طريقه نحو بسكرة.

وتمكن أحمد باي وبن قنة ان يصبحان اسياد الجنوب خاصة بعد القضاء على فرحات بن هني الذي تحالف مع عبد القادر ليوسع نفوذه الى الجنوب، في الوقت التي كانت يعرف فيه اقليم الوسط احداث، تقدم أمحمد بن عيسى البركاني رفقة فرحات بقوات كبيرة نحو مدينة الزيبان لملاحقة أحمد باي وصديقه بن قنة، فهربوا نحو الشمال بالقرب من الأوراس، و وبسماع قائد القوات الفرنسية لمنطقة قسنطينة نيقري (Négrie) ان احمد اقترب من المقاطعة وهو في الأوراس ويعمل على تحريض سكان المنطقة لإعلان الانتفاضة، لاحقه رفقة قواته العسكرية وحاصره في

¹. Témoin oculaire, membre de la commission scientifique, , Détails sue l'expédition, l'assaut et la prise de Constantine de l'expédition française, IMPRIMERIE DE GABRIEL ROSSARY, Lyon, 1838, pp,4-34.

المنطقة وتلاشت قوات أحمد باي بالتخلي الكثير من الفرسان عنه و اصبح في موقف حرجا ما دفع به الى الهروب الى الحنانشة رفقة بعض الفرسان فقط.

وما زاد في اضعاف أحمد باي هو استسلام بن قنة بوعزيز وبعض الفرسان من الجنوب (بسكرة) في نهاية ديسمبر 1838 م. الى ان قامت السلطات الفرنسية بتعيينه خليفة في بسكرة حيث عين شيخ العرب في جزء من بسكرة لان الجزء الاخر كان تحت سيادة بن عزوز التابع للأمير عبد القادر. حقق بن قانة بوعزيز عن طريق ابنه محمد وابن اخيه سي احمد بلحاج انتصارا ساحقا على ابن عزوز (خليفة جزء من الزيبان والمتحالف مع عبد القادر) وهو ما ادى الى هروب ابن عزوز من الميزان واستلاء عليها من طرق بن قانة.

ردا على ما حصل في الزيبان، راسل الامير فرحات بن هني (المسجون في تاقدمت مع عائلته كي يرافق اخ الامير للقيام بحملة على الزيبان، الا ان القوات الفرنسية بقيادة القائد الجديد لمقاطعة قسنطينة قالبوا(Galbois) وتمكنت من ابعاد قوات الامير نهائيا من الجنوب الشرقي.

وحينما صعبت عليه الامور باعتقال الكثير من رفقائه ما كان عليه الا الاستلام في جوان 1848 م، لينقل الى المركز العسكري في بسكرة ومنه الى قسنطينة وبعدها نقل الى مدينة الجزائر وفيها توفي سنة 1851م ودفن بمقبرة سيدي عبد الرحمان القريبة من باب الواد.

المحاضرة السادسة: الثورات الشعبية الأخرى خلال القرن التاسع عشر

عناصر المحاضرة:

مقدمة

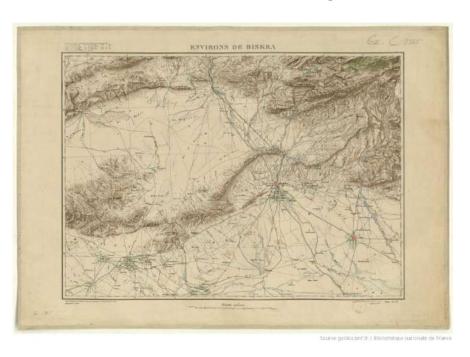
- 1-انتفاضة الزعاطشة.
- 2-انتفاضة المقراني 1870-1871
 - 3-انتفاضة الأوراس سنة 1879.
- 4-انتفاضة بوعمامة جنوب اقليم وهران 1881.
 - 5-انتفاضة المزاب 1882.

مقدمة: من بين المتمردين على التوسع الفرنسي في المناطق الداخلية سواء الوسطى، الشرقية والغربية رغم استمرار كل من مقاومة عبد القادر أو احمد باي في الشرق، الا ان هذا لم يمنع من بروز افراد يدعون انهم من الأولياء الصالحين اي الشرفاء ليعلنوا الجهاد الإسلامي وظهر ذلك في منطقة القبائل ومن بينهم: مولاي محمد بن عبد الله الملقب ب بوبغلة وكان ذلك سنة 1845 وتمتد مقاومته الى غاية....، اما في الظهرة اي شمال الشلف ظهر زعيم يلقب ببومعزة. سنة عاية...، اما في بعض الانتفاضات الشعبية.

1. انتفاضة الزعاطشة اكتوبر 1849م

دامت "انتفاضة الزعاطشة" 51 يوم، ما هو معروف ان بسكرة سقطت تحت السيادة الفرنسية سنة 1844م، لكنها لم تتمكن من اخضاع الزيبان الا سنة 1844م، وعين سان جرمان قائد الكتيبة في بسكرة وتمكن ضبط الامور وتجسيد الانضباط..... وظل الى غاية 1849م، وحينما سافر الى قسنطينة سنة 1849 وتعويضه بالرقيب لاقريني (Lagrenée).

خلال هذه الفترة تحرك بوزيان نمن أجل تحريض وتحريك أهالي المنطقة من اجل العصيان والاحتجاج ضد الضرائب المفروضة على النخيل.



تشهد منطقة جنوب اقليم قسنطينة (الزيبان والأوراس) سنة 1849 انتفاضة شاملة، وهو ما جعل منطقة الزعاطشة تضرب عليها حصار من طرف القوات الفرنسية.

كان الهجوم لإخضاع الزعاطشة في 27 نوفمبر 1849م، تنظيم الحملة لإخماد انتفاضة الزعاطشة يبدأ من اقليم الجزائر بإرسال امدادات الى الجنوب الشرقي (الجزائر – سكيكدة – قسنطينة – بسكرة) من حيث تعرف الزعاطشة اشتباكات دامية يشن أهالي المنطقة هجمات من حين لآخر على القوات الفرنسية المتمركزة حول الحصار بالحاق بهم خسائر مريرة في صفوف قواتهم.

من نتائج هذه الانتفاضة:

- قتل أكثر من 70 ضابط فرنسى.

- التخلص من 1000 عسكري فرنسى من المعارك 1 .

أما بوزيان وعائلته وزوجاته وحاشيته من الضباط العسكريين تعرضوا للإعدام والشنق في حديقة رفقة 50 من لحاشيته للقتل وتشويه جثثهم حيث علقت جثثهم في وسط ساحة الزعاطشة.

ان ثورة 1848 م في فرنسا وانتقال خبرها الى مستعمرة الجزائر، كان له أثر بالغ سواء لدى الأوروبيين والأهالي اتخذها الأهالي كفرصة والوقت التي تمر به فرنسا بهذا الوضع المزري فهو ملائم للتمرد ضد الاعداء، فكان ذلك في الشمال الشرقي من طرف بعض القبائل في الوقت الذي كان فيه الجنوب يمر بهدوء وسلم.

ولكن خبر ثورة 1848 لفرنسا لم يمر ببرودة في الجنوب الشرقي رغم تأخر انتقاله، المهم ان بعد سماع بهذا الخبر حرك أهالي الزاب بزعامة بوزيان لإعلان العصيان والتمرد ضد الوجود الفرنسي في الزاب، يمكن ان تحدد اسباب انتفاضة الزعاطشة الى ما يلى:

 $^{
m e}$ رفع ضريبة النخلة ب $^{
m e}$ 1 $^{
m e}$ 1 اي بعدما كانت $^{
m e}$ 0,30 ارتفعت الى $^{
m e}$ 0,45.

2- انتقال خبر الثورة هو الذي حفز سكان المنطقة للخروج.

وشرارة الانتفاضة انتقلت الى المناطق المجاورة للزبيان خاصة الأوراس.

وصلت القوات الفرنسية المجندة كن اقليم قسنطينة ولكن بتدعيم قليل من اقليم الوسط للحملة على بسكرة (الزعاطشة) بتاريخ 7 أكتوبر 1849، فقدر تعدادها ب 4000عسكري، ويبدأ الحصار الذي دام الى غاية 20 أكتوبر، ففي هذا اليوم حاولت

¹. Charles Bocher, Lettres et récits militaires, Afrique et armée d'orient, Calmann Lévy, éditeur, paris, 1897, p.32.

فرقتين من القوات الفرنسية اقحام المدينة ولكن بخروجها من الخنادق باتجاه المدينة فسقطت عليها وابل من الرصاص. وينتهي القوات الفرنسية من العملية في 28 نوفمبر وتبدأ تتحرك في اتجاه بسكرة ثم.

ازالة الزعاطشة من خريطة العالم بعد الخراب والحرق والابادة..... الخ

2. مقاومة المقراني والحداد

ينسب معظم المؤرخين أسرة المقراني إلى السيدة فاطمة بنت الرسول-عليه الصالة والسالم-، ويذكرون أن أجدادها من قبائل عياض، هاجروا إلى اقليم المغرب في القرن 11م خلال قدوم الهلالي ين إلى منطقة، ليستقروا بجبال قلعة بني حماد في المعاضيد شمال مدينة المسيلة وجنوب شرق مدينة برج بوعريريج. وارتبط تاريخهم بالأمراء الحمادين، ثم انتقلت الاسرة عبر بعض مناطق هذه الجهة من الجزائر حتى اختارت قلعة بني عباس شمال غرب سهل مجانة داخل المنطقة الغربية على الضفة إلى منى لواد الساحل. وبعد مخاض وانقسام كبيرين داخل الاسرة عين الفرنسيون محمد المقراني باشاغا على مجانة إثر وفاة أبيه في حوالى سنة 1853 مأ.

أما الشيخ الحداد فينتمي إلى الطريقة الرحمانية التي أسسها محمد بن عبد الرحمن الذي عاش بين سنتي 1715 و 1725م، وتعتبر قرية بني منصور في جبال البيبان موطنا أصليا لعائلته، ومن هذه القرية انتقل أفراد الأسرة إلى مختلف مناطق وقرى بلاد القبائل. وقد استقر أحد أفراد الأسرة بقرية صدوق على الضفة إلى منى لواد

[.] أي يحيى بوعزيز ، ثورة 1871 (دور عائلتي المقراني والحداد)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978، ص ص 49-58.

الصومام، وهناك ولد محمد أمزيان الحداد الذي أشرف فيما بعد على الزاوية الرحمانية التي قصدها الكثير من طلاب العلم والذين عرفوا بالإخوان الرحمانيين.

أسباب المقاومة: يمكن حصرها فيما يلي:

- مرسوم كريميو Crémieux والذي منح امتيازات لليهود أساسها الحصول على المواطنة الفرنسية هذا ما جعلهم في مكانة أحسن من المسلم الجزائري¹.
 - الشعور بالظلم والاهانة للأهالي ومصادرة املاكهم وافقارهم.
- أثر سقوط النظام الامبراطورية وظهور الجمهورية على الأوضاع الداخلية للجزائر في مقدمتها ظهور قوة المستوطنين وتأثيرها على حكومة باريس وسيطرتهم على السلطة في الجزائر.
- تلقي المقراني توبيخ من طرف الجنرال ديف سنة 1864م واعتبار هذا الفعل اهانة لهو لعائلته ولسكان منطقته.
- تقليص نفوذ المقراني في المنطقة وتحطيم كبريائه كزعيم سياسي لذلك قدم استقالته من منصب الباشاغا التي رفضتها الإدارة الفرنسية في 09 مارس 1871 اعتبر المقراني ذلك الرفض مساس بكرامته.
- المجاعة الكبيرة التي تعرضت لها المنطقة والتي وقعت ما بين 1867 و 1868 وراح ضحيتها ألاف الجزائريين الذين حصدهم الموت أمام مرأى ومسمع من الإدارة الاستعمارية التي لم تسارع إلى نجدة الأهالي وهذا ما أكد للمقراني مرة أخرى أن هذه الإدارة لا يهمها في الجزائر إلا مصالحها.

¹. Le commandant Du Cheyron, L'insurrection de 1871 en Algérie, journal d'un officier, Henri Plon, imprimeur éditeur, Paris, 1873, p. 19.

- السبب الديني حيث استغلت الكنيسة الأوضاع الاجتماعية المزرية وراحت تحمل الإنجيل في يد والمساعدات في اليد الأخرى مما اضطر الأهالي إلى ترك أبنائهم في يد الآباء البيض للتنصير خوفا عليهم من الموت .

مراحل مقاومة الشيخ المقرانى والحداد:

مرحلة الانطلاق: عقد المقراني اجتماعا حربيا مع رجالاته وكبار قادته في 14 مارس 1871 م ليباشر الحرب، وفي 16مارس بدأ زحفه على مدينة برج بوعريج على رأس قوة قدرت بسبعة ألاف فارس قصد محاصرتها والضغط على الإدارة الاستعمارية الجديدة.

- مرحلة شمولية الثورة وبروز الشيخ الحداد والاخوان الرحمانيين:

بعد محاصرة مدينة البرج وانتشار الثورة عبر العديد من مناطق الشرق ووصلت الى مليانة وشرشال والحضنة والمسيلة حنى ابواب الصحراء (بسكرة وعين صالح وبوسعادة وتوقرت) وامام هذا الوضع برزت خلافات بين الزوايا وداخل عائلة المقراني الذي لا يخدم مقاومة المقراني ضد الادارة الاستعمارية الذي عمد إلى استمالة الشيخ الحداد والإخوان الرحمانيين, وبواسطته بدأت تعبئة السكان للجهاد وقد لعب ابن الشيخ محمد أمزيان بن علي الحداد دورا بارزا إلى جانب المقراني, واستطاع إقناع والده بإعلان الجهاد في 80 أفريل بارزا إلى جانب المقراني, واستطاع إقناع والده بإعلان الجهاد في 80 أفريل صفوف الثورة وأصبحوا قوتها الضاربة حيث خاضوا مع الباشاغا محمد المقراني عدة معارك انتصروا فيها على جيوش العد والفرنسي، وتعتبر معارك المقراني، وأخوه بومرزاق والشيخ عزيز بالإضافة إلى الإخوان الرحمانيين من المعارك التي أثبتت لقادة الاستعمار توسع رقعة هذه الثورة التي لم تكن محصورة في مجانة أو البرج بل وصلت إلى دلس و تيزي وزو وصور

الغزلان وذراع الميزان والبويرة ووصلت إلى مشارف العاصمة. وكان الاخوان الرحمانيين من أتباع الشيخ الحداد دور بارز في انتصارات الثورة بعد انضمام الحداد الى الجهاد في 08 ابريل 1871 محيث وصل عدد المجاهدين أكثر من مائة وعشرون ألف مجاهد، وحققت هذه لانتصارات هد والثورة انتصارات كبيرة أخافت الادارة الاستعمارية وأصبحت تشكل خطرا على مصالحها.

مرحلة التراجع: رغم قوة شيخ الحداد وابنه عزيز في التعبئة العامة للجهاد ودور أتباعهم الرحمانيين الى جانب دور محمد المقراني واخيه الا الخلافات التي زرعتها الادارة الاستعمارية خاصة بعد استشهاد المقراني حول زعامة المقاومة بين اخ المقراني والشيخ الحداد الى جانب الخلاف بين زوايا أهل المنطقة وما ادى بانسحاب هذه القوات من المقاومة، وبقي بومزراق اخ المقراني يواصل المقاومة بمفرده وامام قوة العدو وضعف جيشه بعد انسحاب الكبير لحلفائه ما ادى الى مطاردته و القاء عليه القبض في جانفي 1872، دامت المقاومة حوالي 6 اشهر مخلفتا عدة نتائج.

نتائج المقاومة:

- فرض ضرائب على سكان المنطقة المشاركة في المقاومة المقدرة بين 70 الى 210 فرنك.
- اجبار العائلات على دفع مبالغ مالية ضخمة تتراوح بين نصف مليون و 3 مليون فرنك وفي حالة عدم الدفع يتم الاستلاء على الاموال.
 - احالة الموقوفين من قادة الثورة على المحاكم المدنية أو العسكرية.
- مصادرة أراضي القبائل وحجز املاك افرادها، حيث تم مصادرة أكثر من 611 ألف هكتار.
- اصدار احكام قضائية مشددة في حق بومزراق المقراني المقدرة بالإعدام اما الحداد ب 10 سنوات سجنا.

تحتل مقاومة المقراني والشيخ الحداد مكانة بارزة ضمن سلسلة المقاومات الشعبية والحركات الثورية الجزائرية وكان لعائلتي المقراني والحداد الدور أساسي في قيادة الثورة وحركات المقاومة الجزائرية، وتحمل تطوراتها وتبعاتها. ولقد كان للزاوية الرحمانية الدور الحاسم في كافة الأعمال القتالية لهذه الثورة الرائدة، فكانت بحق ثورة الاخوان الرحمانيين .كما كانت ثورة الجزائر كلها، تحت راية الجهاد من أجل الوطن ومن هنا، وإذا كان لا بد للثورة من إطار شامل يضمنها، فيكفي وضعها في اطارها الزمني. وهي أيضا امتداد لأعمال المقاومة التي بدأها الشعب الجزائري منذ الأيام الأولى للغز والاستعماري الفرنسي للجزائر، كمقاومة الامير عبد القادر وأحمد باي، ومرورا بثورات لالة فاطمة نسومر وغيرها أ.

لم تكن ثورة المقراني والشيخ الحداد الا بداية لثورات لاحقة، اتصل بعضها ببعض فبقيت أرض الجزائر أرض الاحرار وجزائر الاسلام والمسلمين، وهي تلتهب لتحرق أقدام المستعمرين، حتى آن أوان ثورة الفاتح نوفمبر من سنة 1954 والتي سارت بالجزائر إلى النصر العظيم واسترجاع الاستقلال. هذا وقد تتاول العديد من المؤرخين هذه المقاومة من زوايا مختلفة، نحاول فيما يلي تسليط الضوء على ما كتبه لوي رين " Rinn.L" في المجلة الإفريقية من خلال مقالين في سنتي 1887 و 1891، حيث قال: " أن ثورة الحداد وإخوانه في 80 أفريل هي أهم وأخطر حدث في هذه الثورة، أعلن الحداد الجهاد فدفع عدد كبيرا من سكان جرجرة والبابور وحوض الصومام إلى الثورة. وأن المقراني ما كان ليتحول "عصيانه" إلى ثورة عارمة إلا بعد انقياد الإخوان الرحمانيين لنداء شيخهم، وحملهم للسالح2.

-

 $^{^{1}}$. المرجع السابق، ص ص $^{-67}$.

². -Rinn(L), Histoire de l'insurrection de 1871en Algérie, Alger, imp. Jourdan, 1891.

كما اعترف رين بأن المقاومة كانت عنيفة، فقد جرت عدة معارك، آخرها معركة تالة إيفاسن في 23 جوان 1871، والتي استسلم على إثرها الحداد للجنرال الفرنسي الملان " Lallemant يوم 30 جوان من نفس السنة بعين بسام. ويشير المؤرخون إلى أسر 600 مقاوم واستعادة 500 بندقية وتقديم حوالي 950 ألف فرنك إلى خزينة الدولة.

3. انتفاضة الأوراس سنة 1879.

بتاريخ 30 ماي 1879، انتفضت فرقة مكونة من أولاد داود وبني بوسليمان وعمار حراد وفي الحمام عند أولاد الداود، وهاجمت بشكل خاص وذبحت زعماء قبائل الأوراس حيث قتلت قائد بني بوسليمان سي مصطفى باشتارزي ثم قتل قائد أولاد داود، بوضياف، في معسكر الأناصر، وأولاد عبدي، سي الحسن، حيث قتل أيضا جندي فرنسي وستة صبايحية وخمسة عشر من خدم القائد. في ليلة 8-9 جوان هاجم تمركز عسكري فرنسي في ربيعة الا ان القوات الفرنسية تمكنت من صد الهجوم.

تخوفت الحكومة الفرنسية ان الانتفاضة تكون عامة، لذا جمعت قرابة اثني عشر ألف رجل ساروا في ثلاثة أعمدة باتجاه مسرح الثورة. بعد مواجهة غير مهمة، استسلم المتمردون، باستثناء مائة وخمسين أو مائتين من الرجال الذين حاولوا الفرار وماتوا من العطش في الصحراء.

كانت لهذه الانتفاضة خصائص ومميزات فريدة من نوعها الن الأهالي هجموا وضربوا وقتلوا قادتهم، أما من جهة اخرى أنقذوا الأوروبيين الذين كانوا في ممتلكاتهم وقت نشوب الانتفاضة.

كان سبب الانتفاضة حسب الرأي المدني أن الحركة كانت بسبب ابتزازات وتجاوزات القادة الكبار للقبائل. بينما الراي العسكري عكس ذلك، حيث يرده إلى أن السبب هي خطب المتعصب الذي يدعى محمد أمزيان معروف باسم محمد بن عبد الرحمن. بتحريضه على التمرد والانتفاضة حيث رأى في نفسه انه النبي المنتظر، أستلزم عقود من الحروب لإنهاء المقاومة الشعب الجزائري للذين كانوا يقولون أن بالسيف ندخل عليكم الحضارة.

كانت مقاومة الشعب الجزائري عنيفة من سنة 1830 إلى غاية 1847م للإطاحة بالغزاة الذين كانوا يرون في الجزائر أنها لا تمثل وطن ولكن ظهر عكس ذلك لان توسعهم على كل شبر من الارض كان الا بإهدار واراقة الدماء.

وقال أنجلز في هذا الصدد ما يلي:" قد تم احتلال منزل وراء منزل سواء داخل مدينة صغيرة أو كبيرة بعد تضحيات لا تحصى ولا تقدر لان القبائل العربية والأمازغية تري في السيادة والاستقلال شيء مقدس وكانت تفضل التضحية بالنفس والنفيس علي الاهانة والسيطرة، تعرضت هذه القبائل لمداهمات وغارات رهيبة حيث احرقت ودمرت منازلهم وممتلكاتهم وكما اتلفت محاصيلهم الزراعية علي أخرها أما السكان المتواجدين في هذه الاماكن تعرضوا لأبشع الجرائم وأساليب القمع والاضطهاد أ. والأمثلة كثيرة التي تعكس الشراسة و وحشية الغزاة المتمثلة في أقوال الجنرالات الفرنسيين المشاركين في التوسع تناولها الكثير من الكتاب ومن أشهر السفاحين الكونت هريسون الذي قاد عدة حملات التوسع وتكلم عن حملة لبرميل مملوء بالأذنين أصطادها حسب قوله، إضافة لذلك تعرضت القرى للنهب والتخريب

carcio

¹. Marks-Engels, textes sur le colonialisme, éditions Moscou, p.190.

والحرق، فهي تدخل في سياسة إبادة الأهالي وتعويضهم بالمستوطنين مثلما فعل الأمريكيون مع الهنود الحمر 1.

كان من رواد المقاومة الشعبية رجل عسكري ورجل دولة وهو الأمير عبد القادر الذي لم يستسلم إلا سنة 1847م وفق شروط وبعد خيانة فادحة للسلطان المغربي، في الوقت الذي كان فيه عبد القادر قد أشعل فتيل الحرب بتوحيد القبائل الجزائرية وإلغاء الامتيازات ونشر الوعي القومي لإقامة وطن جزائري وذلك بلم شمل الجزائريين لخوض مقاومة شعبية ضد الغزو الأجنبي الفرنسي حيث أعطى لها بعد وطني، وكان سولت(Soult) وزير الحرب أنداك قد أكد على البعد الوطني لمقاومة الأمير في رسالة بعث بها إلى لامورسيار (Lamoricière) الحاكم العام في الجزائر وجاء في رسالة بعث على الأمير عبد القادر للجزائر نوع من الوحدة الوطنية "2.

بعد استسلام عبد القادر لم تسقط كامل المناطق الجزائرية في قبضة الغزاة الفرنسيين كمنطقة قسنطينة ومنطقة القبائل والأطلس الصحراوي التي هي الأخرى قاومت وواجهت بشدة التوسع الفرنسي حينما شرع في التوسع على حسابها وظلت المقاومات مستمرة إلى غاية الانتفاضة الكبرى التي قادها الإخوة الحداد والمقراني سنة 1871م التي بدأت في قسنطينة وامتدت إلى القبائل ثم الغرب والأطلس الصحراوي، كان وراء تحريك وتنسيق هذه المقاومة الحداد والمقراني المنتميان للطريقة الرحمانية، وقد شارك في المقاومة مئات الألاف من المقاومين أي ثلثي البلاد.

انتهت المقاومة 1871م بالانهزام والاستسلام ولكن عموما فإن المقاومات المسلحة التي خاضها الشعب الجزائري طيلة القرن 19 اتسمت بخصوصياتها (نقص التنسيق والتنظيم) وكانت في ظروف معينة محليا (ضعف الوعي القومي، النظام القبلي،

¹. Lacoste, Nouschi, Prenant, L'Algérie, passé et présent, Editions sociales, Paris, 1960 ; P.305.

². Mohammed Teguia, L'Algérie en Guerre, OPU, Alger, 1980, P. 16.

نقص في العتاد العسكري...) ودوليا (عدم تطور النظام الدولي) معينة ما جعلها تفشل في تحقيق هدفها، عكس ثورة المنتصف الثاني من القرن 20 التي جرت في ظروف مغايرة تماما التي كللت بتحقيق هدفها وآمال الشعب الجزائري.

ان كانت مقاومة الأمير ومقاومة 1871 من المقاومات القوية ضد المحتل الفرنسي لشموليتها واتساعها عبر ربوع الوطن، إلا أن المقاومات الشعبية الجزائرية لم تتوقف رغم أنها كانت محلية وظرفية وبذلك استمرت إلى غاية الحرب العالمية الأولي ومن اهمها مقاومة 1872م التي عرفتها منطقة جنوب قسنطينة (بسكرة، تقرت و ورقلة) وثورة الزيتان (بسكرة) في سنة 1876م، وثورة الأوراس سنة 1897، وفي سنة 1881 في جنوب وهران، وفي سنة 1882 في المزاب، كما لم تتوقف الاعتداءات الشعب الجزائري على المحتل حيث سجلت سنة 1895م 8389 عملية اعتداء غلى ممتلكات وافراد الأوروبيين 1.

كما تم تسجيل بين 1886 إلى 1894م ما يقرب من 51077 عملية اعتداء من نفس النوع اي بمعدل 5675 عملية كل سنة.

وقد كان سكان الطاسيلي والهقار من سكان الصحراء الأوائل الذين تصدوا للعزو الفرنسي أثناء توسعه سنة 1902 و 1903م، كما حدث في شرق الجزائر سنة 1908م، أما سنة 1910 فقد شهدت حركة مناهضة للتجنيد الإجباري الذي مس مناطق مختلفة من الجزائر،:قسنطينة، التيطري وغرب الجزائري، جعل سكان بني شقران السلاح للتعبير عن رفضهم التجنيد الإجباري واشتبكوا مع القوات الفرنسية، أما في الشمال القسنطيني تعرضت عدة مزارع أوروبية لهجمات وتخريب قام بها سلطان المنطقة تعبيرا عن رفضهم لسياسة التجنيد ' اكما ثارت الزاوية السنوسية في جنات (

109

¹. Charles Robert Ageron, Les musulmans Algériens et la France, tome 2,P.U.F, Paris, 1968, p.553.

الصحراء) سنة 1915 م، التي شهدت عدة معارك،، وفي سنة 1916م ترفض قائل الأوراس هي الأخرى التجنيد الاجباري حيث تم الاعتداء على قوافل الناقلة للمجندين الأوراس هي الأخرى التجنيد الاجباري حيث تم الاعتداء على قوافل الناقلة للمجندين من اجل تحريرهم. كما ثارت قبائل التوارق الهقار سنة 1917 و 1918م بشن هجمات على القوات الفرنسية بينت منطقتي ورقلة وتمنراست الذي ادي بإلقاء القبض وتحطيم بغض الكتائب الفرنسية أما ميز المرحلة الأولى من رفض الشعب الجزائري للوجود الاجنبي الفرنسي في الجزائر والذي تجسد في المقامات الشعبية وما يميز هذه المرحلة هو بروز كل من مقاومة الامير عبد القادر ومقاومة الحداد والمقراني لكونهما مقاومات عنيفة وباسلة كما كانت شاملة اما البقية يمكن اعتبارها اضطرابات رمزية، وانتهت هذه المرحلة دون تحقيق نتائج ملموسة، وكان وراء هذه المقاومات رجال الدين وذات طابع ريفي بينما المدن لم تعرف تحركا كبيرا.

بفشل هذا الاسلوب من النضال والكفاح (المقاومات الشعبية) في تحقيق نتائج ملموسة اي طرد الاجنبي الفرنسي لم يستسلم الشعب الجزائري للحالة التي أل إلى ها بعد تطبيق المستعمر سياسة قائمة على الاستغلال والقمع والتفرقة...، وما دفعه للعودة للنضال هي المتغيرات التي عرفها عالمنا مع بداية القرن العشرين. ولكن جاء النضال في صبغة واسلوب جديد يعرف بالنضال السياسي بظهور وميلاد الحركة الوطنية. فما هو مفهوم الحركة الوطنية وما هي العوامل والظروف التي ساعدت على ظهورها؟

¹. Mohammed Teguia, Op. Cit, p. 18.

110

المحاضرة السابعة: سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر من 1870 إلى 1900.

1. السياسة الفرنسية في الجزائر من 1870 الى 1914

لم يعتبر الكثير من الفرنسيين ان الجزائر ليست مستعمرة مثل باقي المستعمرات وانما هي امتداد لفرنسا في الضفة الجنوبية للبحر الابيض المتوسط، ما جعل طبيعة نظام الحكم في الجزائر يتغير تماشيا للتغيرات والتطورات التي كانت تعرفها كل من المتروبول والجزائر الفرنسية، ما جعل ان طبيعة نظام الحكم وادارة الجزائر عرفت تطورات وتغيرات مع توسع وتوطيد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ما يجعلنا نميز بين عدة مراحل في حكم وإدارة الجزائر ونقتصر على دراسة المرحلة الممتدة من 1870 الى 1914 م في مختلف المجالات.

المرحلة الخامسة (عهد الجمهورية الثالثة) من 1870-1882م

عارض الاحرار الفرنسيون ما تم تطبيقه من أفكار فيما يخص الجزائر، إن فكرة المملكة العربية تعارض الاستعمار والمصالح الاقتصادية لفرنسا، ففي سنة 1868م كتب احد رواد الكتاب الفرنسيين بريفوس بارادول (Prévost-Paradol) معبرا عن أفكاره عن استعمار الجزائر قائلا: "الجزائر هي أخر أمل لعظمة فرنسا "ويقول "إن إفريقيا في فرنسا الجديدة لا تكون بالنسبة إلينا مركزا تجاريا مثلما هو في الهند وليس فقط ميدان أو ثكنة لقواتنا العسكرية ولا هو مركزا للتجارب هي أراض فرنسية حيث لا

بد من الإسراع بتعميرها بالسكان، تملك وتزرع من طرف الفرنسيين 1 إن هذه الأفكار ترى النور بعد زيارة لوفد برلماني لإجراء تحقيق في عين المكان.

اصدرت الحكومة الفرنسية بتاريخ 24 أكتوبر 9 مراسيم بموجبها تقرر فيها اقامة نظام مدني في الجزائر ومن بينها قانون منح الجنسية الفرنسية للإسرائيليين

B. n° 8. — 109 — RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

N° 136. — Décret qui déclare citoyens français les Israéliles indigènes de l'Algérie.

Du 24 Octobre 1870.

LE GOUVERNEMENT DE LA DÉFENSE NATIONALE DÉCRÈTE :

Les israélites indigènes des départements de l'Algérie sont déclarés citoyens français; en conséquence, leur statut réel et leur statut personnel seront, à compter de la promulgation du présent décret, réglés par la loi française, tous droits acquis jusqu'à ce jour restant inviolables.

Toute disposition législative, tout sénatus-consulte, décret, règlement ou ordonnance contraires, sont abolis.

Fait à Tours, le 24 Octobre 1870.

Signé Ad. CRÉMIEUX, L. GAMBETTA, AL. GLAIS-BIZOIN, L. FOURICHON.

وبموجب هذه المراسيم الصادرة في 24 أكتوبر 1870 تضع الجزائر تحت سلطة حكومة مدنية تابعة لوزارة الداخلية والتي تتمركز في مدينة الجزائر. سيكون أول حاكمان مدنيان عامين إلى جانب: دي جويدون (Chanzy)، وكان هذا الاخير يؤمن بشدة بالاندماج، صاحب نظرية النظام الجديد: "المبادرة والتتفيذ في مدينة الجزائر، القرار والمراقبة في باريس".

وإذا كان القرار، في الواقع يتخذ من باريس، لا يمكن أن يكون معروفاً لوزير الداخلية إلا في الأمور المتعلقة باختصاصه، بالنسبة للموضوعات الأخرى، كان من

¹. Prévost-Paradol, La France nouvelle, libraires éditeurs, Michel Lévy frères, Paris, 1868, p.417.

الضروري إشراك مختلف الوزراء المسؤولين أمام البرلمان. لذلك كان علينا الوصول إلى النظام الذي يسمى بالارتباط.

بناء على تقرير من الحاكم العام للجزائر، السيد جريف(GREVY)، في 3 نوفمبر M. M. 1880، تم تشكيل لجنة برلمانية إضافية من قبل السيد جوستاو (.M GOUSTAU)، وزير الداخلية من اجل تعديل وتنظيم وتحديد سمات الحكومة العامة، لتحديد علاقاتها مع متروبول، كانت هذه اللجنة على عاتقها امام الغرف البرلمانية النظر في امكانية ربط الجزائر مع السلطات المركزية واخيرا التخلص أخيرًا من نظام المراسيم، المليء بالارتباك والتعسف اي التشريع الجزائري (هذه اللجنة كانت تتألف من اثنين من نواب أمناء الدولة و أعضاء من البرلمان وكذا أعضاء من مجلس الشيوخ....).

ولكن بهذا الاجراء لم يبقى لحاكم العام ولا سلطات.

وبصدور المرسوم المؤرخ 26 أغسطس 1881 مبدأ النظام الإداري الجديد.

أصبحت مصالح الجزائر تحت السلطة المباشرة للوزراء التابعين لباريس، ليصبح كل وزير صاحب الاختصاص والشؤون المرتبطة به في الجزائر حيث تقوم كل وزارة من جهتها ارسال تعليمات المتعلقة بشؤونها الى الحاكم العام، يأخذ بمقترحاته ويبدي رأيه ليقرر الوزير أو اتخاذ القرار من قبل رئيس الدولة.

بعد حصوله على حق المبادرة، يصبح الحاكم العام مجرد سلطة تنفيذية، حتى في حدود صلاحيات المخولة له يجد نفسه في حالة التبعية: هو عن طريق تفويض وأخيرًا، يتمتع الحاكم العام بسلطات ذاتية فقط، أو تلك المخولة له بموجب قوانين خاصة.

المجلس الأعلى للحكومة واعداد الميزانية

يضع الحاكم العام مشروع الميزانية لكافة المصالح، ويقدمه إلى المجلس الأعلى للحكومة. يشمل هذا المجلس (الذي تتمثل مهمته الرئيسية إعداد الميزانية)،

والذي أعيد تنظيمه وتوسيعه بموجب المرسوم في 1883 خمسة عشر مسؤولا كبيرا من مجلس الحكومة، المحافظين الثلاثة، الجنرالات الثلاثة الذين يقودون الأقسام وثمانية عشر مستشارًا عامًا، ويدرسون مقترحات الميزانية، واساس وتوزيع الضرائب، ليقرر الوزراء فيما بعد في الاقتراحات، يتم توزيع الاعتمادات التي فتحت للجزائر بموجب قانون المالية توزيع النفقات على مختلف الوزارات على نفس الشكل والشروط والمسؤولية كما هي في الميزانية العامة الدولة. وفي هذا القطاع، كما هو الحال في معظم القطاعات الأخرى، لا يعتبر الحاكم العام أكثر من موظف (وسيط) يُكلف بإثارة القرارات اللازمة وتنفيذها عند اتخاذها.

2. النظام السياسي في الجزائر:

ان مرسوم 5 فيفري سنة 1871م يسمح ممثلين لكن مقاطعة في الجمعية الوطنية، الا ان السلطات العمومية جعلت من الجزائر حالة خاصة، حيث يكون لها ممثل واحد عن كل مقاطعة، الا أن قانون 1881 صحح ومنح لكل مقاطعة ممثلين،

ما هو معمول به في الجزائر مخالف تماما عن وطن الأم، حيث يوجد في الجزائر قائمتين انتخابيتين أو هيئتين انتخابيتين هيئة انتخابية أوروبية وهيئة انتخابية من الأهالي ان قائمة المشاركة في الانتخابات السياسية هي الهيئة الانتخابية الأوروبيين فقط، بينما الأهالي يشاكرون في بقية الانتخابات اي البلدية (سنة 1789 قائمة الانتخابية في الانتخابات السياسية تساوي 45408 ناخب، اما القائمة الانتخابية البلدية فهي أيضا تساوي 78781 ناخب.

كما ان كل مقاطعة جزائرية لها عض وفي مجلس الشيوخ اي "سيناتور" ينتخب من هيئة انتخابية متكونة من البرلمانيين، اعضاء من المجلس العام من مواطنين فرنسيين، مندوبين من مواطنين فرنسيين منتخبين من المجالس البلدية.

ادارة المحافظات

تنقسم الجزائر إلى ثلاث محافظات، تضم كل واحدة منها إقليمًا مدنيا واقليم عسكري. الأقاليم المدنية مقسمة الى 3 محافظات واقعة عمومًا في المنطقة التلية أما الأقاليم العسكرية تشمل الجزء الاكبر من الهضاب العليا والصحراء وهي مقسمة الى 3 نواحي عسكرية ومقراتها هي مقر المحافظات.

توجد 12 قسما عسكريا وهي موزعة كالتالي:

مدينة الجزائر: الجزائر، دلس، أورليانفيل (الشلف)، أومال (سور الغزلان)، المدية وهران: وهران، معسكر وتلمسان.

قسطنطين. قسنطينة، سطيف، عنابة وباتنة.

ان إدارة المحافظات تتشابه تقريبا مع ادارة المحافظات في وطن الام. يتم مساعدة المحافظين من قبل المجالس العامة حيث يتم انتخابهم من طرف الفرنسيين أو حامل الجنسية الفرنسية، يتم تمثيل المسلمين في هذه المجالس من قبل المقيمين يتم تعيينهم من قبل الحكومة العامة.

كل محافظة مقسمة الى دوائر، وهي موزعة كالتالى:

محافظة الجزائر: مليانة، المدية ، وأورليانفيل (الشلف)، وتيزي وزو.

محافظة وهران: معسكر، مستغانم، سيدي بلعباس وتلمسان.

محافظة القسطنطينية: بون(عنابة)، بوجي (بجاية)، قالمة، فيليبفيل (سكيكدة)، سطيف وباتنة. انها مسألة تقسيم كل قسم من قبل إنشاء الإدارات الجديدة في شلف والقبائل وسيبوس. هذا المشروع يبد ومتتاسقا البيانات من الجغرافيا التي توضح لنا تقسيم

الجزائر في المناطق الطبيعية من الاختراق. ومن ثم فهي مواتية أيضاً للمصالح العامة والتتمية الطبيعية للمستعمرة، لكنه يواجه معارضة محلية مما جعله يؤجل فسح الطريق أمام وجهات نظر أكثر دقة ونزاهة.

ادارة البلديات:

يوجد ثلاثة أنواع من البلديات في الجزائر: بلديات كاملة الصلاحيات، البلديات المختلطة، والبلديات الأهلية.

1 – بلديات كاملة الصلاحيات: لها تنظيم يشبه إلى حد بعيد البلديات في وطن الام اي فرنسا وهي بمثابة مراكز أو تجمعات سكانية أوروبية، يديرها رئيس بلدية منتخب ومجلس بلدي منتخب. حتى وقت قريب، قام المسلمون والأجانب بتعيين مندوبين لتمثيلهم في المجالس البلدية. هذا الحق، الذي تم منحه بشكل قانوني للسكان الأصليين.

2_ البلديات المختلطة: هي تلك التي تغلغل فيها الاستعمار بشكل ضعيف فقط، وهي تشمل مساحة كبيرة جدا (من 20000 إلى 180000 هكتار)، وغالبا ما تكون شاسعة من دائرة في فرنسا، ويسكنها السكان الأصليون (من 10000إلى 20000 نسمة). يحكمها مدراء مدنيون الذين خلفوا المكاتب العربية القديمة، وكل دوار للأهالي له مجلسه والجماعة. يتم مساعدة الاداري المدني لجنة بلدية تتكون من رؤساء الجماعة والوجهاء الأوروبيين.

3_ البلديات الاهلية: هي مثل البلديات المختلطة ولكن يسكنها الأهالي فقط، تدار عسكريا وهي جزء، وتشكل هي مع عدد قليل من البلديات المختلطة أقاليم عسكرية. تسعى الحكومة العامة تدريجياً لتوسيع النظام المدنى ليشمل كل الجزائر.

المحاضرة الثامنة: أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين إلى غاية 1919 - سياسيا - اقتصاديا - اجتماعيا.

كانت تهدف بشكل منهجي إلى تحويل المستعمرة إلى نموذج كولونيالي استبطاني من خلال تغيير البنية الاجتماعية للمجتمع الأهلي اعتمادا على القوانين التي فرضت بعد مراحل المقاومة الشعبية التي دفعت بالمستعمر الى إدراك حقيقة تاريخية هي أن الجزائر أرضا ومجتمعا لها مقومات تختلف كليا عن النموذج الاستبطاني الذي حاولت الادارة الكولونيالية فرضه لذلك تشكلت نواة الحركة الوطنية التي حاولت المقاومة بوسائل المعرفة والاصلاح والعروض فكانت ردود الافعال حول قوانين الجنسية والأهالي والتجنيد وقوانين نقل الملكية الزراعية. كل ذلك ساهم في وعي الجزائريين بإخطار المشروع الاستيطان وضرورة مواجهته فكريا وسياسيا وأخيرا المواجهة الثورية في النصف الثاني للقرن العشرين.

1. الأوضاع السياسية:

كانت السياسة الفرنسية ترمى الى تحيق الاهداف التالية:

- جعل الجزائر مدينة فرنسية بكل ما يعنيه ذلك من أبعاد .
- طمس التاريخ والشخصية الوطنية الجزائرية وازالتها من الاعتبار .
- قهر أي نوع من أنواع المقاومة التي يمكن أن تزعج أمن فرنسا في الجزائر واستخدام كل الأساليب والوسائل للوصول إلى ذلك الهدف¹

أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998) 1 . 0

وسعيا منها لتجسيد تلك السياسة الرامية إلى بسط نفوذها بالجزائر، عمدت إلى إصدار جملة من القوانين، والإجراءات الممهدة لمشروعها الاستيطاني الذي يسمح لها بابتلاع الجزائر وجعلها جزءا لا يتجزأ من فرنسا

ففي22جويلية 1834، أصدرت الحكومة الفرنسية قرارها المشهور، الذي اعترف بالاحتلال كحقيقة واقعة وأن الجزائر أرض فرنسية وأنشأت لذلك منصب حاكم عام لإدارة الممتلكات الفرنسية في إفريقيا الشمالية، واتبع هذا القرار بتصريح دستور 1948م الذي نص على أن الجزائر جزء مكمل لفرنسا، ومن ناحية أخرى أكدت الحكومة الفرنسية دعمها المادي والمعنوي للمعمرين للاستقرار في هذه الأرض الشاغرة حسبها، ومع بداية الإمبراطورية الثانية بزعامة "نابليون الثالث" (1852–1870) خضع الأهالي إلى قوانين استثنائية وفي مقدمتها قانون مجلس الأعيان مكماهون (1864–1870) وقد نص على منح الجزائريين الجنسية الفرنسية بشرط مكماهون (1864–1870) وقد نص على منح الجزائريين الجنسية الفرنسية بشرط تخليهم عن أحوالهم الشخصية الإسلامية²

وفي عهد الجمهورية الثالثة (1870–1930) قامت الحكومة الفرنسية أيضا بإصدار تشريعات جديدة تخدم المصالح الفرنسية والأوروبية من بينها قرار إنشاء منصب حاكم عام مدني، وقرار أخر يلحق الجزائر بفرنسا وذلك عن طريق دمج شؤونها في مختلف الوزارات الفرنسية بباريس بالإضافة إلى قانون كريمي و Crémieuxالذي

مار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، d1، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997) م1997

² أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1930/1900، ج2. ط3. (دار الغرب الإسلامي بيروت . 1992). ص20

صدرفي14أكتوبر 1870 والذي منح الجنسية الفرنسية ليهود الجزائر دون مطالبتهم بالتخلى عن أحوالهم الشخصية 1

اقيمت السياسة الاستعمارية على خلال إخضاع الجزائر لأنظمة خاصة وقوانين استثنائية جائرة تساعد المستعمر على السيطرة والتحكم في مصير الجزائريين مقابل Code de l'indigénat ² قانون الأهالي 1870 معتمدة والسيطرة لمستوطنيه و يأتي قانون الأهالي 24 أكتوبر 1870 م في مقدمة القوانين والمراسيم السياسية هو ذلك الصادر يوم 24 أكتوبر 1870 م الذي جرد أبناء الجزائر المسلمين من المشاركة في هيأة المحلفين الشرعية 3، إضافة الى قانون التجنيد الإجباري.

عامل سياسي آخر يرجع الى تزايد نشاط قادة الاحزاب الوطنية والطبقة التي اظهرت رفضها للسياسة الاستعمارية وتصرفا الجالية الأوروبية بالجزائر 4

كما ان فرنسا اخترقت قواعد الديمقراطية التي كانت تتدعى بها لان تمثيل المسلمين في المجالس المنتخبة يكاد يكون منعدما بدليل التمثيل البرلماني للمحافظات الجزائرية الثلاث حيث كانت الجزائر ممثلة في البرلمان الفرنسي ب 3 مقاعد كلهم فرنسيين ويخدمون بالدرجة الأولى مصالح المعمرين بالدرجة الأولى (ممثل من

المعرفة. الجزائر، 1899/1830 (دار المعرفة. الجزائر، 1999) بلاح البشير، موجز تاريخ الجزائر، الحديث والمعاصر 1

² قانون الأهالي: هو مجموعة من النصوص القانونية الاستثنائية والإجراءات القمعية الشديدة التي بدأ الاستعمار في تطبيقها على الشعب الجزائري منذ سنة1874 م، وهي تخويل السلطات الإدارية حق معاقبة الجزائريين على العديد من المخالفات المنصوص عليها في القانون دون العودة إلى المحاكم.

 $^{^{3}}$ عمار بحوش، أسباب الهجرة إلى فرنسا، مجلة الثقافة، ع23، أفريل 3 ماي 1973، ص 3 .

^{.4} نفس المرجع.

قسنطينة واخر لوهران و 3 لمدينة الجزائر كما تنهم اعمدة النظام الإمبريالي وشجعوا كثيرا السياسة التوسعية الفرنسية¹.

2. الأوضاع الاقتصادية:

ساءت الأوضاع الاقتصادية للمجتمع الجزائري، وأختل البناء الاقتصادي للبلاد بشكل كبير، بعد أن استحوذت السلطات الفرنسية على معظم مصادر الثروة القومية في كل الميادين، وحولتها لخدمة مصالحها الخاصة، ففي الميدان الزراعي بادرت إدارة الاحتلال إلى إصدار جملة من القرارات والمراسيم في ما يخص نزع ملكية الأراضي الجزائرية من بينها قرار 30أكتوبر 1858م،الذي وسع إجراءات المعاملات العقارية وجعلها مطابقة للقانون الفرنسي، حتى يتمكن الأوربيون واليهود من امتلاك الأراضي الخصبة بطرق شرعية².

كما عملت السلطات الفرنسية على تنفيذ قانون سيناتوس كونسلت لعام 1863 الذي كان يقضي بتنظيم أراضي العزل التي كانت تابعة قبل 1830 إلى سلطة البايلك، وأغلبية هذه الأراضي كانت موجودة في بايلك الشرق فمقدار 70%من هذه الأراضي يمكن وضعها في الدومين أي 225ألف هكتار تمثل الأراضي الخصبة الممتازة وهي الأغنى في المنطقة.

وعلى كل حال فإن نزع الملكية استمر في أشكال متعددة من الفلاحين الجزائريين حتى بداية العشرية الثانية من الإمبراطورية الثانية (1852-1871)، وقد تم تقويتها

120

¹. Binoche-Guedra Jacques. Le rôle de l'Algérie et des colonies au Parlement sous la Troisième République (1871–1940). In : Revue française d'histoire d'outre-mer, tome 75, n°280, 3e trimestre 1988. Pp.309–346.

 $^{^{2}}$ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق. ط1(دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000). ص 2

وجرى الطرد المنظم للفلاحين، والاستيلاء على أراضي القبائل التي هاجرت إلى 1 . المغرب الأقصى، ونزعت أراضى الفلاحين من ملكية العزل

بالإضافة إلى قانون 26 جويلية 1873، الذي أصدره مجلس النواب الفرنسي عقب فشل ثورة محمد المقراني سنة 1871 وقد نص على تفكيك الملكية الجماعية للأراضى الزراعية بالنسبة للجزائريين، مما اضطر بالسكان إلى التخلص من ملكياتهم الزراعية عن طريق بيعها للأوربيين، الأمر الذي جعل المعمرين يحصلون في مدة أقل من ثلاثين عاما (1871-1898) تقريبا على مليون هكتار من 2 الأراضي الخصبة بينما أبعد الجزائريون إلى المناطق الجرداء في الجبال والصحاري ولم يقتصر الأمر على نزع ملكية الأراضي الزراعية وتوزيعها على المعمرين ولكن أيضا في نوعية تلك الأراضي فهي من أجودها وأخصبها وأكثرها قابلية للاستغلال والإنتاج

والواقع أن السلطات الفرنسية كانت تهدف من وراء تلك السياسة إلى تدمير الكيان الاقتصادي الجزائري بعد أن تمكنت من تدمير كيانهم السياسي باحتلال البلاد سنة 1830م، حتى تقضى على روح المقاومة في نفوسهم، وهكذا تفننت إدارة الاستعمار في السيطرة على أملاك الجزائريين بشتى الطرق والوسائل وتحويل السكان إلى مزارعين "خماسة "، أو أجراء عند المعمرين، وكثيرا ما كان يتعرض الكثير منهم للطرد مما زاد في تفاقم الأوضاع الاقتصادية، فانتشرت ظاهرة البطالة في أوساط المجتمع الجزائري بأبشع صورها وأشكالها.4

أحمد حسين السليماني، نزع الملكية العقارية للجزائريين 1871/1830م، مجلة المصادر ال 1 عدد 06(م.و.د.ب.ح.و....، الجزائر، 2002) ص. ص 121-122

⁻ شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: عيسى عصفور، ط1(منشورات عويدات، بيروت 2 . باريس.1982). ص88

^{.3} أجيرون، المرجع السابق، ص88.

 $^{^{4}}$. فرحات عباس، المرجع السابق، ص 4

أما في الميدان الصناعي فقد حارب الاحتلال الصناعة المحلية الجزائرية بكل قوة حتى تبقى سوقا مفتوحة للصناعة الفرنسية الحديثة بدون قيود، وفي هذا الصدد أوضح مدير الشؤون الاقتصادية في إدارة الاحتلال سنة 1889م قائلا: "ليس علينا الشروع في دعم الصناعة في الجزائر لأن ذلك يضعنا في موقف عدائي بالنسبة للصناعة الفرنسية .»

ومما لا شك فيه أن محاربة الصناعة المحلية الجزائرية كان الهدف منها إبقاء الجزائر مرتبطة اقتصاديا بفرنسا والمحافظة على امتيازات المعمرين بها، وفي الجانب التجاري فقد سيطر الأوروبيون بمساعدة البنوك وشركات الاحتكار الفرنسية الكبرى على التجارة الداخلية والخارجية، وشكلوا فيما بينهم شركات متداخلة كانت تسيطر على سائر المرافق الاقتصادية في البلاد، وأصبحت الجزائر مع القرن مطلع العشرين سوقا رئيسية للتجارة الفرنسية، وموردا حيويا لجلب المواد الخام التي كانت تحتاج إليها الصناعة الفرنسية.

بعد عقود قليلة من سنة الاحتلال تحولت الجزائر إلى بلد يعيش في دائرة الفقر والمجاعة والأوبئة بعدما كان يحقق فائض في الإنتاج الزراعي خاصة الحبوب لكن بسبب سياسة المستعمر الفرنسي ((الأرض المحروقة))قلبت الأوزان إلى الاتجاه السلبي، إضافة إلى سياسة الاستيطان الفرنسي التي سلب من خلالها الجزائريون وجردوا من كل ما يملكون من أراضي زراعية خصبة ومنتجة².

[.] أ رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية 1956/1939. (ش.و.ن.ت، الجزائر 1981). ص84

². المرجع نف

عمل أكثر من 150000 جزائري في المزارع التي سلبت من ملاكها الأصليين، فسنهم في الغالب لا يتجاوز الخمسة عشر سنة ونسبة كبيرة منهم ينتمون إلى فئة الخماسين¹.

تراجع النشاط الصناعي بالجزائر كذلك رغم الإمكانات الكبيرة التي تتوفر عليها والتي من شأنها إقامة قاعدة خصبة لصناعة مزدهرة نظرا لما تتوفر عليه من إمكانات، إلا أن السياسة الاستعمارية التي تمتاز بالتعسف وكثرة العراقيل ضد الجزائريين أفضت على تراجع هذا المجال نحو الأسفل.2

تعتبر سياسة الاستعمار مناوئة للرغبة الجزائرية في بناء نشاط اقتصادي وصناعي مزدهر، حيث يظهر جليا من خلال إعاقة نشاط الفلاحين الجزائريين وتجريدهم من أراضيهم وإفشال كل المبادرات الرامية إلى تنشيط الحركة الصناعية.

بالإضافة إلى أن العديد من الأسر الجزائرية لم تصل إلى رفع مستواها الاجتماعي والمالي وذلك نظرا للدخل المتواضع وارتفاع قيمة المتطلبات.

ت. الأوضاع الاجتماعية:

ساءت أحوال الجزائريين الاجتماعية بعد ما استعملت السلطات الاستعمارية كل الأساليب الدنيئة من اجل الاستحواذ على المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التي

^{..} أليون فيكس، الجزائر حتى الاستعمار، منشورات مكتبة المعارف، بيروت: 2007، ص 62.

². Charles Robert ageron, histoire de l'Algérie contemporaine, T2 ,1er éd, paris, 1979, p.501.

وجدتها في الجزائر، وتوجيهها لخدمة المصالح الفرنسية والأوروبية سعيا منها لتحقيق مشروعها الاستيطاني 1 .

وكان من نتائج الاحتلال الفرنسي أن المجتمع الجزائري قد تغيرت طبيعته، وتأثر الفرد بمؤثرات جديدة، فالجزائري أصبح الجزائري غريبا في وطنه ومجتمعه فحوصر في الأحياء الشعبية الضيقة وحرم من الاختلاط والاحتكاك بالمستوطنين، ووصف أحد الجزائريين تلك الظاهرة العنصرية التي سنها الاستعمار بقوله: "...قلما كان الجزائري أثناء تجواله داخل المدينة يتعدى بخطواته حدا معينا، وكانت إدارة البريد (البريد المركزي حاليا) هي الحد بين الحياة الجزائرية والحياة الفرنسية."3.

وأصبح الأهالي يعيشون حالة من الفوضى فلم تعد هناك سلطة تدبر شؤونهم كما كانت في السابق قبل دخول الفرنسيين فإن العائلات ذات النفوذ في الوسط الأهلي هي التي كانت تقوم مقام السلطة الحاكمة قد قل دورها إن لم يختف كلية كما قام الاستعمار بتحطيم أركان المجتمع الجزائري سواء كانت القبلية أو الهيئات القيادية التي تعتمد على الأصل والمال أو الزعامة الدينية. وتحول معظم السكان إلى مزارعين في مزارع المعمرين وعمالا في خدمة الرأسمالية الفرنسية والأوروبية، إذ كتب أحد الإداريين الفرنسيين: " لقد حطمنا بعض القبائل القوية التي كانت لها مكانة في

عبد المجيد بن عدة، مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي، رسالة ماجستير (غير منشورة، جامعة الجزائر، 1 عبد 1 1993، ص 1 .

⁽¹⁹⁹⁸ ييروت، الإسلامي، بيروت، 1998) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1 (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998) ص.ص. 297. 298

^{3.} احمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط1 (دار هومة، الجزائر، 2007) ص.113

^{. &}lt;sup>4</sup> شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: سليم المنجي وآخرون، ط2، (ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976) ص 44

البلاد عن طريق القوات العسكرية، وبعض الأهالي صودرت أملاكهم كما عملنا على تكسير شوكة بعض العائلات ذات السمعة والشهرة. 1

لقد كانت سياسة النهب والسلب والتفقير المنتهجة من قبل السلطات الاستعمارية تستهدف الشعب بالجزائري، بناءا على الاعتقاد الذي كان سائدا عندها أن الشعب الجزائري مآله الزوال بحكم القانون القائل " البقاء للأصلح "، خاصة وأن الوضعية الديمغرافية المتدهورة التي كان عليها، كانت تدعم لديهم الاعتقاد بأن العنصر الأوربي هو صاحب الأرض واعتبرت كل من يتصدى لمستوطن جانيا، ويحاكم أمام العدالة لأنه اعتدى على الحرية !! وأصبح المار في شوارع مدينة الجزائر معرض للعقوبة في أية لحظة.²

كتبت جريدة لسان الدين في وصف هذه الظواهر اللاأخلاقية تقول: " نشرت فرنسا الممارسات المخدشة للحياء في كل احياء مدينة الجزائر الى ان أصبحت كالوباء مست حرمة القيم الإسلامية والاجتماعية، و قدسية الأماكن الطاهرة، حتى بات تحيط بجامع سيدي رمضان."³.

والجدير بالذكر أن الأوضاع الاجتماعية في الجزائر لم تبق على حالها بل ظهرت بوادر حركة إصلاحية جديدة بها، تمثلت في نشاط العلماء (علماء الإصلاح) فظهرت الصحوة وبرز الوعي الوطني والقومي اللذين كونا أساس النهضة⁴. وحسب الأستاذ سعد الله فإن الإصلاح في الجزائر لا يرتبط بجمعية العلماء، والواقع

^{.130.} فرحات عباس، ليل الاستعمار، تعريب: أبو بكر رحال، (مطبعة المحمدية، المغرب، 2002، ص 1

[.]² أحمد مريوش، دراسة حول: ظروف ومعالم إلى قضه الجزائرية 1914/1870م، المدرسة العليا للأساتذة (غير منشورة، الجزائر)، 2007، ص 114.

^{.115} نفسه ص 3 .

^{4.} محمد الصالح رمضان وعبد القادر فضيل، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس (دار الأمة، الجزائر، 1998) ص 16

أن مفهوم الإصلاح أوسع من مفهوم جمعية العلماء، كما أنه أقدم منها كما عرفنا فهو أوسع من مفهومها لأن عددا من المثقفين (من أصحاب الثقافة العربية والفرنسية) كانوا مصلحين ولكنهم لم يكونوا أعضاء في جمعية العلماء، ومن جهة أخرى يعتبر الإصلاح أقدم من جمعية العلماء لأننا عرفنا أن كثيرا من عناصر المدرسة المستتيرة كانوا مصلحين أيضا بالرغم أنهم كانوا متأثرين بالحضارة الفرنسية من جهة وبنيار الجامعة الإسلامية من جهة أخرى 1 هذه الحركة الإصلاحية الجزائرية كانت لها جذور أو روافد من المشرق العربي الإسلامي وأن أبرز هذه الجذور والروافد وأعمقها هي الحركة التي اضطلع بها كل المصلحين من العلماء والمفكرين أمثال : جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الله النديم وأحمد خان والمودودي ورشيد رضا، وطاهر الجزائري ومحمد شكري الألوسى ومحمد مصطفى المراعني ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم ممن سار على منهاج هذه الحركة من علماء المعاهد الإسلامية الشهيرة في المشرق والمغرب، ولعل هذه الحركة التي خدمها المئات والآلاف من أبناء هذا الوطن ممن سنذكر أمثال: ابن باديس وصحبه سعيد الزاهري، محمد بن خير الدين، الأمين العمودي، أبو اليقظان، الشيخ بيوض والشيخ العقبي...، ولم تكن حركة نخبة مثل غيرها من الحركات الإصلاحية التي سبقتها أو عاصرتها وإنما هي حركة إصلاحية نبعت من آلام وآمال الشعب، واستهدفت أول الأمر حياة الشعب ونهضته².

وكان على هؤلاء المصلحين أول الأمر تمهيد الأرض وتتقيتها من أجل ترسيخ جذور الإصلاح في الجزائر وذلك بإزالة موانع الإصلاح بهذه الديار وعوائقه واتفقوا في بادئ الأمر على وسيلة وهي أخد المبطلين مغافلة والهجوم عليهم وإسماع العامة صوت الحق، فاستخدموا وسائل النهضة من صحافة ونوادي وجمعيات لتحقيق ذلك الأمر.

 $^{^{1}}$ أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة (م.و ل، الجزائر، 1988) ص 89 .

². محمد الطاهر فضلاء، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية (دار البعث، قسنطينة، 1981) ص 81

محاضرة التاسعة: دراسات الأحزاب السياسية والجمعيات الوطنية (1939.1900)

تعتبر الفترة الممتدة من سنة 1939/1900 فترة تحول هام في تاريخ وكفاح الجزائر ونضالها ضد الاحتلال الفرنسي، حيث شهدت ظهور روافد جديدة للكفاح ضد الاستعمار بعد أن اقتتعت بأن الإعتماد على المقاومة المسلحة غير المنظمة، والوسائل العسكرية البسيطة، لم يكن كافيا وحده لتحرير البلاد وإجبار سلطات الإحتلال على الرضوخ لمطالب الشعب الجزائري، فكان من أهم وسائل الكفاح الجديدة التي اعتمدت عليها الحركة الوطنية مع نهاية القرن 19 وبداية القرن العشرين الجمعيات، والنوادي الثقافية التي أنشأتها وطورت من نشاطاتها .

ومنه يمكن اعتبار مطلع القرن العشرين بمثابة تحول تاريخي في مسار الحركة الوطنية الجزائرية، إذ تمثل هذه المرحلة عمرا جديدا للجزائريين سواء فيما يخص السياسة الفرنسية المنتهجة في الجزائر وكذا وضعية الجزائريين في مختلف الميادين حيث شهد هذا التحول ميلاد، أو إعادة ميلاد وبعث التراث الفكري، والحضاري للأمة الجزائرية فعرفت الجزائر النهضة التي كانت بمثابة النواة الأولى لظهور الأحزاب السياسية التي برزت بوادرها الأولى مع نهاية الحرب العالمية الأولى.

ومما لا شك فيه أن هذه الحركة لم تنطلق من فراغ وإنما جاءت نتيجة ظروف سياسية واجتماعية وثقافية فجرت الوضع للخروج من مرحلة المقاومات الذي ساد القرن19، فأوقف دور البندقية ليحل محلها القلم وأسلوب البعث الحضاري، والوعي الفكري ضمن النضال السياسي الذي بلور تيارات الحركة الوطنية.

كانت أول حركة سياسية جزائرية على النمط الحداثة بادرت بالنضال والنشاط السياسي هي حركة الشباب الجزائري، فكيف ومتى كان ميلاد هذه الحركة؟

1. ظهور نخبة من الشباب الجزائري (jeunes Algériens)

أدى انتعاش التاريخي للمدينة حتى سنة 1880م إلى ظهور المجموعة الأولى من الأفراد "متكونة ومتحضرة" من النخبة (مسلمي الجزائر) تعلمت وتكونت هذه المجموعة في المدرسة الاستعمارية وتشبعوا بمبادئ المساواة والديمقراطية لثورة 1789، وأن الأغلبية العظمى منهم ستعرف وتعيش تجربة الواقع القاسي للفرد المستعمر.

اصطدمت هذه المجموعة منذ الوهلة الأولى بالتمييز والتقرقة القانونية حيث خضعوا لظروف قانونية استثنائية ومحرومين من الحقوق التي يتمتع بها المواطن الفرنسي، من ذلك الحين فصاعدا أصبحت المطلب الأساسي لهذه النخبة المتفرنسة الحق في الحصول على المواطنة الفرنسية دون التخلي عن الأحوال الشخصية أي المساواة في الحقوق مع الفرنسيين، ولكن الكولون بالمرصاد والتصدي حيث لا يتقبلون إطلاقا أن يصبح للأهالي نفس الحقوق مثلهم وإلا ما المغزى والمعني الذي يصبح عليه المجتمع الاستعماري دون أن يكون هناك امتياز وتفرقة وتمييز.

قام جول فيري سنة 1892 رفقة لجنة تحقيق من مجلس الشيوخ المسماة ب"18" بزيارة الجزائر وأتيحت لها الفرصة لإجراء اتصالات مع بعض ممثلي النخبة، بما في ذلك الدكتور مرسلي Morsly من قسنطينة، أنبهر جول فيري رؤية وتصادفه مع عضو مجلس محلي من الأهالي يرتدي معطفا طويلا علي نمط معطف نابليون يأتي ويقدم شكاوى من زملائه خاصة بالتمثيل السياسي للأهالي: مستشارين عامين، النواب وأعضاء مجلس الشيوخ¹، وفي نهاية إقامته بالجزائر، توقف جول فيري عند

¹. Charles-Robert Ageron, , « Jules Ferry et la question algérienne en 1892 d'après quelques inédits », *Revue d'histoire moderne et contemporaine*, avril-mai 1963.

العمل الهائل المنتظر القيام به من أجل الحد من عدم المساواة في الحقوق السياسية بين الجزائريين والمستوطنين وأشار قائلا: "أنه من الصعب أن نقنع المستوطنين الأوروبيين هناك حقوق أخرى مثلنا لدى الدول العربية وأن الأهالي ليسوا من سلالة مثقلة للضرائب واستغلال إلى جد بعيد 1 .

عملت العناصر المثقفة (النخبة) مع بداية القرن 20 إلى إنشاء هوية سياسية وثقافية جديدة التي تعرف فيما بعد "بالشباب الجزائري"، هؤلاء أبناء القرن 20 الجادين كما يحلى أن يسميهم شارل روبير آجيرون وأنه ليس هو بجيل عفوي لسنة 1900م 2 .

2. نشأة الجمعيات والنوادي:

يتزامن ظهور هذه النخبة الجديدة مع مجيء تشارل جونار (Charles Jonnart) (أكتوبر 1900 إلى يوني و 1901) على رأس الحكومة الفرنسية، ويعرف النائب تشارلز جونار Jonnart بأفكاره الليبرالية والمدافع عن الأهالي "indigenophiles". سيعمل أساسا خلال العهدة الثانية لولايته الحكومية (ماي و 1903 وفبراير 1911)، بإعطاء الأولوية والأفضلية في تطوير العديد من الجمعيات.

صحيحا أن الجزائر المسلمة تعرف وتعيش خلال هذه الفترة "ربيع الجمعيات"، كما سمح بتزايد دور الشباب الجزائري، وبالفعل ازدهرت الجمعيات ورابطة الطلبة القدماء للمدارس الفرنسية - الأهلية، وكانت الكثير منها منذ عام 1903 بمثابة مشاتل للشباب الجزائري، فأصبحت معظم المدن الكبرى الجزائرية خلال هذه الفترة لديها في تجمعاتها أسماء يوحى لها: جمعية العلوم الحديثة، نادي الشباب الجزائري (تلمسان)،

¹ Par Ch. André Julien, L'Afrique du Nord en marche, Paris, Julliard, 1952, p. 28.

². Charles-Robert Ageron, , « Le mouvement Jeune-Algérien de 1900 à 1923 », Études maghrébines, Charles-André Julien. Paris, PUF, 1964, pp. 217-243.

الراشيدية، التوفيقية، (مدينة الجزائر)،نادي صالح باي، الجمعية الإسلامية القسنطينية، الهلال، صادقية، ونادي الترقى(عنابة)1.

3. دور النوادي والجمعيات:

فمن الأجدر والمفيد تسليط الضوء على الدور الذي لعبته أشكال جديدة من التتشئة السياسية والثقافية بمقراتها في أشكالها الحديثة: حلقات، النوادي، والجمعيات، كما دعمت بإنشاء هياكل جديدة لإنتاج ونشر الأعمال الثقافية: الصحافة، المسرح والأدب، ستلعب الصحافة في هذا السياق دورا مهما من شأنها أن تسمح لعناصر هذه النخبة الجديدة أن تصبح تتأقلم مع أنماط التعبير السياسي والثقافي الحديثة ونشر أفكارهم، وهو ما يسمح تدريجيا إلى تطوير أشكال حديثة في النضال السياسي: عرائض، اجتماعات، ملتقيات، ووفود.

4. مطالب النخبة (الشباب الجزائري)

ولكن يبد وأن مطالب النخبة حتى بعد الحرب، كان لها طابع سياسي بالدرجة الأولى تدور حول مسألة التمثيل السياسي للجزائريين في مختلف المجالس، جاء في حديث أمحمد بن رحال سنة 1903م أثناء لقائه مع رئيس الجمهورية إميل لوبيه بالمحافظة الفرعية لمدينة تلمسان الذي يعكس بدقة رأي وموقف الشباب الجزائري في كل ما يتعلق بالحقوق السياسية ما يلي: "أحرارا كمواطنينا الفرنسيين نطالب بكاملة حقوق المواطنة. بالنسبة لنا، إذا تعلق الأمر بقضايا فرنسية نحن موجودون وإذا تعلق الأمر

.

¹. Ibid. P. 224.

بنا نريد البقاء، إذا طلبنا مقعدا في المجالس المنتخبة، هذا ليس مخالفا للدستور الفرنسي الحالي 1.

يمكننا القول أن النواة الأولى لميلاد أول حركة سياسية ذات بعد وطني جزائري يعود إلى العشرية الأولى من القرن 20م وكان ورائها الشباب الجزائري الذي تعلم في المدرسة الفرنسية القيم الديمقراطية والحرية والذين عزموا على تجسيدها في الميدان بعدما وقفوا عند التقرقة بين أوروبي الجزائر وأهالي الجزائر بحيث تتمتع الفئة الأولى بكامل الحقوق والحريات بينما الثانية محرومة منها، وهو ما أدى بتقارب وجهات النظر ومناقشة في النوادي ومقرات الجمعيات كما ذهبوا لبحث عن شخصية جزائرية بارزة ومعروفة ذات كفاءة، فكان الزعيم الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر، فمن هو الأمير خالد؟ لماذا أقتحم النشاط السياسي؟ هل هو من دعاة الإصلاح والإدماج أم انه من دعاة الوطنية واستقلال والاكتفاء بالإصلاح؟ هل سفره إلى الخارج أجبرته التخلي عن المطالبة بالاستقلال والاكتفاء بالإصلاح؟ هل سفره إلى الخارج بقناعته أم اجبر على مغادرة الجزائر؟ هل هو شخصية غير متناسقة أم شخصية وطنية جزائرية؟ هي مجموعة من الأسئلة التي يجدر الإجابة عنها ولكن قبل ذلك يجب اعطاء فكرة عك حياته ونشأته وسيرته.

¹. Discours de Si M'Hamed Ben Rahal, assesseur au conseil général d'Oran, prononcé dans les jardins de la sous-préfecture de Tlemcen pour la réception d'Émile Loubet, président de la République, en avril 1903.

المحاضرة العاشرة: حركة الامير خالد

عناصر المحاضرة:

- 1-مولده ونشأته.
- 2-مساره العسكري.
- 3-نشاطه ونضاله السياسي.
- المرحلة الأولى 1914 1919.
 - المرحلة الثانية.

1. مولده ونشأته:

يعد من أهم الشخصيات الإسلامية الجزائرية وهو حفيد الأمير عبد القادر بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر، ولد الأمير خالد الهاشمي بن الأمير عبد القادر بمدينة دمشق بسوريا يوم 20 فيفري من سنة 1875م محل إقامة أسرته بعد مغادرتها الجزائر عام 1847م واستقرارها بدمشق سنة 1854م، ونشأ خالد في دمشق قلعة العروبة والإسلام، وبها تلقى معلوماته الأولية وتربى تربية صحيحة في كنف العائلة، وقد رباه والده تربية دينية قوية بعد أن حفظ القرآن وتعلم العلوم العربية والدينية وبرع فيها 1.

غادر الأمير الهاشمي دمشق سنة 1882م باتجاه وطنه الجزائر بعد أن تحصل على رخصة دخول الجزائر من السلطات الفرنسية ورافقته السلطات الفرنسية ورافقته عائلته ومعهم بالطبع خالد²، ويرجع سبب مغادرته سوريا الى المضايقة من طرف السلطات

¹عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء 4، ط 4، دار الثقافة، بيروت، 1990.

². Ali Merad, L'émir Khaled (1875–1936) vu par Ibn Badis (1889–1940), Revue de l'Occident musulman et de la Méditerrané, n° 9, 1971, p. 26

العثمانية كونه منحدر من عائلة الأمير عبد القادر وعرفت الكثير من العائلات الجزائرية نفس المصير، وبها تابع دراسته الإعدادية وكبر في أرض أجداده، أرض سقيت بدماء أبناء جلدته في المعارك التي قادها عمه عبد القادر ضد الغزاة الفرنسيين، هذا ما جعله يتمسك بحب هذا الوطن ويقود النضال بالكلمة والقلم إلى أخر نفسه.

ومنها انتقل إلى باريس لمزاولة دراسته في ثانوية لويس لوقراند (Grand) سنة 1885م مستفيد من منحة الدراسة، وكان الأمير الهاشمي يأمل أن يدخل ابنه إلى الكلية العسكرية سان سير (Saint-Cyr) بباريس بعد نجاح ابنه في الحصول على شهادة البكالوريا فرع علوم، وكان يرى أن الحياة العسكرية من المراتب العليا هي مستقبل ابنه خالد¹.

الظاهر أن رغبة الأمير خالد لم تكن بادية لمزاولة دراسته في الكلية العسكرية الفرنسية، وكان رافضا لفرنسا منذ شبابه، وأنه رد على والده الذي أرغمه على الالتحاق بسان سير بقوله:" إنني عربي وأريد أن أبقى عربيا وأن لا أتخلى أبدا عما أؤمن به من الآراء، ولذلك فأنا أرفض، وسأرفض دائما ما يطلبه مني أبي"2.

وقد تتازل خالد على موقفه أمام رغبة والده في الدخول إلى الكلية العسكرية الفرنسية وخصوصا بعد المضايقات التي تلقاها والده من قبل السلطة الفرنسية حول تصرفات خالد التي توحي بالعصيان المدني. وقد وجد خالد نفسه أمام رغبة والده وقبول نصائحه، وهكذا تابع خالد دراسته على مضمن من غير أن تكون له رغبة في ذلك،

[.] 1 صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري، ط 7 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .

^{.&}lt;sup>2</sup> عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919–1939)، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

وألتحق بسان سير سنة 1893م¹. وقد دخلها دون إجراء مسابقة وليس كأجنبي ولكن في انتظار تقمص الجنسية الفرنسية قبل تخرجه من المدرسة.

وتذكر الكثير من الدراسات التاريخية حول مرحلة تواجد الأمير في سان سير أن هذا الأخير ظل محافظا على أصالته و إسلامه و وطنيته، وأعطيت له غرفة لأداء فريضة الصلاة كما خصص له طعام خاص مراعاة لقواعد الإسلام، وكان الأمير يشعر دائما بالخجل من الظهور أمام الجزائريين بالبذلة التي كان يرتدها السانسيريون، ويذكر فاسي في تقريره أن الأمير خالد كان دوما خلال إجازته يرتدي البذلة العربية التي كان فخورا بها، ولا ينزعها إلا عندما تدع والضرورة للقيام ببعض الزيارات الرسمية².

مما يلاحظ إن الأمير خالد وجد صعوبة في التأقلم وسط محيط وعوائد كلية سان سير الفرنسية وقد أشارت تقارير الفرنسية يومئذ أن الأمير خالد كان سيء الطوية والنوايا إزاء فرنسا الأمر الذي دفع به التخلي عن الدراسة بالكلية سنة 1895م³

وقد أشار خالد إلى مقاطعته للدراسة, خلال إجازته الثانية في الجزائر، وكتب يقول: "نعم ها أنا مرة أخرى في الجزائر، وكنت قد بدأت أشعر بالضجر من مدرستهم التي لن أعود إليها، لأنني قررت أن أقدم لهم استقالتي 4".

وحسب ما ذكره فاسي فإن الشروط التي تقدم بها الأمير الهاشمي له حول إمكانية عودة ابنه للدراسة كانت من إملاء خالد، وتتمثل في اختياره للفيلق

أ. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900' 1930، الجزء الثاني، ط 4، دار العرب الإسلامي، 1992. بيروت، 1992.

². نفس المرجع.

^{3.} نفسه

^{4.} أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

العسكري الذي ينتمي إليه، حتى لا يجبره أحد على محاربة العرب في الجزائر، وقد اغتاظ فاسي من ذلك، وأعتبر شروط خالد مبالغ فيها، خصوصا إذا علمنا وأن مهمة فاسي هي الترويض والتجسس على عائلة الأمير الهاشمي في الجزائر وحتى خارجها.

مع تزايد تعنت الأمير خالد ومواقفه الصعبة تجاه فرنسا من جهة، ونشاطاته المكثفة مع الشباب الجزائري من جهة أخرى، عززت الإدارة الفرنسية المراقبة عليه. خصوصا وأنه كان يسافر إلى داخل الوطن، وقد أشار فاسي عدة مرات إلى تتقلات الأمير خالد وبالخصوص سفره إلى مدينة قسنطينة. وكل ذلك دفع بالإدارة الفرنسية إلى اتخاذ إجراءات وقائية ضده تخوفا من فراره إلى الخارج، وعمدت إلى ترحيل العائلة إلى منطقة بوسعادة ووضعها تحت الإقامة الجبرية حتى يكون بعيدا عن منطقة الشمال التي تتوفر على مؤهلات العمل السياسي1.

ولكن بعض المراجع الفرنسية ترجع سبب التخلي خالد عن الدراسة في الكلية العسكرية يرجع إلى إصابة والده بمرض والحاجة إلى المال الأمر الذي أدى بوالده استدعائه بجانبه. ترجمت السلطات الفرنسية هذا الفعل ب: ازدراء، عنيف، احتقار للسلطة وهوما دفع أسرة الهاشمي الرغبة في مغادرة الجزائر، تدخل الأمن الفرنسي لمنع الأسرة من الهجرة سريا ووضعها تحت الإقامة الجبرية في مدينة بوسعادة.

^{1.} أبو قاسم سعد الله ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج 4، ط 1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1996.

2. مساره العسكري في الجيش الفرنسي:

تم الإفراج عن العائلة سنة 1896م بعد وساطة جماعة من المسلمين لدى السلطات، عاد ثانية خالد إلى الكلية العسكرية سان سير بعد شهرا من الإفراج وتخرج منها كضابط ليبدأ في أداء مهامه العسكرية كضابط ملازم ثاني دون أن يتجنس وبعد 5 سنوات ارتقى إلى رتبة ملازم. عين بعد تخرجه في فوج عسكري فرنسي حيث بقي فيه 7 سنوات وليس كما كان يرغب تعيينه في قوات السبايس ، وهو ما جعله يراوده الشك خاصة بعد رفض طلب تعيينه في صفوف قوات سبايس سنة 1905م، فمنذ ذلك الوقت بدت له الأمور مريرة، كما تأثر بالأوضاع المزرية التي يعيشها بني جلدته.

شارك الأمير خالد مع فوجه العسكري في إخماد ثورة الشاوية بالمغرب حيث تحلى بسلوك وسيرة حسنة وانضباط هذا ما جعله يكون حديث بين العسكريين، كما وعد بترقيته إلى رتبة نقيب وهي أرقى رتبة عسكرية يرتقي إليها واحد من الأهالي، كما وعد بالتكريم بوسام شرفي من السلطات العليا إلا أنه لم يتحصل عليه كما رفض منصب معاون الحاكم العام بسبب التمييز العنصري.

وقد علم الأمير خالد أن المضايقة التي تعرض لها قائد الفوج العسكري بعد أن صاحبه إلى المغرب لمحاربة الشاوية دون استشارة الحكومة العامة لان هذه الأخيرة لم ترغب في أن يكتسب خالد شهرة عسكرية، كما أنه لم يكن مرغوب فيه في المغرب، حيث كان يؤيد مساعدة للسلطان المغربي المخلوع عبد العزيز رغم رفض فرنسا التي التزمت الحياد في القضية ولكنها قامت فيما بعد

136

 $^{^{1}}$. عسكريين جزائريين في القوات الفرنسية.

بالاعتراف بالسلطان عبد الحفيظ الذي قام بخلع السلطان عبد العزيز، وهو ما جعل خالد يكون مشتبه فيه فمنع من العودة ثانية إلى المغرب.

وحينما جاء وقت الذهاب فيلقه إلى وجدة سنة 1910م رفض وقدم استقالته من الجيش في أفريل 1910م، فتدخل الجنرال بايو (Bailloud) لإقناعه بالتراجع بمنحه عطلة مطولة في جويلية 1911م والسماح له بالذهاب إلى سوريا.

طرحت قضية الأمير خالد ثانيتا حينما قرر الذهاب الى المغرب سنة 1912م، بدعم من الجنرال باي إلا أن ليوتاي (Lyautey) رفض قائلا: " أعرفه جيدا أنه ذكي ومتمسك ومرتبط بعاداته وأصوله العربية الإسلامية، فهو عنصر يثير الفتتة ".

حينما شعر خالد أنه مشبوه فيه ومشكوك في أمره تقدم بطلب للحصول على عطلة مطولة في باريس، وافقت سلطات باريس على الطلب في 15 جوان 1913م ومنحه عطلة 3 سنوات.

غضب خالد من التصرفات المتتالية للإدارة الفرنسية التي شككت في مصدقتيه شخصيته وكرامته مع العلم أن الإدارة كانت قد رفضت أن يستفيد من ملكية أرض الدولة ما جعله يشعر بالتمييز العنصري والتفرقة ما دفع يه أن يتحول من ضابط في الجيش الفرنسي إلى معارض سياسي ويقتحم باب المجال السياسي، ترشح في انتخابات الوفود البرلمانية في مدينة الجزائر سنة 1913م وفاز فيها ولكن الإدارة الفرنسية إتهمته بتكوين حركة تثير الاضطرابات فكان جوابه:" إنني لم أختار تقديم خدمة لفرنسا مقابل مال"، فانقطع الحبل بين خالد والإدارة الفرنسية، ألتف حوله أصدقائه وأجبروه على اقحام المجال السياسي

فقدموا له الدعم والمساندة، فكان جوابه: «أردت أن أكون جنديا ولكن لا أستطيع أن أفعل الآن وبدون أن تكون فجوة مع فرنسا وزملائي".

وهناك جملة من العوامل التي أثرت إيجابا في تكوين الأمير خالد، وتحصيله السياسي والوطني يمكن جمعها في النقاط التالية 1:

1- انتسابه إلى عائلة الأمير عبد القادر ذات المرجعية الدينية التي أهلتها لخوض حركة الجهاد والمقاومة ضد الغزاة الفرنسيين المحتلين مدة طويلة من الزمن.

2- اعتماده على المرجعية التاريخية لعائلته التي تركت الأرزاق والعقارات وهاجرت إلى بلاد الشام، وظل الأمير خالد من المطالبين بإعادتها لأملاك العائلة.

3- تربيته في بلاد الشام وسط محيط المهاجرين الجزائريين الذين ظلوا على ولائهم للوطن الأم الجزائر، ووسط هذا الجو العربي اكتسب خالد طفولته الأولى المفعمة بحب الوطن.

4- معاينة الأمير لمرحلة من شبابه للوضع في الجزائر، وهي خاضعة للإجراءات الفرنسية التعسفية التي طبقت على الأهالي وخصوصا قانون الإنديجينا البغيض قد أثر ذلك على نفسيته.

.

أ. أبو القاسم سعد الله ، وثائق جديدة عن حركة الأمير ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 1، جانفي 1974 من 52.

5- تكوين الأمير خالد في المدرسة الفرنسية أكسبته حقائق كانت غائبة عنه، كما زودته بعامل اللغة الفرنسية، وقد مكنته من الخوض في قضايا سياسية وفكرية ومخاطبة فرنسا بلغتها.

6- خدمته في الجيش الفرنسي، ومشاركته في الحرب العالمية الأولى أكسبته الخبرة العسكرية، وحتى السياسية، بعد أن عايش وقائع الحرب في جبهات القتال، ووقف بنفسه على عنصرية فرنسا تجاه المجندين الجزائريين وكيف كانت تتعامل معهم.

7- تأثر الأمير بحركة عمه الأمير عبد الملك ضد الفرنسيين في المغرب الأقصى ما بين 1915 و 1925، وقد استوحى الأمير خالد نشاطه السياسي من حركة عمه، وكان يرغب في تمثيل ذلك في أرض الجزائر، بغية الحصول على الحقوق السياسية والمدنية للجزائريين.

ساهمت هذه العوامل في جعل الأمير خالد شخصية سياسية محترمة وتتمتع بكفاءة وحنكة عالية وأهلته أن يكون زعيما يؤخذ بعين الاعتبار ما جعل حركة الشباب الجزائري تقترب منه تلتف حوله وتريده أن يكون وصيا وممثلا لها وخاصة أن أفكاره واتجاهه متقاربة ومتطابقة مع الحركة، فوجد خالد الأرضية جاهزة لممارسة واقتحام المجال السياسي بعدما أصبح على يقين أن قاعدة نضالية ورائه في دعمه ومساندته. فشرع في النشاط السياسي إلا أن تارة يبادر على انفراد في تقديم أو عرض مجموعة من المطالب وهو ما جعل الكثير من المؤرخين يطلقوا على نشاطه بحركة الأمير خالد ولكن البعض الآخر ظل يصطلح على الحركة السياسية التي كانت تتشط خلال العقدين من قرن 20 بحركة الشباب الجزائري.

فحسب المنظور التاريخي واحتراما للترتيب الكرونولوجي قمنا بتقسيم تطور الحركة السياسية في الجزائر خلال المرحلة الممتدة من 1900 إلى 1924 إلى فترتين الأولى الممتدة من 1900 - 1913م حيث كان الشباب الجزائري حامل راية الحركة السياسية وتم التطرق إليها أعلاه، أما الثانية من 1913 التي اصطلحنا عليها بحركة الأمير خالد رغم تشكيل هذه الأخيرة من الشباب الجزائري.

3. نشاط ونضال الأمير خالد:

دام النشاط والنضال السياسي للأمير خالد حوالي 11 سنة اي منذ استقالته من الجندية الفرنسية كضابط سنة 1913 إلى الغاية 1924م بانسحابه كليا من أي نشاط سياسي، ويمكن إن نقسم هذه العشرية السياسية للأمير خالد إلى مرحلتين أساسيتين وهي:

أ. المرحلة الأولى: 1913- 1919

بعد التمييز العنصري والتفرقة والمضايقة المفروضة على الأمير خالد من طرف الإدارة الاستعمارية جعلته يستقيل ويبتعد عن الإدارة الفرنسية ويتحول إلى معارض سياسي واقتحامه المجال السياسي.

كانت أولى الخارجات السياسية للأمير خالد ترشحه للانتخابات الوفود المالية في مدينة الجزائر سنة 1913م وفاز فيها ولكن الإدارة الفرنسية اتهمته بتكوين حركة تهدف إلى الفوضى مما أدى إلى حرمانه من المعاش، فكان رده بالقول التالي: " إنني لم اختر تقديم خدمة لفرنسا مقابل مال " فانقطع الحبل بين الإدارة الاستعمارية الفرنسية، التف حوله أصدقائه وأجبروه على اقتحام المجال السياسي ضامنين له

الدعم والمساندة. وبما أن الممارسة والنشاط السياسي في الجزائر صعب المنال بسبب المضايقة والقمع المطبق من طرف الإدارة الاستعمارية على الجزائريين، ارتأى إلا أن ينتقل إلى باريس ليشرع في الممارسة السياسية برفع انشغالات الشعب الجزائري وفي أول جولة له إلى باريس، تطرق خالد في محاضرة ألقاها في 13 ديسمبر 1913 إلى مفهوم الحرية السياسية قائلا "أنا لست عالما كبيرا في التاريخ العالم الأوروبي، ولكن لا أعتقد أننا نتعارض إذا قلت أن ما تتميز به البلديات الفرنسية أنها تعتبر مدرسة عظيمة في الحريات الأساسية وكونت المواطن الفرنسي الجدي والمثابر وعلمته المسؤولية وفي نفس الوقت الحرية. 1

حضر خالد في نهاية سنة 1913م في تجمعات وألقى محاضرات للتعريف والكشف عن الحالة الاجتماعية والسياسية للجزائريين، كما دافع عن مطالب الشباب الجزائري حيث كانت له الحنكة في الخطابة والدبلوماسية مما أكسبه تأييدا من طرف أحرار باريس وهو ما جعله يخاطبهم قائلا: "أشركونا في العدالة وفي تطوركم، سنكون بجانبكم في وقت الصعبة والمحن"

أراد الأمير خالد من وراء هذا الخطاب أن يمرر رسالة مطالب الشعب الجزائري الإصلاحية المتمثلة في " ربط الجزائر بفرنسا " ولقي هذا الخطاب استجابة كبيرة من طرف الوسط الفرنسي، وعلق على هذا الأمر بقوله "هناك وفاق وتفاهم مع فرنسي فرنسا، بينما يسود سوء التفاهم وعدم التوافق مع فرنسي الجزائر فيما يتعلق بقضية الأهالي.

¹. Mahfoud Kaddache, L'Émir Khaled. Documents et Témoignages pour servir à l'étude du nationalisme algérien. Alger, OPU-Anep, 1987, p. 85.

141

قدم في أفريل 1914م مجموعة من مطالب الشباب الجزائري المتمثلة فيما يلى:

- المساواة في العمل مع توفير العمل للأهالي في فرنسا وتوفير الحماية لهم.
 - إلغاء قانون الأهالي.
 - التمثيل الأهالي المتساوي في جميع المجالس.

بنشاطه السياسي الباسل دون كلل وملل حتى أصبح في نظر الحكومة العامة في الجزائر والمنتخبين الفرنسيين يشكل خطرا وبالتالي العمل للتخلص منه بينما فرنسي فرنسا (الأحرار) وحكومة باريس كانت تدافع عنه وتحميه وهذا ما خلق أزمة بين الطرفين.

اقتصر خالد في مرحلته الأولى من النضال السياسي في مطالب محتشمة لا تتعدى المساواة والإصلاحات دون تجاوزها إلى مطالب استقلالية، يمكن أن نحكم عليها أنها مطالب محتشمة، فلماذا؟

يشرح مصطفي لشرف لماذا مطالب الأمير اقتصرت على أهداف محتشمة، حيث يقول: حيث قال أن المجتمع عرف تقهقر مع بداية ق20م، فرض عليه الحصار والقيود من اجل تجريده، فقضي عليه، هو ما جعل الأمير يطالب ببعض الإصلاحات والقليل من العدالة حتى ينقذه من مخاطر كبيرة، هي تلك الظروف التي كان يتخبط فيها الشعب الجزائري وكذا غياب تيار سياسي منظم هذا ما فرض على الأمير خالد أن يخوض سياسة محتشمة "1.

¹. Kaddache, Mahfoud, op.cit. P192.

فكان برنامج الحركة مع بداية سنة 1919 م بزعامة الأمير خالد يهدف إلى تحقيق الأهداف التالية¹:

- 1-إلغاء القوانين الاستثنائية والبلديات المختلطة والعسكرية.
- 2- المساواة في الحقوق والحريات بين فرنسي الجزائر ومسلمي الجزائر.
 - 3-احترام الأحوال الشخصية للأهالي.
 - 4-التمثيل البرلماني للمسلمين.
- 5-التعليم الإجباري وتعليم اللغة العربية كلغة رسمية بجانب اللغة الفرنسية، واقامة جامعة باللغة العربية.
- 6-رفض الإدماج الكلي والتجنس العام مثل ما حدث في قانون كريمي ولجزائري إلى هود.
 - 7-تفضيل مصطلح الارتباط أو الاتحاد عن الإدماج.
 - 8-معارضة استقلالية تسيير الجزائر في ظل سيادة الأقلية الأوروبية.

نلمس من خلال النقاط التي جاءت في برنامج حركة الأمير خالد خاصة النقطة 3،5 و6 ان البرنامج جاء رافضا للإدماج بل هي مطالب تعتمد على المساواة في الحقوق مع الفرنسيين كما لا تطالب باستقلال صراحة وإنما الإصلاحات المطالبة بها تفتح الطريق لتحيق هذا الهدف.

ب. المرحلة الثانية من 1919- 1924

في نهاية الحرب الأولى، أعلن الرئيس ويلسون في يناير 1918 على مبدأ حق الشعوب في تقرير المصير، تحمس الأمير خالد للمبدأ وعاد من جديد الى نشاطه السياسي ولكن بمطالب جديدة وراديكالية تماشيا مع التغيرات الدولية وما أفرزته

143

 $^{^{1}.}$ Mohamed Teguia, L'Algérie en guerre, op.cit., p.24.

الحرب العالمية من نتائج أهمها مبادئ ولسن 14 التي تضمنت حق الشعوب في تقرير مصيرها.

استشار خالد بعض أعضاء البارزين من الحركة في مسألة تحرير رسالة وبعثها لولسن الأمريكي للمطالبة بتطبيق ما جاء في مبادئه 14 على الجزائر إلا أن بعض من مناصري الإدماج الكلي رفضوا ذلك، لكن ذلك لم ينقص من عزيمته و رغبته في المبادرة مع بعض الأعضاء وهم 5 وكان له ذلك حيث توجه وفد من الجزائر الى فرساي (باريس) حامل معه الرسالة سلمت لرئيس الأمريكي بواسطة ضابط شرف المؤتمر في مارس 1919م وجاء في العريضة: توضيح الوضع السياسي للشعب الجزائري، جاء فيها ما يلي: "في ظل ما يسمى الجمهورية، معظم السكان تحكمه قوانين خاصة التي من شأنها تكون عارا حتى على البرابرة أنفسهم. وكما هو الحال، أن بعض هذه القوانين أسست محاكم خاصة (المحاكم القمعية والمحكمة الجنائية) التي تعود إلى تاريخ 29 مارس 1902 و 3 ديسمبر 1902. يمكننا أن نرى مثالا التراجع الحريات الفردية"، كما طلب من ولسن تطبيق بما جاء في مبادئ 14 للتراجع الحزائر تحت وصاية عصبة الأمم إلا أن الأمير لم يتلق ردا من ولسن ولس، أمله.

رغم خيبة أمله من الرسالة الا أنه عاد من جديد للنشاط السياسي ودافع عن الشخصية الجزائرية المسلمة ورفض الاندماج كما أقحم باب الانتخابات للترشح سواء في الانتخابات البلدية حقق فوزا ساحقا الا أنه استقال من منصبه حتى يتفرغ لتوعية الشعب وتأطيره وتوحيده، فأعتنق مهنة الصحافة بعد تأسيسه جريدة "الأقدام" سنة

¹. Idem., p. 122. Voir également : Ageron, Ch.– R. « La pétition de l'émir Khaled au président Wilson (mars 1919), suivie d'une réponse à quelques objections », Revue d'Histoire Maghrébine, n° 19–20, oct. 1980.

1920م وشرع في نضاله بالقلم ضد النظام الاستعماري والاجارة الاستعمارية وعملائها من المنتخبين الجزائريين الذين كانوا يزورون الانتخابات.

أدرك الأمير خالد ضرورة تنظيم الشعب وتوحيده لذا أنشأ جمعية "الأخوة الجزائرية" الذي يحمل برنامجها ما يلى:

- إلغاء القوانين الاستثنائية.
- تمثيل المسلمين في المجالس الانتخابية.
 - الحقوق المشتركة للجميع.
- التعليم الإجباري للجزائريين باللغة العربية والفرنسية.
- منح المواطنة للجزائريين دون التخلي عن الأحوال الشخصية.

نظرا لنشاط الأمير خالد النضالي الباسل، أصبح في نظر الإدارة الاستعمارية يشكل خطرا داهما عليها لذا رأت العمل المستحيل لإبعاده من ممارسة النشاط السياسي والتخلص منه سواء عن طريق الترهيب والترغيب أي إغرائه بالأموال ومنحه حق اللجوء والهجرة لأي بلد، فأختار خالد الانسحاب من النشاط السياسي والهجرة. وما كان يروج لهو يسعى إلى ه قبل الانسحاب من النشاط السياسي هو تنظيم العمال المغتربين لدول المغرب العربي أي تكوين جمعية تضم عمال المغرب العربي للدفاع عن حقوقهم الا أنه أنسحب من النشاط السياسي ما جعل الكثير من المؤرخين يرجعون فكرة تأسيس نجم شمال إفريقيا إلى الأمير خالد..

قاد الأمير خالد نضال دون هوادة من اجل الحقوق السياسية تحقيق الحريات، وزاد الأمير من جرأته حتى تسبب في وقوع حادث فعلي بتاريخ 20 أبريل 1922، خلال الزيارة التي قام بها رئيس الجمهورية الفرنسية ألكسندر ميلران إلى ضريح سيدي عبد الرحمان الجزائر من خلال تقديم خطاب ارتجالي دعي فيه على وجه الخصوص الى "تطوير الحريات وتمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي:"... في الوقت الراهن،

من أقصى الأرض إلى أقصاها حيث عرف العالم كارثة غير مسبوقة يحاول اليوم استئناف توازنها الطبيعي، "يطالب المسلمون الجزائريين عاجلا من فرنسا بإعطاء أهمية لتطوير الحريات التي كانت وعدت بمنحها حتى تسمح لهم بالانضمام في صف العائلة الفرنسية، ان بعض تحفظات عن الأحوال الشخصية الخاصة لا تكون عقبة للتأقلم الكلي التي تجعلكم تترددون."1

أغتتم الأمير خالد جولته الثانية في فرنسا، في الوقت الذي كان فيه رسميا منفيا، ليكثف في جويلية من عام 1924م من اللقاءات السياسية والتجمعات الشعبية في باريس، راسل في 3 جويلية رئيس المجلس، إدوارد هيريو، جاء فيها جملة من المطالب متعلقة بالحريات منها الصحافة وتكوين الجمعيات².

نص المطالب الذي قدمها الامير خالد الى هيريو رئيس وزراء فرنسا: -

- إعطاء حق الانتخاب للمسلمين الجزائريين لتكون لهم في مجلس الأمة ومجلس الشيوخ نيابة تساوي في عددها نيابة الفرنسيين الجزائريين.
- إلغاء سائر القوانين الزجرية والاستثنائية والمحاكم الخاصة والرجوع الى القوانين التابعة للحق العام.
 - المساواة في الحقوق التامة مع الفرنسيين في المسائل العسكرية.

¹ Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme algérien, T. II, Alger, 2 éd., 1993, annexe 3, p. 890.

algérien. Textes 1912-1954, Alger, 2 éd., OPU; Paris, L'Harmattan, 1986, p. 32.

² Adressée le 3 juillet 1924 et appuyée par deux conférences tenues à Paris, les 12 et 19 juillet 1924, devant « 12 000 Français et Nord-Africains musulmans ». Cf. Emir Khaled, La Situation des Musulmans d'Algérie, Alger, Ed. Du Trait-d 'Union, Victor Spielmann, 1924. Présentation Nadya Bouzar-Kasbadji, OPU, 1987, 55 p. Voir également : Collot, Claude et Henry, Jean-Robert, Le Mouvement national

- الاعتراف بالحق للمسلمين الجزائريين في الوصول الى كل درجات الموظف العمومي غير المتقيدين إلا بشرط الكفاءة.
- تنفيذ قانون التعليم الإجباري على سائر المسلمين مع إعطاء الحرية للتعليم الحر.
 - حرية الصحافة والتعبير وإنشاء الجمعيات.
 - تتفيذ قوانين فصل الدين عن الدولة.
 - اعلان العف والعام.
 - تنفيذ القوانين الاجتماعية وقوانين حماية العمال على المسلمين.
 - الحرية التامة لسائر المسلمين في السفر لفرنسا بدون قيود 1 .

هذه هي المطالب التي كانت برنامج الأمير خالد السياسي، وعنها كان يناضل بالقول والكتابة في جريدة الأقدام الشهيرة باللغتين، وبالمحاضرات وأستمر على المطالبة بها إلى أخر نفس من حياته.

حينما تزعم خالد هذه الحركة عرفت تطورات وتغيرات إلى أن أدى بها إلى التصدع والانشقاق إلى تيارين، الأول يطالب بالإدماج الكلي أما الثاني مطالبه غير إدماجية ولكنها سياسية متعلقة بإلغاء القوانين الاستثنائية وهو متأثر بنهضة المشرق العربي، وهو ما أدى تدريجيا تخلى التيار الأول من حركة "الشباب الجزائري " المؤيدين للارتباط بفرنسا وسياسة التجنيس أي الإدماج الكلي عن الأمير خالد ولكن هذا الهدف من الأمور الطوباوية في رأي بعض سياسيين الكولون أو لدى الأهالي حيث يستحال تحقيقه.

حيث قال جون كلود فاتين في هذا الموضوع ما يلي: «سياسة الإدماج ما هي إلا طريقة أو وسيلة لتحقيق المساواة الاجتماعية والسياسية بين الأوروبيين والمسلمين –

147

^{1.} محمد قنانش ومحفوظ قداش، نجم الشمال الإفريقي 1926–1937، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1954، ص 23.

هي غاية في حد ذاتها - إلى الحد الأقصى يمكن أن نقول انه لم يوجد تيار إدماجي بمعني الكلمة يهدف إلى ذوبان المجتمع الجزائري داخل المجتمع الأوروبي 1 .

ويذهب فتان إلى ابعد من ذلك بقوله ما يلي: «إن المناهضين للإدماج مرتاحين ومتفتحين لتيار المساواة قبل كل شيء، تفوق رجال الدين على اللائكيين كما تفوق مدافعي على الأحوال الشخصية على دعاة الإدماج وما يعكس هذا الطرح هو أثناء النتافس بين الأمير خالد المناهض للإدماج وبنتامي من دعاة الإدماج في الانتخابات البلديات تنافس الاثنين في مدينة الجزائر فانهزم دعاة الإدماج

وهذا ما جعل ينذر بالخطر في المستقبل من تحول تيار المناهض للإدماج أن يتحول إلى تيار وطنى "2.

من خلال هذا العرض للأحداث نتوصل إلى القول أن أول حركة سياسية جزائرية مثلها "الشباب الجزائري" التي وضعت نواتها الأولى قبل الحرب العالمية وتزعمها الأمير خالد لتتطور وتظهر إلى الوجود بعد الحرب العالمية الأولى وانبثق عن هذه الحركة تيارين الأول هم دعاة الإدماج مع التخلي عن الأحوال الشخصية الذين تخلوا عن الأمير أما التيار الثاني هم دعاة المساواة والرافضين للإدماج التي تتطور مطالبه لتصبح أكثر دقة بعد نفي الأمير خالد سنة 1923م ويصبح في معظمه سبب في تأسيس نجم شمال إفريقيا الذي يمثل التيار الوطنى بعد لقاءات وتجمعات

148

¹ J.C. Vatin, L'Algérie Politique, histoire et société, revue française de science politique, n°2, 1974, p.168-169.

². Ibid.p.172.

مشتركة مع الشيوعيين الفرنسيين¹، ويتحول قيما بعد إلى حزب الشعب الجزائري وأخيرا إلى حركة الانتصار من اجل الحرية والديمقراطية.

المحاضرة الحادية عشرة: نجم شمال إفريقيا.

تعود فكرة تأسيس جمعية تضم عمال شمال إفريقيا المغتربين في فرنسا تدافع عن حقوقهم التي أصطلح عليها بنجم شمال إفريقيا إلى الأمير خالد ولكنه لم يجسدها على الواقع بسبب انسحابه من ممارسة النشاط السياسي. إلا أن محمد قنانش يقول أن النجم تأسس على أنقاض جمعية دينية "جمعية الأخوة الإسلامية" والتي تعتبر النواة الأولى وعاشت سنة كاملة من أوائل 1925م إلى أوائل 1926م أ

إذن أول تيار وطني جزائري يعود الفضل في تأسيسه إلى العمال الجزائريين المهاجرين إلى فرنسا، فما هي العوامل التي جعلت منه انتهاج النهج الثوري الاستقلال؟ وكيف تأسس هذا التيار؟

1. العوامل التي جعلت من النجم ينتهج الإيديولوجية الثورية الاستقلالية:

أ. العوامل الخارجية:

- التأثر بالأفكار التحررية التي سادت أوروبا.
- التأثر بالأفكار الشيوعية الثورية التي ترعرعت في باريس.

¹. Mohamed Lebdjaoui, Vérités sur la révolution Algérienne, Gallimard, paris ; 1970, PP.17-24.

^{2.} هي حركة دينية تم إنشائها في أوائل من سنة 1925 كخطوة أولى تجمع عمال شمال إفريقيا وتشد أزرهم وتمنعهم من الذوبان وبنو أساسها على المحبة الأخوية التي هي أكبر رابطة إنسانية ودعموها بالدين.

^{3.} محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين (1919-1938)، المركز الوطني للنشر والتوزيع، الجزائر 1985، ص 26.

- الحركة العمالية التي أصبحت تجيش بها باريس بعد انتصار الثورة البلشفية في روسيا.
 - مبادئ ولسن 14 وأهمها حق الشعوب في تقرير المصير.
 - مؤثرات أفكار المشرق العربي منها أفكار جمال الدين الأفغاني مصطفى كامل.
 - الجمعيات السرية والمؤثرات العربية.
 - حرب الريف الذي تزعمها عبد الكريم الخطابي.
 - النهضة التركية الحديثة.

ب. العوامل الداخلية:

- الرصيد الديني الإسلامي القوي الذي جمع بين مهاجرين شمال إفريقيا
- تمسكهم بالعادات والتقاليد حيث جعلوها حصنا متينا لذوبان الشخصية الجزائرية في المجتمع الأوروبي.
 - السياسة الاستعمارية الظالمة القائمة على التفرقة والتمييز.

2. تأسيس نجم شمال افريقيا:

بعدما في عقد اجتماعات تحضيرية في إحدى المطاعم الباريسية من اجل تأسيس جمعية التي يكون هدفها العاجل توحيد الجهود وتتسيق العمل بين كل عمال المغتربين شمال إفريقيا في باريس، لتبدأ المشاورات في أكتوبر من سنة 1925م للتوصل في شهر ديسمبر من نفس السنة، وأنعقد أول اجتماع يوم 15 جوان المتعج بروتان، وفيه اقترح اسم شمال إفريقيا من طرف الحاج علي عبد القادر الذي حضر جميع الاجتماعات.

عقد الاجتماع التأسيسي للنجم بتاريخ 23 إلى 26 جوان من سنة 1926م في دار النقابات بشارع ماثوران مورو (Mathurin Moreau) بباريس ففي هذه المناسبة أعلن رسميا أمام العامة على تأسيس نجم شمال إفريقيا بحضور شخصيات من دول عربية وكان مقرها في باريس والتي كانت بمثابة فرع تابع للحزب الشيوعي الفرنسي.

وحسب ما ينص عليه قانون الجمعية، تهدف إلى تدريب مسلمي الشمال إفريقيا على الحياة في فرنسا والتنديد بجميع المظالم أمام الرأي العام، وعدم انتمائها إلى أي حزب سياسي، فهي مع ذلك تلتزم بتأييد كل حزب وكل شخصية سياسية تساعد على تحقيق برنامج مطالبها وقد قررت منذ تأسيسها توحيد العمل مع كامل منظمات الطبقة الشغيلة والفلاحية والشعوب المضطهدة. تدير الجمعية وتكون مسئولة أمام المؤتمر السنوي، ولجنة تنفيذية صادرة عن اللجنة المركزية تجتمع بصفة مستمرة وتجتمع اللجنة المركزية كلما اقتضت الضرورة، فالمؤتمر السنوي بمشاركة جميع فروع الجمعية له السلطة التامة فيما يخص مبادئ الجمعية والتوجيه السياسي لها.

وفي 2 جويلية انعقد اجتماع للأعضاء بقاعة النقابة وأسست لجنة مركزية تضم 25 عضوا وأشهرهم:

- الرئيس: الحاج على عبد القادر
 - الكاتب العام: مصالي الحاج.
 - أمين مال: شابيلة الجيلالي
- بقية قائمة الاعضاء: أكلي بانون، معرف محمد، قدور فار، مصطفى سعدون، مقرروش، عبد الرحمان سبيعي، أيت تودرت، ايفور محمد، غاندي صالح، رزقى، بوطويل 1 والجمعية تستلهم أساسها من المبدأ التالي: "إن مسلمي الشمال

151

^{1.} محمد قنانش، المصدر السابق، ص30–31.

الإفريقي لا يقومون بواجباتهم فقط بل بأكثر من واجباتهم، لذا فأنهم يطالبون بكامل حقوقهم"1.

3. مطالب النجم بعد التأسيس:

- إلغاء قانون الأنديجينا مع جميع توابعه.
- حق الانتخاب والترشح في جميع المجالس ومن بينها البرلمان الفرنسي بنفس الحق الذي يتمتع به الفرنسي.
- إلغاء التام والعام لجميع القوانين الاستثنائية والمحاكم الزجرية والمجالس الجنائية والمراقبة الإدارية وذلك بالرجوع إلى القوانين العامة.
 - نفس التكاليف ونفس الحقوق كالفرنسيين فيما يخص التجنيد.
- توصل المسلمين الجزائريين إلى جميع الرتب المدنية والعسكرية من دون تمييز سوى الكفاءة والمهارة الشخصية.
 - التطبيق التام لقانون التعليم الإجباري لجميع الأهالي.
 - حرية الصحافة والجمعيات.
 - تطبيق قانون فصل الدين عن الحكومة فيما يخص الدين الإسلامي.
 - تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية على الأهالي.
- الحرية التامة للعمال الأهالي بالتنقل إلى فرنسا والخارج من عير إجراءات أخرى غير ما يتطلب من مواطن أخر.
- يجب تطبيق قوانين العف والماضية والآتية على الأهالي مثل غيرهم من المواطنين².

^{1.} محمد قنانش ومحفوظ قداش، المصدر السابق، ص40.

². نفس المصدر ، ص41.

كان النجم برئاسة الحاج علي عبد القادر يستخدم وسائل الحزب الشيوعي الفرنسي والكونفدرالية العامة للعمال من أجل تطوير نشاطه ونشر برنامجه ولكن ظلت الحركة محصورة في فرنسا بين وسط المغتربين العمال في فرنسا دون إن تكون لها جذور في الجزائر.

بعد انسحاب الحاج علي من النجم والساحة السياسية، عين مصالي الحاج علي رأس النجم سنة 1928م ولكن قبل ذلك كان بدا نشاطه في جمعية ذات طابع ثقافي واجتماعي يصطلح عليها "الإخوة الإسلامية"، كما كان منخرط في الحزب الشيوعي الفرنسي ذات تكوين سطحي ماركسي ذات خلفية شعبية مثل جيلاني وسرعان ما أنشق بعض أعضاء قيادة النجم من الحزب الشيوعي، لكن معظم قيادة الحزب كانت شيوعية أمثال الحاج علي، بن لكحل، معروف، على أيب منور.

قد نلمس في العشرينات من هذا القرن أن هناك تقارب وعلاقات حسنة تربط زعماء الوطنية العرب 1 مع الحزب الشيوعي. نلاحظ ان القليل من المتحضرين 2 الذين توافدوا إلى فرنسا توغلوا في وسط العمال وانضموا إلى النجم خاصة في القيادة نستثني فقط الوافد من الريف وهو معروف 3 من وادي الفضة الشلف.

^{1.} منهم شكيب أيرسلان الذي زار موسكو سنة 1921م حيث كان أمين المؤتمر الإسلامي العالمي لمكة المكرمة، كما كانت تربطه علاقة مع الأممية الشيوعية، كما شارك في مؤتمر بروكسل سنة 1927م الذي جمع الأحزاب الشيوعية الأوروبية و ممثلين عن الدول المستعمرة جاء لمناهض للإمبريالية، كما مثل مصر و فلسطين في مؤتمر أصدقاء الاتحاد السوفيتي سنة 1928م، أما ممثل شمال إفريقيا نجد الأمير خالد و مصالي ، لم يكون شكيب أيرسلان شيوعي و لكن حافظ علي العلاقة الجيدة مع الحزب الشيوعي إلى غاية 1930م، بعد ذلك تعهد شكيب والشيوعيين لإنهاء الكراهية نهائيا.، ينظر في:

Jean Charles Vatin, L'Algérie politique, histoire et société, Op.cit., P.929.

 $^{^{2}}$. النخبة المثقفة من الحضر

^{3.} بومدين معروف من المقربين لمصالي الحاج

وبعد تأسيس النجم شرع في تتصيب فروعه عبر مختلف المدن الكبري الفرنسية، كما بدأ في نشر البيانات وأول بيان نشر بتاريخ 10 جويلية 1926م وجاء فيه تنديد بالسياسة الاستعمارية المطبقة في الجزائر ويتعلق الأمر بتعليمة تضمنت شروط التحاق الجزائريين بفرنسا وكذا استمرار تطبيق قانون الإنديجينا كما احتجوا من أجل الحصول على حقوقهم والدعوة لعقد تجمع من اجل مناقشة هذه النقاط.

وتم إصدار صحيفة لنجم شمال إفريقيا يحمل اسم "الإقدام الباريسي" سنة 1926م وتعرض للتوقيف في فيفري 1927م، ليتم تعويضه ب «إقدام شمال إفريقيا" بعد أعداد من هذه الصحيفة تعرضت كذلك للمنع من الصدور في فيفري 1928م

4. مشاركة نجم شمال إفريقيا في مؤتمر بروكسل 1927م 1 :

اغتنمت جمعية نجم الشمال الإفريقي هذه الفرصة وأوفدت إلى المؤتمر الكاتب العام مصالى الحاج الذي قدم مطالب الجزائر وتعرف على بعض الشخصيات أمثال: نهرو، سوكارنو وهو شي منه.

مطالب الجزائريين حسب نجم الشمال الإفريقي من المؤتمر:

- استقلال الجزائر.
- جلاء قوات الاحتلال الفرنسية.
 - تأسيس جيش وطني.

 أ. هو مؤتمر مناهض للإمبريالية، انعقد ما بين 10-15 فيفري من عام 1927 حضره الأحزاب الشيوعية الأوروبية إلى جانب الطبقة العاملة لمختلف القارات للدول المستعمرة، ويهدف المؤتمر إلى تكاتف الجهود

في الدول المستعمرة.

والنضال لمناهضة الإمبريالية وهو إلا تطبيق نهج وسياسة لينين الرامية إلى مساندة "الحركات الوطنية الثورية"

- حجز الأملاك الفلاحين الكبيرة التي استولى عليها الإقطاعيون والمعمرون والجمعيات الرأسمالية الخاصة وإرجاع الأراضي المحجوزة إلى الفلاحين الذين سلبت منهم.
 - احترام الأملاك الصغيرة والمتوسطة.
- إرجاع الأراضي والغابات التي استولت عليها الحكومة الفرنسية الى الحكومة الجزائرية.

هذه المطالب الاساسية التي نحارب من اجلها لا تتفي أعمالا جريئة فورية لانتزاع المطالب الاتية من الإمبريالية الفرنسية.

- إلغاء الفوري لقانون الأنديجينا والقوانين الاستثنائية.
- العف ولمن هم في السجون أو تحت الإقامة الجبرية أو المبعدون.
 - حرية الصحافة والجمعيات والاجتماعات.
- التمتع بالحقوق السياسية والنقابية المعادلة لما يتمتع بها الفرنسي في الجزائر.
- تحويل المجلس المالي المنتخب بأقلية إلى برلمان فرنسي منتخب بالاقتراع العام.
 - انتخاب المجالس البلدية والعمالية بالاقتراع العام ابيضا.
 - التمتع بحق التعليم في جميع المراحل.
 - إنشاء المدارس العربية.
 - تطبيق القوانين الاجتماعية.
 - إعانة الفلاحين الصغار بقروض واسعة 1 .

تطورت مطالب النجم مباشرة بعد مؤتمر بروكسل لتصبح وطنية اي استقلال الجزائر.

_

محمد قنانش ومحفوظ قداش، المصدر السابق، ص49.

السنوات الصعبة للنجم بسبب قوانينه الجديدة

ان كانت سنة 1927م قد أقرت مبدأ الاستقلال الوطني عمليا، ومبدأ الثورة فكريا ومبدأ شمال افريقيا استراتيجيا، فان سنة 1928 عرفت تصحيح القوانين الأساسية حتى تتماشى مع الوضع الجديد وجاءت في الوقت المناسب للتوجيه الوطني الثوري، وقد جاءت لتحل محل قوانين سنة 1926م التي كانت ضعيفة وغير مركزة، لقد هيأت هذه القوانين التي عرضت في الاجتماع لعام السنوي الذي جرى يوم 19 فيفري 1928م بنهج بروتان مع البرنامج العمل التالي:

- تقييم نتائج نشاطات النجم وتحديد مهمته في المستقبل.
 - مراجعة القوانين.
 - برنامج النجم.
 - الحالة المالية.
 - انتخاب اللجنة المركزية.

أدت الحالة الجديدة للنجم إلى دفع رجال الأمن الفرنسي الى مطالبة وزير الداخلية بحله لأنه أصبح يهدد الوجود الفرنسي في الجزائر، أصبح النجم متابع من طرف رجال الأمن هذا ما جعله يعقد اجتماعات مصغرة في المقاهي والمطاعم بعدما كانت اجتماعاته كبيرة.

وفي 20 جانفي من سنة 1929م وقع تجمع عظيم تحت رئاسة الحاج على عبد القادر نادي فيه بتأسيس برلمان أهلي كخطوة أولى للاستقلال أما مصالي الحاج فقد صرح في نفس التجمع بأن الاستقلال هو الحل الوحيد ويظهر أن الحاج على كان في أخر عهده في النجم.

وقد قام النجم في الأشهر الأولى من هذه السنة بنشاط كبير دفعت بحكومة طاردي اليمينية أن تطلب محاكمة النجم، وقد وقع في أول نوفمبر بينما حل النجم يوم 20 من نفس الشهر.

تعرض النجم إلى الحل سنة 1929 إلا انه ظل أعضائه أمثال الحاج على ينشط حيث نظم تجمعات ولقاءات ضد الذكرى المئوية لغزو الجزائر.

بعد سنة 1930 عاد نشاط النجم باسم جديد" نجم شمال إفريقيا المجيد " اتبع أيديولوجية وسياسة جديدة بزعامة مصالي الحاج معارضة ومخالفة للشيوعية القومية الشعبوية ولكن دون قطع الصلة مع الحزب الشيوعي، كما قام النجم سنة 1930 بإرسال مذكرة إلى عصبة الأمم المتحدة يشرح فيها حالة ووضع الجزائر من جراء السياسة الاستعمارية الفرنسية وكذا سكوت المنظمة العالمية على عدم تطبيق تقرير المصير الذي تأسست من أجله .1

وفي أكتوبر من سنة 1930م أنشأت صحيفة الأمة وهي صحيفة للدفاع على مصالح المسلمين الجزائريين والمغاربة والتونسيين، وقد لعبت دورا كبيرا في جمع شباب الجزائري حول النجم، كما كان لها صدى في الجزائر والمتروبول استمرت في الصدور إلى سنة 1936م.

ان كان النجم إلى غاية 1932م يمثل إلا جمعية مطلبية ولكن بعد انسحاب الشيوعيين أصبح ينظم نفسه في شكل حزب سياسي علي النمط الماركسي وتحقق ذلك بعقد مؤتمره الوطني في 28 ماي 1933م وحدد فيه برنامجه السياسي والقوانين الداخلية والمطالب المستعجلة والمصادق عليه من طرف الجمعية.

^{1.} محمد قنانش، المصدر السابق، ص52.

5. مطالب النجم في مؤتمره الوطني المنعقد سنة 1933:

القسم الأول من المطالب (العاجلة)

- الغاء الفوري لقانون "لأنديجينا" وجميع الإجراءات الاستثنائية.
- العف والعام عن جميع المساجين ومن هم تحت الإقامة الجبرية والمنفيين.
- حرية الصحافة، الجمعيات، الاجتماعات، والحقوق السياسية والاجتماعية.
 - حرية التتقل المطلقة لفرنسا وللبلدان الأجنبية.
- إلغاء مندوبي المالية وإجراء انتخابات عن طريق الاقتراع العام لتشكيل برلمان وطني جزائري.
- إلغاء البلديات المختلطة والمناطق العسكرية وتعويضها بمجالس بلدية منتخبة عن طريق الاقتراع العام.
- الحق لجميع الجزائريين في الوظائف العامة بدون اي تمييز، وظائف وأجور متساوية.
- ان تكون اللغة العربية إجبارية ورسمية، الحق في مباشرة التعليم في جميع المستويات، انشاء مدارس عربية جديدة، وجوب نشر العقود الرسمية باللغة العربية والفرنسية.
- وفيما يخص الخدمة العسكرية يجب احترام القران الكريم الذي يقول: فمن قتل مؤمنا معتمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه.
- تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية والحق في منحة البطالة والمنح العائلية للعائلات القاطنة بالجزائر.
- توسيع القرض الفلاحي لصغار الفلاحين، تنظيم الري تنظيما عادلا، تتمية وسائل المواصلات اعانة غير قابلة للتعويض لضحايا المجاعات الدورية.

أما القسم الثاني والمطلب الآجلة فهي كالآتي:

- 1-الاستقلال الكلى للجزائر
- 2-انسحاب القوات الاحتلال
 - 3-انشاء جيش وطني.
- 4-تكوين حكومة وطنية ثورية وذلك ب:
 - جمعية دستورية ثورية بالاقتراع العام.
- الاقتراع العام في جميع المستويات وحق الترشح في جميع المجالس لجميع سكان الجزائر.
 - اعتبار اللعة العربية لغة رسمية.
 - ارجاع جميع الممتلكات للدولة الجزائرية (البنوك، السكك الحديدية، المناجم، الموانئ والخدمات)
- تأميم كبريات الأملاك التي استولت عليها الإقطاعية من حلفاء الاحتلال المعمرون والجمعيات المالية وتوزيعها على عمال الأرض.
- احترام الأملاك الصغيرة والمتوسطة، استرجاع الأراضي والغابات التي استولت عليها الحكومة الفرنسية الى الدولة الجزائرية.
- اعتراف الدولة الجزائرية بالحق النقابي، اتحاد العمال، وحق الإضراب وإعداد القوانين الاجتماعية من طرف العمال. الإعانة الفورية للفلاحين بتخصيص مبالغ للفلاحين كقروض بغير فائدة لشراء آلات الحرث، البذور، المواد الكيماوية.
 - تنظيم الري، إصلاح الطرق.

بهذا البرنامج الجديد الذي ترتب عن المؤتمر الوطني للنجم المنعقد سنة 1933م، يكون النجم حسب محمد قنانش قد وضع الخطوط العريضة للبرنامج السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي وحدد وسائل العمل كما حدد القوانين الداخلية للحزب باعتبار حركة النجم حزبا سياسيا وطنيا له أيديولوجيته النابعة

من أصالته والمتفتحة على عصره و له أيضا استراتيجية خاصة التي تتماشى ومبادئه الثورية 1 .

قامت السلطات الفرنسية بحل "نجم شمال افريقيا المجيد" سنة 1935م بعد أن تم اعتقال مصالي رفقة راجف وعيماش بمقر صحيفة الأمة في ماي 1934م وحكم على مصالي ب 6 أشهر حبس وغرامة ب 2000 فرنك.

رغم الإجراءات القمعية والتعسفية على مناضلي النجم إلا انه واصل نشاطه ونضاله السياسي ولكن تحت غطاء وتسمية جديدة هو «الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا". وشارك في مؤتمر مسلمي أوروبا بجنيف في 12 سبتمبر من سنة 1935م وترأس المؤتمر شكيب أرسلان، كما تدخل كل من مصالي الحاج ورجف بإلقاء كلمة واصفين فيها أوضاع المزرية لعمال المغتربين لبلدان شمال إفريقيا²

وفي جويلية 1935م أعلنت محكمة لا سين (La seine) عدم صلاحية حكم سبتمبر 1929م المعلن عن حل النجم بسبب "عدم إصدار أي حكم للتنفيذ"، هو ما جعل النجم شرعي في جويلية 1935م ويستأنف نشاطه السياسي في الوقت كان مسؤوليه كل من مصالي ، عيماش، راجف، جيلاني متابعين والمحكوم عليهم بسنة سجنا في ماي 1935م، فتم سجنهم باستثناء مصالي الذي تمكن من الهروب من الاعتقال واللجوء إلى سويسرا أين التقى بشكيب أرسنال، حيث ترأس هذا الاخير المؤتمر الاسلامي الأوروبي المنعقد في جنيف في شهر سبتمبر من سنة 1935م وحضره و فد من النجم برئاسة مصالي الحاج الذي كان مقيم في جنيف الطي تكلم عن حالة المسلمين في فرنسا شمال افريقيا وندد بالاستعمار الفرنسي وسياسته عن حالة المسلمين في فرنسا شمال افريقيا وندد بالاستعمار الفرنسي وسياسته

 $^{^{1}}$. محمد القنانش، المصدر السابق، ص 1

². Tribune d'Orient, n°179, 1935.

الحمقاء. وقد قضى مصالي الحاج 6 اشهر في كنف الأمير شكيب ارسلان بجنيف وتعرف على عدة شخصيات منها رفيق الأمير في الكفاح السيد لحسان الجابري والصحافي الكبير السيد علي الغاباني صاحب جريدة "منبر الشرق" وغيرهم من الشخصيات 1

6. نجم شمال افريقيا والجبهة الشعبية:

رغم المشاكل والتعسف القضائي المسلط على النجم إلا انه انخرط في التجمع الشعبي الذي هو بمثابة جبهة شعبية تجمع أحزاب اليسار الفرنسي، بعث برسالة مفتوحة الى الجبهة الشعبية منددا بموقف اليسار الفرنسي ومن القضية الجزائرية²، كما قدم برنامج من المطالب المستعجلة منها ما هي سياسية واخرى اجتماعية.

المطالب السياسية:

- العفو الشامل على كل المنفيين والسجناء السياسيين مهما كان الحزب الذي ينتمي إليه.
 - الغاء كل القوانين الخاصة والاجراءات الاستثنائية مثل
 - قانون الأنديجينا وقانون الغاب
 - منح الحريات الديمقراطية مثلما هي منصوص عليها في القانون
 - حرية الصحافة مع تطبيق قانون 1881.
 - حرية الاجتماعات.
 - حریة الجمعیات مع تطبیق قانون 1901م.
 - حرية الراي.

^{1.} محمد قنانش، المصدر السابق، ص 67.

^{2.} محمد قنانش ومحفوظ قداش، المصدر السابق، ص72.

- الحرية النقابية مع تطبيق قانون 1884 و1920 و1924.
 - المساواة بين الفرنسيين والجزائريين امام الخدمة العسكري.

المطالب الاجتماعية:

- التعليم

- التعليم الابتدائي اجباري ومجاني.
 - تنمية التعليم الثانوي.
- الانتقال الى التعليم الثانوي يرافقه الاستفادة من المنح الدراسية وقروض غير مضمونة الى كل من يستحقاها أكثر.
 - تعليم اللغة العربية اجبارية في كل المراحل.

- حماية العمال

- توسيع الى افريقيا الشمالية كل القوانين الخاص بحماية العمال.
 - التطبيق الاسبوعي ل 40 ساعة.
- تطبیق لمختلف عناصر سکان شمال افریقیا صیغة "نفس العمل نفس الراتب.

- الحماية الاجتماعية:

- رفع من عدد المؤسسات الاستشفائية من مستشفيات ومستوصف في التجمعات السكنية الكبرى، والمشفى في كل قرية، ومشفى متتقل إلى المداشر والدواوير، وتكثيف توزيع الأدوية على الفقراء.
- إنشاء في المدن والمراكز السكانية الكبرى مراكز الولادة لصالح نساء الأهالي.
 - إصلاح مصحات الأمراض العقلية.
 - تنظيم حملات مستمرة وواسعة ضد الأحياء الفقيرة وكل السكنات الهشة.

- حماية الطفولة:

- اخذ تدابير لحماية الاطفال المتخلى عنها.
 - انشاء محاكم خاصة بالأطفال

المطالب الاقتصادية والمالية:

- الميزانية:

- تعويض الضرائب الثقيلة والعديدة بضريبة واحدة.
- تخفيض العروض الكبيرة التي تثقل ميزانية الجزائر.

- تدابير اقتصادية:

- توقیف البیع حبس الرهن دون تمییز والمصادرات لصالح الاستعمار.
 - فتح وتوسيع القروض لصالح الفلاحين.
 - الغاء ديون الفلاحين الصغار.
 - وضع نظام ضريبي لحماية إنتاج شمال إفريقيا ضد الإغراق.

- إصلاحات مختلفة:

- إزالة البلديات العسكرية في الجنوب الجزائري.
 - انهاء الدعاية الدينية المسيحية.
 - إصلاح نظام السجون الخاصة بالأهالي.
 - التوقیف عن مصادرة أراضی الوقف.

ولكن بعد فترة وجيزة، في ظل حكومة الجبهة الشعبية التي وصلت الى الحكم سنة 1936م، يستأنف مصالي ورفاقه النشاط السياسي رسميا من جديد في باريس، ويذهب مصالي إلى الجزائر لإقامة وزرع وتعريف ببرنامج حركة نجم شمال افريقيا.

المحاضرة الثانية عشرة: حزب الشعب الجزائري.

1. تأسيس الحزب:

بدخول مصالي الحاج الى الجزائر في صيف 1936 م، ظل مصالي يجوب اراضي الجزائر ليعرف ويشرح برنامجه، ما جعله ينظر له من طرف الجماهير على انه الوحيد الذي يحمل راية الاستقلال ما زاد التفاف الشعب الجزائري حوله. كما قاد النجم حملة على الحزب الشيوعي والجبهة الشعبية واقترح تجمع المنظمات المكونة من المسلمين فقط، وقد تمكن مصالي الحاج من حشد المزيد من الجماهير وبرنامجه يحمل كلمة الاستقلال ويتيح له الفرصة تموقع حزبه في الجزائر ليكون أول حزب وطني ينصب في التراب الجزائري وحينما رأت السلطات الفرنسية ان النجم تجاوز الحد اختراقه لقوانين الدولة فقررت حكومة الجبهة الشعبية مهاجمته لأنه مؤيد للانفصال، فكانت الحجة لإصدار حكم بحل "نجم شمال إفريقيا في 26 جانفي للانفصال، فكانت الحجة لإصدار حكم بحل "نجم شمال إفريقيا في 26 جانفي تجمع بتاريخ 24 جانفي 1937.

لم يتأخر مصالي عن تأسيس حزب الشعب الجزائري في 11 مارس 1937م، وجاء فيما يتعلق بتأسيس حزب الشعب:" ان تأسيس حزب سياسي خاصة بعد حله هو موقف جرئ وخطير في نفس الوقت، ويعتقد البعض من هذا الموقف أنه جنوني أو تحد لطلب تأسيس جمعية من المحافظة، فلم نأخذ هذا في الاعتبار، فعلينا اختيار اسم بدقة للجمعية حتى لا نتعرض ثانية للحل، فكرنا في اسم " الحزب الوطني الجزائري" الا ان البعض راء في التسمية انها لا تروق لبعض الأوساط، فوقع الاختيار على "حزب الشعب الجزائري" الذي اعلن عن تأسيسه في 11 مارس 1937م، قد وفقت أن أكون رئيسا لهذا الحزب اما لجنة التسيير تضم 7 اسماء وهم: عيماش عمار، كحال أزرقي، فيلالي مبارك، قررنا ان نعقد اجتماع في نفس اليوم

في ننتار) (Nanterre بالمناسبة قال مصالي كلمة جاء فيها: أخواتي المناضلون، الشعب الجزائري وبالمناسبة قال مصالي كلمة جاء فيها: أخواتي المناضلون، يشرفني ويسعدني كثيرا ان اعلن في هذا المساء من تاريخ 11 مارس على تأسيس حزب الشعب الجزائري الذي قدم الاعتماد الى المحافظة، فالمولود الجديد منذ 6 ساعات يريد فقط ان يعيش ويلعب دوره ويؤدي مهامه الذي ولد من اجله وكلنا يتمنى له النجاح ومستقبل زاهر، بخروجه الى الحياة ورث ماضي حافل وهو ما يؤهله و يجعله مثمرا، هذا المولود هو ابن كل الجزائريين، اجعله بين يديكم ، أطلب منكم أن تحبونه وتحموه وتساعدوه على أداء مهامه، ونقوم برعايته ونطلب الله حمايته في الرئيسي إلى مدينة الجزائر بتاريخ جوان 1937م.

وحتى يتم تعريف بحزب الشعب للرأي العام الجزائري تقرر أن يعرف بنشاطات الحزب ومطالبه، طلب من مسؤولي فروع الحزب القيام بشرح شفويا خطة عملهم، كما كتبت أحرف PPA في أماكن مختلفة على جدران مدينة باريس ومدن فرنسية كثيرة والجزائرية، فكان رد فعل الاستعمار عنيف وسريع حيث ترجم بجملة من الاعتقالات وتصدى المناضلين الحزب لهده المعاملات بكل شجاعة وكرامة، كما عرفنا في الحين عبر الصحافة ان بعض المناضلين هم متابعين من طرف الشرطة وبالطبع نقصد المسؤولين الحزب.

تمكن في وقت قصير تمكن من اكتساح الساحة الوطنية وجلب عدد كبير من المناضلين مما جعل الأحزاب السياسية الأخرى تشن حملة ضده مثلما حدث في أفريل 1937 خلال تجمع أمام بلدية تلمسان حيث تهجم الشيوعيون على الحزب ومسؤوليه كما ألقى عمر أزقان بصفته مسؤول الحزب الشيوعي خطابا عنيف ضدي حيث كانت السيدة مصالى الحاج حاضرة بينما انا كنت غائبا وصرخت قائلة " ما

تقولونه غير صحيح "، ما جعل أوزقان يضطرب، هذا ما ادى الى حدوث اشتباكات من اجل اغراق "السمكة، حاول الحزب الشيوعي الجزائري التشويش وعرقلة نشاط حزب الشعب الذي تضاعفت شعبيته عكس الحزب الشيوعي الجزائري.

2. برنامج حزب الشعب الجزائري

وصل عدد المنخرطين في الحزب غداة بداية الحرب العالمية الثانية إلى حوالي 2500 أغلبهم حرفيين، وعمال القطاع العام أو الخاص وبعض المثقفين والصناع الصغار. جاء الحزب ببرنامج معدلا لبرنامجه (نجم شمال افريقيا) مع الحفاظ على استمرارية في نهجه المعتاد ومن اهم ما جاء فيه:

- تحرير الجزائر من اجل التمتع بالحريات الديمقراطية.
 - نبذ الحزب الصراع بين الطبقى أو بين الأجناس.
 - رفض مشروع لبوم فيوليت.

الى جانب المطالب سالفة الذكر (السياسية) التي هي آجلة، تقدم الحزب بمطالب عاجلة في مقدمتها المطالب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ومع ميلاد حزب الشعب الجزائري اقتصر النضال من أجل الجزائر مع الحفاظ على العلاقة بتونس والمغرب وفق بيان 10 أفريل 1937م، وفي هذه الوثيقة وضح حزب الشعب الجزائري لأول مرة وبدقة الطريقة والوسيلة التي تمكنه من الوصول الى تحقيق هدفه المنشود المتمثل في استقلال الجزائر.

يناشد المكتب السياسي للحزب جميع الجزائريين دون تمييز عرقي أوديني للوحدة والتضامن في النضال من اجل الحريات الديمقراطية وكذا على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وفي حالة الاستجابة لمطالب الحريات سنذهب تدرجيا للمطالبة بالتحرر وفي حالة حدوث العكس يستمر حزب الشعب في النضال دون هوادة مهما كانت غطرسة الكولون لتحقيق كال الاهداف في مقدمتها استقلال الجزائر. ومن الواضح اننا لم نكن نؤمن ان فرنسا تستجيب لهذه المطالب لذا كان الزاما علينا اعلام الرأي العام وابلاغ الجزائيين. وفي هذا الصدد نقوم بدعاية كبيرة من اجل اقناع الجميع بإرادتنا النبيلة والصدق كما سنركز في مطالبنا ونعطي اهمية كبرى للجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ونجعل من شعبنا يناضل من أجل المطالب العاجلة كتوفير مناصب العمل والقضاء على البطالة ورفع أجور العمال، مكافحة الأمراض، والسماح بتأسيس النقابات وترقية التعليم.

يرى البعض في الوسط السياسي أن حزب الشعب ما هو الا استمرار لنجم شمال افريقيا، وترى الادارة الفرنسية أن تأسيس حزب الشعب الجزائري هو تحدي لفرنسا على غرار مختلف التيارات في الجزائر كالشيوعيين، العلماء، قدماء المحاربين، المنتخبين وبني وي وي التي كانت تنظر إلينا بعين قاتمة 1.

وفي شهر جوان 1937 أجريت انتخابات البلدية حيث أخفق فيها حزب الشعب بسبب العراقيل التي وضعتها السلطات الفرنسية. وعلى إثر استمرار مصالي الحاج في الإثارة والتحريض (حسب الطرح الاستعماري)، شارك في احتفالات 14 جويلية 1937 بمدينة الجزائر مطالبا بالاستقلال وإنشاء برلمان جزائري، هذا ما ادى به رفقة مسؤولين من الحزب إلى الاعتقال في 27 أوت 1937 بتهمة اثارة الفوضى ضد سيادة الدولة، حيث حكم عليه في بداية نوفمبر بعقوبة عامين سجنا.

¹. Sous-préfecture de Médéa, Rapports mensuels sur les mouvements d'opinion indigènes, (1937-1939), FR ANOM 912/28.

وفي غياب مصالي الحاج واصل حزب الشعب نشاطه بادر مع بداية سنة 1938م بالتكتل مع التشكيلات التالية: شباب من المؤتمر، العلماء تحت اسم "لجنة الوفاق" وكان يريد من هذا الوفاق تشكيل " تجمع المسلمين" على شاكلة "التجمع الشعبي " المكون من طرف أوروبي اليسار.

وفي 27 أوت 1939م أطلق سراح مصالي الحاج، وفق مرسوم 26 سبتمبر من نفس السنة تم حل حزب الشعب، ففي ظل هذا التطور تعرض حزب الشعب للحل مع بداية الحرب العالمية الثانية، كما تعرض الكثير من قياديه إلى الاعتقال على رأسهم مصالي الحاج في 4 أكتوبر من سنة 1939 كما صدر في حق 28 عضوا من الحزب احكام قاسية، فحكم على مصالي ب 16سنة سجنا مع الأشغال الشاقة. وبعد حل حزب الشعب واعتقال قياديه وهو ما جعل مناضلو الحزب يدخلون في النشاط السري ومع إعادة تنظيم الحزب تم تأسيس اللجنة المركزية التي شرعت في تنسيق العمل السياسي واصدار صحيفتين وهما: العمل الجزائري وصوت الأحرار.

المحاضرة الثالثة عشرة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

حسب ما جاء في قانون اعتماد جمعية علماء المسلمين الجزائريين على أنها حركة إصلاحية للدين الإسلامي والأخلاق الاجتماعية، كان هدفها ومبتغى العلماء سعيهم لتحقيق النهضة وإعادة بعث الإسلام الصحيح وفق مبادئ السلف الصالح بعد أن أدخلت عليه شعائر وتقاليد غريبة وبالية على سبيل المثال الأولياء المشبوهين حيث عملت الإدارة الاستعمارية.

1. فكرة تأسيس الحركة الإصلاحية (جمعية علماء المسلمين)

جاءت الفكرة حينما كان بن باديس مقيما في المدينة المنورة رفقة العلامة البشير الإبراهيمي سنة 1913 وكانا يقضيان جل وقتهما في البحث عن الوضع المتردي للجزائر، وسبيل النهوض بها، وفي ذلك يقول البشير الإبراهيمي:" وأشهد الله على أن تلك الليالي من عام 1913م هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية علماء المسلمين والتي لم تظهر إلا سنة 1931م".

بعد عشر سنوات من عودة ابن باديس من الحجاز عام 1913م، بدأ تفكيره ينصب في توسيع الخطة الإصلاحية التي شرع في تنفيذها بتعليم الناس وإرشادهم وتصحيح أمور دينهم واستتهاض همم العلماء، تأكد لديه أن معركة الدفاع عن الجزائر وعن مقوماتها لا يمكن أن يقوم بها شخص واحد أو جماعة محدودة العدد وبسلاح واحد، لذلك أخد من سنة 1924م يتطلع إلى الدخول في مرحلة جديدة تتكامل فيها وسائل العمل النضالي ويوجه فيها جهد المخلصين من أبناء هذا الوطن الواحد للتصدي

http://www.binbadis.net/index.php/benbadis/378-benbadis.html، أطلع بتاريخ 10 جانفي، 8 س و 20د.

^{1.} الشهاب، عبد الحميد الاستراتيجي، ينظر في:

لإفشال سياسة الاستعمار والقيام بواجب خدمة الوطن والدين واللغة، واصلاح الأوضاع الثقافية والاجتماعية والسعى لتحقيق اليقظة الفكرية، وبعث الشعور الوطني والوعى السياسي والديني ويدفع الحركة الإصلاحية إلى الأمام، وكان من الطبيعي أن يتطلع ابن باديس إلى استكمال الأدوات التي تحتاج إليها الحركة الإصلاحية، وتأسيس الهيئات التي تشد عضده وتعينه على أداء المهمة الثقيلة، فباشر بعد عدة لقاءات مع البشير الإبراهيمي منذ سنة 1920م تارة في سطيف وتارة أخرى في قسنطينة التي كانت تنصب على دراسة الوضع في الجزائر والبحث عن السبل الكفيلة لمعالجة هذا الوضع وبعد هذه اللقاءات الممهدة، فكر الشيخ في أن يخطو خطوة عملية تكون تمهيدا مباشر للشروع في التحضر لتأسيس هذه الجمعية التي ظلت فكرة لم تجد طريقها لتتفيذ حسب قول البشير الإبراهيمي: "زارني الأخ الأستاذ عبد الحميد بن باديس - وأنا بمدينة سطيف أقوم بعمل علمي- زيارة مستعجلة سنة 1924م، فيما ذكر أخبرني بموجب الزيارة في أول جلسة وهو أنه عقدا العزم على تأسيس جمعية باسم (الإخاء العلمي) ويكون مركزها العام بمدينة قسنطينة العاصمة العلمية... تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم، وتقارب بين مناحيهم في التعليم والتفكير وتكون صلة تعارف بينهم ومزيلة الأسباب الناكر والجفاء.

وفي تلك الجلسة عهد إلى الأخ الأستاذ أن أضع قانونها الأساسي فوضعته في ليلة وقرأته عليه في صباحها، فاغتبط به أيما اغتباط... ولما وصل إلى قسنطينة وعرض الفكرة على الجماعة الذين تكون منهم المجلس لاحقا، وأيدوا الفكرة وصادقوا على القانون بعد تعديل طفيف، إلا أن حوادث ما عطلت المشروع فأخبرني الأستاذ باديس بذلك فلم أستغرب لعلمي ان استعدادنا لمثل هذه الأعمال لم ينضج بعد.."1.

^{1.} الهادي الحسني، جمعية الإخاء العلمي، ينظر في:

http://www.echoroukonline.com/ara/articles/208374.html، أطلع بتاريخ 10–12– 2014، 9 س 20 د.

من الأعمال ما يكون الفشل فيه منا لنجاح وهذا هو ما شاهدناه في تأسيس جمعية الإخاء العلمي فقد فشلنا في تأسيسها ظاهري أو فيما يبدو للناس، ولكن المحاولات لم تذهب بلا أثر في المجتمعات العلمية الجزائرية حتى كان من نتائجها بعد اعوام جمعية العلماء المسلمين.

وهكذا بدأت الفكرة تتمو في الأذهان الذين وصلت إليهم، ومن الأمور التي هيأت الجو الفكري لهذه الجمعية هو أن بن باديس بادر بإنشاء الصحف التي تتشر الأفكار الإصلاحية والمبادئ التي تقوم عليها الأفكار حيث دعا ابن باديس في مختلف الصحف إلى اتحاد العلماء وتجمعهم والاتفاق على خطة عمل لإصلاح الأوضاع الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية، فهو يشير هنا الى ضرورة إنشاء جمعية من العلماء بعد اللقاءات الممهدة التي كانت تتم بينا بن باديس والبشير الإبراهيمي، تارة في سطيف، وأخرى في قسنطينة, التي كانت تنصب على دراسة الوضع في الجزائر والبحث عن السبل الكفيلة بمعالجة هذا الوضع, فكر الشيخ عبد الحميد في أن يخط وخطوة عملية تكون تمهيدا مباشر للشروع في التحضر لتأسيس هذه الجمعية فتوالت الجهود الممهدة لإنشاء هذه الهيئة، ويذكر الشيخ خير الدين في مذكراته أنه في عام 1928 م دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي لندوة يدرسون فيها أوضاع الجزائر، وما يمكن عمله لإصلاح هذه الأوضاع، وكان ممن لبي الدعوة من يمكن تسميتهم ب (روادا لإصلاح) أمثال: البشير الإبراهيمي، ومبارك الميلي، والعربي بن بلقاسم التبسي، ومحمد السعيد الواهري، ومحمد خير الدين، واجتمعوا برئاسة الشيخ عبد الحميد بمكتبه .وقد سطر في هذا الاجتماع برنامج يهدف إلى النهوض بالجمعية المزمع إنشاؤها، فكأن ابن باديس أراد أن يسبق الأحداث، فحدد محاور النشاط الإصلاحي، الذي تضطلع به الجمعية التي دعا إلى إنشائها. وقد سطر في هذا الاجتماع برنامج يهدف إلى النهوض بالجمعية المزمع إنشاؤها، فكأن ابن باديس أراد أن يسبق الأحداث، فحدد محاور النشاط الإصلاحي، الذي تضطلع به الجمعية التي دعا إلى إنشائها، وفعلا كان ذلك هو البرنامج الذي اتبعته الجمعية بعد ميلادها . برز خلال الفترة بين عام 1926 م إلى عام1930 م «نادي الترقي» وأصبح ذا ثقل ثقافي وتأثير جدي فكان ملتقى النخبة المفكرة سواء من كان منهم مقيماً بالعاصمة أومن كان وافداً عليها من الخارج، وكانت تلقى فيه المحاضرات والمسامرات، وتقام فيه الحفلات، وكلما جاء إلى الجزائر إلا وألقى محاضرات واجتمع بالشباب من طلبة العلم والمفكرين، فكان النادي بذرة صالحة للنهضة الجزائرية، فتكونت لجنة تحضيرية انبثقت عنها الجمعية، تولى الشيخ أحمد توفيق المدني الأمانة أما الرئاسة فأسندت لعمر إسماعيل.

2. تأسيس جمعية العلماء المسلمين.

تأسست الجمعية في وقت كانت البلاد تعيش تحت القمع والتعسف كعدم سماح المسلمين الجزائريين بممارسة دينهم بكل حرية وحرمانهم من حقوقهم الأساسية وهذا بعد أشهر قليلة من احتفال فرنسا باحتلالها للجزائر وعن مرور مائة سنة (5 جويلية1830-5 جويلية1930)، كان لميلاد هذا التيار الإصلاحي بمثابة صفعة موجعة للذين بدا لهم أنهم طمسوا الشخصية الجزائرية بالقضاء على مقوماتها (الدين الإسلامي، اللغة العربية، العادات والتقاليد)²، وكان التأسيس بالعاصمة إثر دعوة وجهت إلى كل علماء الإسلام في الجزائر، اعدت من طرف (الهيئة المؤسسة) مؤلفة من أشخاص حياديين من اعضاء نادي الترقى لا يثير ذكرهم حساسية أو شكوكا من أشخاص حياديين من اعضاء نادي الترقى لا يثير ذكرهم حساسية أو شكوكا

__________. 1. عمار طلبي، نادي الترقي وجمعية علماء المسلمين، ينظر في:

www.binbzdis.net/reseach-and-studies/aoma/573-aoma.html, consulté le 12 octobre 2014 à 20h36mn

^{2.} عيد الرحمان شيبان، جمعية علماء المسلمين، مجلة الشاب المسام، 7 ماي 2013.

لدى الحكومة، ولا عند الطرقيين. أعلنوا: أن الجمعية دينية تهذيبية تسعى لخدمة الدين والمجتمع، لا تتدخل في السياسة ولا تشتغل بها. لبي الدعوة وحضر الاجتماع التأسيسي أكثر من سبعين عالما، ومن شتى الاتجاهات الدينية والمذهبية: (مالكيين واباضين، مصلحين وطرقيين، موظفين وغير موظفين)، كما حضر الاجتماع طلبة العلم من مختلف جهات الوطن والجدير بالذكر أن ابن باديس لم يحضر الاجتماع التأسيسي للجمعية من الأول، وكان وراء ذلك هدف يوضحه الشيخ خير الدين أحد المؤسسين الذي حضر الجلسات العامة والخاصة لتأسيس الجمعية، يقول: "كنت أنأ والشيخ مبارك الميلي في مكتب ابن باديس بقسنطينة يوم دعا الشيخ أحد المصلحين (محمد عباسة الأخضري) وطلب منه القيام بالدعوة إلى تأسيس (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) في العاصمة كما كلفه باختيار ثلة من (جماعة نادي الترقي) الذين لا يثير ذكر أسمائهم شكوك الحكومة، ومخاوف أصحاب الزوايا، وتتولى هذه الجماعة توجيه الدعوة إلى العلماء لتأسيس الجمعية (في نادي الترقي بالعاصمة) حتى يتم الاجتماع في هدوء وسلام, وتتحقق الغاية المرجوة من نجاح التأسيس. ويقول الشيخ خير الدين: "وأسر إلينا ابن باديس أنه سوف لا يلبي دعوة الاجتماع ولا يحضر يومه الأول حتى يقرر المجتمعون استدعاءه ثانية بصفة رسمية، لحضور الاجتماع العام، فيكون بذلك مدعوا لا داعيا، وبذلك يتجنب ما سيكون من ردود فعل السلطة الفرنسية وأصحاب الزوايا، ومن يتحرجون من كل عمل يقوم به ابن باديس.

بعد الاجتماع العام الذي انطلق على الساعة الثامنة صادق الجميع بعد التشاور على مشروع القانون الأساسي للجمعية أ، وفي اليوم الموالي - يوم الأربعاء -على الساعة

^{1.} وضع القانون الأساسي للجمعية يوم تأسيسها يرجع إلى العلامة البشير الإبراهيمي، ينظر في: محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، ط 1، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامية، 1997، ص74-90.

الثانية بعد الزوال عقد اجتماع بقصد انتخاب الهيئة الإدارية، فاقترحت عليها جماعة فوقع الإجماع على اختيارها، وانفضت الجلسة في الساعة الخامسة مساءا. ثم اجتمع المجلس الإداري عند الثامنة من مساء اليوم نفسه وانتخب الشيخ ابن باديس رئيسا للجمعية وتم استدعائه، كونه غائباً حيث لم يحضر معهم في اليوم الأول ولا في اليوم الثاني، وفي اليوم الثالث جاء إلى الاجتماع وألقى كلمة جاء فيها:

"إخواني، إنني قد تخلفت عن جمعكم العظيم اليوم الأول والثاني فحرمت خيراً كثيراً، وتحملت إثماً كبيراً، ولعلكم تعذرونني لما لحقت في اليوم الثالث، وأذكر لحضرتكم ما تعلمونه من قصة أبي خيثمة الأنصاري لما تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم لحقه فقال الناس هذا راكب يرفعها لإل ويضعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كن أبا خيثمة، فقالوا: هو أبو خيثمة، فاعتذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل عذره ودعا له بالخير. ومثلكم من كان له في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة." هكذا كان يستلهم أقواله وأفعاله من السنة النبوية ."

الظروف والعوامل التى ساعدت على نشأت وظهور الجمعية

1. الظروف التي نشأت فيها الجمعية

- أ. مرور قرن كامل على الاحتلال الفرنسي للجزائر، واحتفال الفرنسيين بذلك، استفزازًا للأمة، وإظهارًا للروح الصليبية الحاقدة التي يضمرونها للإسلام والمسلمين.
- ب. التحضير للمؤتمر الإسلامي الذي عُقد في القدس برئاسة الحاج أمين الحسيني، في ديسمبر 1931م، الذي كان هدفه توحيد الصف الإسلامي بعد سقوط الخلافة الإسلامية. في تلك الظروف المفعمة بالتحديات، ظهرت جمعية العلماء للوجود.

2. العوامل التي ساعدت على نشأة الجمعية:

يحدد الشيخ محمد البشير الإبراهيميّ هذه العوامل فيحصرها في أربعة:

- إن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مرهون بتأثر مؤسسيها بحركة النهضة الثقافية والروحية في العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر والتي عرفت تطورا خاصة في منتصف القرن التاسع عشر، تزعم هذه الحركة جمال الدين الأفغاني (1839–1897) وهي تقوم على أفكار تدع وإلى التغيير الجذري أو الثوري والانتفاض على الاستعمار الغربي المسلط على الدول الإسلامية كان لحركة جمال الدين تأثير في ظهور حركات النهضة في عدة دول إسلامية وعربية وحتى الانتفاضات التي وقعت في الهند وتركيا ومصر، مما دفع لإنشاء إمارة جديدة، وهي

1 دولة مسلمة كبيرة في النضال ضد الغرب.

- الثورة التعليمية التي أحدثها الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه الحية.
 - التّطوّر الفكريّ الذي طرأ على عقول النّاس في قبيل الحرب العالميّة الأولى.
- عودة المثقّفين الجزائريين الذين كانوا يعيشون في المشرق العربيّ، ولا سيّما في الحجاز والشّام، وأبرزهم الإبراهيميّ، والعقبيّ .كان عبد الحميد بن باديس الأكثر تأثيرا بعد دراسته في الزيتونة بتونس، بدأ خطبه في عام 1913 في مسجد سيدي الأخضر بقسنطينة، نشر في عام 1925 صحيفة "المنتقد" التي منعتها السلطة الاستعمارية بعد ثلاثة أشهر وتم استبدالها ب "الشهاب". وبعد عودة الطيب العقبي من منطقة الشرق الأوسط، قام بتأسيس في بسكرة مجلة

¹. Souad Khaldi, Ijtihad dans la pensée de Mohamed Abduh, Editions GEDIS, France, 2012, p. 35.

"الإصلاح"، أما البشير الابراهيمي استقر في تلمسان، حيث بدأ الوعظ في عام 1933. وفي الوقت نفسه، أصدر مبارك الميلي كتابه عن تاريخ الجزائر.

ونضيف إلى هذه العوامل الأربعة التي ذكرها الشيخ الإبراهيمي، ثلاثة عوامل أخرى؛ قد لا تقل أهمية عن الأربعة؛ وهي:

- اشتداد تأثير الحركات الصوفية بالجزائر، وازدياد نشاطها، وتكاثر طرائقها حتى جاوزت العَشر، وحتى اكتسحت جميع المدن والقرى، بل البوادي أيضا، في الجزائر، فأمست تصول وتجول، فلم يكن شيء يتداول بين مستنيري الناس غير الفكر الصوفي الذي لا يجاوز سِيَر الشيوخ وكراماتهم؛ وميل أهلا لتصوف، من عوامهم خصوصاً، إلى الإغراق في الروحيّات، والكلف الشّديد بالخوض في أمور الغيب على سبيل إلى قين، والتّعلّق المثير بمَشاهد البَركة والمناقب والكرامات . - اشتداد شراسة الاستعمار الفرنسيّ، ومبالغته في محاربة اللّغة العربية والدّين الإسلاميّ والتّمكين للتخلف الذهني والشعبة لدى النّاس، وتشجيع ممارسات وطقوس فلكلوريّة ليست من الدّين الصّحيح في شيء إلى حدا الهوس فلكلوريّة ليست من الدّين الصّحيح في شيء إلى حدا الهوس المائة في أوساط الجزائريّين حيث كانت نسبة الأميّة تتجاوز ثمانين في المائة من الإناث.

3. أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

فقد جاء على لسان رئيسها: (أن الجمعية يجب ألا تكون إلا جمعية هداية وإرشاد، لترقية الشعب من وهن الجهل والسقوط الأخلاقي، إلى أوج العلم ومكارم الأخلاق، في نطاق دينها الذهبي وبهداية نبيها الأمي، الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق، عليه الصلاة والسلام.

ويختصر لنا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مهمة الجمعية بقوله: (إن المهمة التي تقوم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأدائها، وهي السير بهذه الأمة إلى الحياة عن طريق العلم والدين، هي أقوم الطرق وأمثلها وأوفقها لمزاج الأمة. يمكن ان نلخص الأهداف فيما يلى:

- إصلاح عقيدة الشعب الجزائري، وتتقيتها من الخرافات والبدع، وتطهيرها من مظاهر التخاذل والتواكل التي تغذيها الطرق الصوفية المنحرفة.
- محاربة الجهل بتثقيف العقول، والرجوع بها إلى القرآن والسنة الصحيحة، عن طريق التربية والتعليم .
- المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، بمقاومة سياسة التنصير والفرنسة التي تتبعها سلطات الاحتلال.

الصعوبات والمعوقات التي واجهة الجمعية.

لم تغفل السلطة الفرنسية عن نشاطا لجمعية، وبدأت في التضييق على أعضائها منذ عام 1933، ووضعت كافة أعضائها تحت المراقبة، ومنعت إصدار تصاريح جديدة لمدارس الجمعية.

ولما كانت الإجراءات الفرنسية ضد الجمعية بغرض تحجيم حركة الجمعية حتى يخل والطريق للصوفية، فقد واجهت الجمعية الصوفية في المساجد وبين جموع الناس، فاستيقظت الجزائر على حقيقة الصوفية الخاضعة وتهاونها مع المحتل. وكانت المواجهة الثانية مع المؤامرات الفرنسية على هوية الجزائر في عام 1936، وذلك من خلال مشروع فرنسي يجعلا لجزائر مقاطعة فرنسية، ويتم تمثيلها فبالبرلمان الفرنسي، وظن البعض أن هذا المشروع قد يكون طريقًا للحصول على بعض حقوق الجزائر المهدرة، فشارك مجموعة من الجمعية على رأسهم ابن باديس في مؤتمر جزائري فرنسي في باريس لمناقشة المشروع، وكان حضورهم بشكل شخصي حتى لا يخالفوا قانونا لجمعيات، واستطاع أفراد الجمعية

توجيه القرارات النهائية بما يحفظ للجزائر عروبته، واسلامه، وذاتيته، وصاغ ابن على المشروع في قصيدة مفحمة رده كان نجاح الجمعية في إحباط هذه المؤامرة دافعا للسلطات الفرنسية إلى أن تجد من الوسائل ما يحطم بعضًا من شخصيات الجمعية، فدفعت الطرق الصوفية العميلة إلى مهاجمة ابن باديس، حتى إنها أطلقت عليه -أي الصوفية- "ابن إبليس"! كما دبرت سلطات الاحتلال اغتيال مفتى العاصمة ابن مكحول، واتهمت الطيب العقبي بقتله، ولتحاكم الرجل أو تقبض عليه، وتركت الاتهام معلقًا، وذلك حتى تُشَوِّهَ سمعة الرجل وجمعيته، وهو ما دفع به إلى الاستقالة عام 1938 ومع قيام الحرب العالمية الثانية، طالبت فرنسا كافة الهيئات الجزائرية بتأييد موقف فرنسا، وكان ذلك تمهيدًا لإشراك الجزائريين في صفوف القتال الفرنسية، ورفضت الجمعية، وكانت المواجهة هذه المرة مع السلطة الفرنسية مباشرة، فأصدرت السلطات قرارًا بإلغاء الجمعية عام1940 ، وتوفى ابن باديس في نفس العام، وخلفه محمد البشير الإبراهيمي في رئاسة الجمعية، ولكنه اعتقل وعُذُب في عام 1941، ثم قامت سلطات الاحتلال بنفيه إلى الصحراء، وفي عام 1946 عادت الجمعية إلى النشاط بعد الإفراج عن رئيسها، ولكنها لم تعد كما كانت من قبل، انتهى الأمر بصدور قرار حل الجمعية من السلطات الفرنسية في الجزائر في منتصف عام 1956م، ولم يستطع القائمون عليها الاجتماع واعادة تنظيم أنفسهم، وخاصة متوجه الجميع للمشاركة في الثورة المسلحة التي اشتعلت منذ عام1954 م، وكانت ثمرة جميع الجهود في عام 1962م، وهي استقلال الجزائر العربية المسلمة.

4. العمل السياسي لجمعية علماء المسلمين:

لم تكن جمعية العلماء حزبا سياسيا مثل مختلف الأحزاب السياسية التي أنشئت في أوائل القرن العشرين تفهم الجمعية لمهامها وإدراكها لأعمالها ورسالتها النبيلة التي تهدف إلى نشر الأفكار التي تؤثر بعمق في المجتمع خاصة تعليم التاريخ الحديث والراهن للشعوب المسلمة، في وقت كان فيه الشعب محروم من أبسط الحقوق الأساسية، يعيش حياة الاضطهاد والإقصاء والحرمان لذا فمن الطبيعي أن مواقف الجمعية لا تميل إلى العنف، فهي ترفضه تماما، فعملها يتجه نحو الفئة الاجتماعية المحرومة بالدرجة الأولى. كما ان أعضاء الجمعية لم تواكبوا خطاب الكراهية والعنف، ولم تكن الجمعية هيئة تدفع الشعب نحو المواقف المتطرفة كالتعصب وكراهية الأجانب ورفض الأخوة.

المحاضرة الرابعة عشرة: الحزب الشيوعي الجزائري.

1. تأسيس الحزب:

ولم ينل الحزب الشيوعي الجزائري استقلاليته عن حزب الأم (الحزب الشيوعي الفرنسي) إلا بعد عقد الحزب الشيوعي الفرنسي مؤتمر فيلوربان(Villeurbanne) سنة 1935م الذي قرر جزائرية الحزب من أجل احتواء مناضلين واطارات جزائرية وكان مولد الحزب الشيوعي الجزائري بانعقاد مؤتمره التأسيسي الأول بين 17–18 أكتوبر 1936م في باب الواد وبالتالي أصبح له كيان وجهاز مستقل ولكن دائما تابع لحزب الاب(الحزب الشيوعي الفرنسي)، ولا يخفى علينا ان هذا الحزب يملك تجربة في الممارسة السياسية التي تقدر ب 16 سنة، حيث أسس خلايا في الجزائر سنة 1920م وأعلن انضمامه إلى الأممية الشيوعية.

2. نشاطه السياسى:

كان نشاطه السياسي على الساحة الوطنية كغيره من المنظمات والأحزاب في الجزائر تارة يبرز وتارة يتراجع، لتحديد موقع الحزب الشيوعي الصحيح من خلال نشاطه في الجزائر هو عمل معقد نوعا ما.

كان موقف اليسار الفرنسي من القضية الجزائرية يعرف المد والجزر بمعني متردد في مواقفه في الوطنية الجزائرية، فتارة يطالب بالإدماج واصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتارة أخرى يطالب باستقلال الجزائر.

تتبع موقف الحزب الشيوعي الفرنسي في السنوات التي سبقت الثورة الجزائرية من الحركات التحرر في المعرب أوفي

الهند الصينية، لوجدناه مساندا وداعما لهذه الحركات التحررية(1)، وكانت هناك عدة لجان تعمل من خلال هياكل الحزب تتشط في إطار النضال ضد الإمبريالية الاستعمارية، ومن أهمها⁽²⁾:

ولكننا، نجد أن هذا النضال كان يتوقف ويتلاشى إذا كان يتعلق الموضوع بالحركة الوطنية الجزائرية، مما يجعلنا نتساءل: هل مستعمرة الجزائر لا تنطبق عليها مفاهيم النضال ضد الاستعمار والإمبريالية؟، هل أن مصلحة الدولة غلبت على مبادئ الحزب، لاسيما بعد صعوده إلى الحكم؟ أم أن اللوبي الكولونيالي هو صانع القرار؟ وهل أراد الحزب من جعل قضية الجزائر ورقة سياسية يوظفها عند الضرورة؟

على العموم، من خلال تتبع تطور موقف الحزب الشيوعي من قضية الجزائر نجده انه مرتبط بمتطلبات الدور السياسي للحزب على الساحة الفرنسية، فهو كان بين الإيجاب والسلب. ويتضح ذلك جليا في موقف قيادة الحزب، والخطاب السياسي للحزب من القضية الجزائرية. ففي بداية الثلاثينات من القرن العشرين، نجد أن الأمين العام للحزب موريس تورز (M. Thorez)، أشار أمام مجلس النواب الفرنسي إلى أحقية الشعب الجزائري بنيل الاستقلال، حين قال:" من حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال والتخلص من قبضة الاستعمار "(3)، ولكن حينما وصل إلى سار إلى الحكم عام 1936، تراجع موريس توراز عن موقفه، حينما صرح خلال زيارته للجزائر سنة 1938، قائلا:" من مصلحة الجزائر أن تبقى مرتبطة

^{1.} Sylvain Patti eu, Op.cit., p. 26-27.

². Richard Laurent Omgba, la littérature anticolonialiste française de 1914-1960, éditions l'Harmattan, paris, 2004, p.113.

³. Sylvain Patti eu, Op.cit., p.27.

بفرنسا" (1). ولم يختلف موقف احد قادة إلى ساري وهو ليون بلوم (Léon Blum) ولي المدى حينما كان على رأس الحكومة الفرنسية عما أشار إليه توراز، إذ قال في احدى خطبه أمام البرلمان الفرنسي: "إن الدول المتقدمة لها الحق على الدول الضعيفة كما عليها واجبات (3). ولكن أي واجبات تلك التي يتكلم عنها، بعدما تم تشريد المجتمعات المستعمرة ونهب خيراتها. وتتجلى براغماتية موقف قادة الحزب الشيوعي من جديد، عندما صرح توراز في عام 1941، حينما كان لاجئا في الاتحاد السوفياتي، قائلا: "من حق الأقليات الوطنية والشعوب المستعمرة في الاستقلال وتسبير شؤونها بنفسها (4).

ولكن مع انتهاء الحرب العالمية الثانية انقلب الحزب الشيوعي على موقفه المؤيد لاستقلال المستعمرات، ففي أحداث 8 ماي 1945 التي شهدتها الجزائر (5)، والتي ذهب ضحيتها أكثر من 45000 شهيد. ادان الحزب الشيوعي خروج

¹. Sylvain Patti eu, Op.cit., p.27.

^{2.} رجل دولة وكاتب فرنسي، كان أول اشتراكي فرنسي يتولى رئاسة وزراء فرنسا. وُلد لعائلة يهودية تجارية ثرية في باريس، ودرس القانون في جامعة السوربون. وقد تأثر بقضية دريفوس واشترك عام 1896 في الحملة من أجل إطلاق سراحه. وكانت هذه القضية من العوامل التي دفعته إلى العمل السياسي حيث انضم عام 1898 إلى الحزب الاشتراكي وساهم في جريدته لومانيتي ككاتب وناقد أدبي. وقد أصبح بلوم بعد الحرب العالمية الأولى من الزعماء البارزين للحزب. وعمل بلوم على إعادة بناء الحزب بعد انشقاق العناصر الشيوعية عنه في عام 1920، ويُعتبر بذلك أحد المؤسسين الرئيسيين للحزب الاشتراكي الفرنسي الحديث. ونجح عام 1936 في أن يصبح رئيساً لوزراء فرنسا بعد أن نجحت جبهة واسعة من الأحزاب إلى سارية في الانتخابات. ويُعتبر بلوم من أبرز الشخصيات في الحركة العمالية الفرنسية ومن مؤسسي الدولية الاشتراكية خلال الفترة بين الحربين العالميتين. ينظر: www.Ar.wikipedia.org/wiki

³. Philipe Karim Felissi, Jacques Vergés l'anticolonialiste, entretiens avec Philipe Karim Felissi, chihab éditions, Alger, 2005, p.25.

⁴. René Dany, op. Cit.p.52.

خرج الشعب الجزائري يطالب مثل بقية شعوب المستعمرات بحقه المشروع وفق ما نص عليه الميثاق
 الأطلنطي وهو حق الشعوب في تقرير مصيرها. للمزيد من المعلومات حول الموضوع ينظر:

Roger Vétillard, Sétif, mai 1945 : massacres en Algérie, éditions de paris, 2008.

الجزائريين في مظاهرات تطالب بالحرية والاستقلال، كما أكدت اللجنة المركزية للحزب على ضرورة متابعة ومعاقبة منظمي ومسببي الاحداث. بينما نشرت صحيفة لومانيتي، الناطقة باسم الحزب الشيوعي، في افتتاحيتها بقلم ليون فيكس (Feix لومانيتي، الناطقة على الأحداث، ما يلي: "من المهم جدا أن الأدوات الإجرامية للاستيطان الكبير هو حزب الشعب الجزائري وقيادته الممثلة بمصالي الحاج والجواسيس (اتهامها قادة حزب الشعب بالوقوف وراء الانتفاضة)، هؤلاء الذين لم يفتحوا أفواههم ويحركوا ساكنا أثناء التواجد النازي، أما اليوم، يطالبون بالاستقلال، والمطلوب هو معاقبة منظمي هذه الاضطرابات (۱۰).

وكان موقف الحزب الشيوعي أكثر وضوحا في المقال الذي نشره أحد قادته، وهو ليون فيكس في مجلة دفاتر الشيوعية (Cahiers du Communisme) (2) عام 1947 حينما عبر عن تمسكه بفكرة بقاء الجزائر فرنسية ومعارضته المطلقة لاستقلال الجزائر، إذ كتب يقول: «إن استقلال الجزائر ليس مرغوب فيه ولامحتم ويقدم كحل خاطئ، وهو طرح مرفوض من طرف الشيوعيون: إن أطروحة استقلال العاجل للجزائر التي يتبناها حزب الشعب الجزائري تؤدي إلى أسوأ انتكاسات. كما أن الشيوعيين لا يساندون مطالب الحركة الوطنية الجزائرية في الوقت الحالي لان هذه المطالب لا تخدم الجزائر ولا فرنسا معا"(3).

¹. Laurent Theis et Philippe Ratte, la guerre d'Algérie ou le temps des méprises, maison Mame, Tours, premier trimestre 1974, p. 66

². مجلة شهرية تصدرها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي، بدأت في الصدور سنة 1923 وتوقفت عن الصدور سنة 2000.

³. Jean-Pierre Vernant, le PCF et la question Algérienne (1959), voies nouvelles, n°9, 1959, p.7.

المحاضرة الخامسة عشرة: مشروع بلوم فيوليت.

1. ظروف نشأة مشروع بلوم فيوليت:

- اعادة احياء المبادرة الإصلاحية لموريس فيوليت للوجود ثانية في عهد الجبهة الشعبية في أكتوبر 1936م بعد ان طرحها على البرلمان الفرنسي سنة 1935م والمتمثلة في مجموعة من الاصلاحات اهمها منح المواطنة للنخبة الجزائرية دون التخلي على الاحوال الشخصية ليدافع عن هذا الطرح ويبن ان معاناة الشعب الجزائري ليس بسبب الازمة الاقتصادية وانما كذلك ازمة نفسية بسبب النظام الذي يقتل المجتمع الاهلي شيئا فشيء 1.
- تتامي نشاط الحركة الوطنية رغم الضغوط، حيث استمر حزب نجم شمال افريقيا في نشاطه السياسي ورفع مجموعة من لمطالب خاصة بعد عود مصالى الحاج من جنيف سنة 1936 م منها تكوين برلمان جزائري
- رفع المؤتمر الاسلامي مجموعة من المطالب في ميثاق حيث عرضه لجنة المؤتمر في شكل ميثاق وهو ما جعل الحكومة الفرنسية ان تقدم مشروع قانون خاص لطرحه على البرلمان.

محتوى المشروع:

وقد تضمن ثمانية فصول الفصل الأول – يتاح للأهالي الجزائريين الفرنسويين بالعمالات الثلاث بالقطر الجزائري، الذين تتوفر فيهم الشروط المبينة بالفقرات الآتية التمتع بالحقوق السياسية التي الخاصة بالفرنسويين بدون أن ينتج عن ذلك

¹ Julien Fromage: L'Algérie vivra-t-elle? Ou projet Blum Violette au temps du front populaire, mémoire de fin d'étude, université Lyon 3, juin 2003, p17.

أي تغيير في حالتهم الشخصية أوفي حقوقهم المدنية وهذا بصورة نهائية ما عدى تطبيق التشريع الفرنساوي الخاص بزوال الحقوق السياسية.

أولا _ الأهالي الجزائريون الفرنسويون الذين بارحوا الجيش برتبة ضابط.

ثانيا _الأهالي الجزائريون الفرنسويون من صغار الضباط الذين بارحوا الجيش برتبة" باش شارش" أو برتبة فوقها بعد أن خدموا العسكرية مدة خمسة عشر عام وبعد أن خرجوا منها بأيديهم شهادة حسن سيرة.

ثالثا _ الأهالي الجزائريون الفرنسيون الذين قضوا خدمتهم العسكرية وحصلوا جميعا على الوسام العسكري وعلى صليب الحرب.

رابعا _ الأهالي الجزائريون الفرنسويون الذين بأيديهم إحدى الشهادات العليا الآتية.

شهادة التعليم العالي وبكالوريا التعليم الثانوي وشهادة (البروفي) العليا و (البروفي) الثانوية وشهادة المدارس وشهادة الخروج من مدرسة وطنية للتعليم الصناعي أو الفلاحي أو التجاري وكذلك الموظفون الذين وقع انتخابهم في وظائفهم بمناظرة.

خامسا _الأهالي الجزائريون الفرنسويون المنتخبون بالحجرات التجارية والفلاحية أو المعينون من طرف مجلس إدارة جهة اقتصادية ومن طرف الحجرات الفلاحية بالقطر الجزائري على الشروط المبينة في القصل الثاني.

سادسا _الأهالي الجزائريون الفرنسويون الأعضاء بالمجلس المالي وبالمجالس العامة والمستشارون البلديون المباشرون لمهمتهم ورؤساء الجماعات الذين باشروا وظيفتهم خلال مدة المهمة.

سابعا _ الأهالي الجزائريون الفرنسويون الباشاآغاوات والآغوات والقياد الذين باشروا وظيفتهم مدة لا تقل عن الأربعة أعوام.

ثامنا _ الأهالي الجزائريون الفرنسويون المحرزون على الصنف الثاني من وسام اللجيون دونور Légion d'honneur الذين أحرزوا على أصناف ذلك الوسام بالطريقة العسكرية.

تاسعا _ العملة الذين أحرزوا على وسام الشغل وكتبه نقابات العملة المعينون بصورة نظامية بعد مباشرة وظائفهم مدة عشرة أعوام.

الفصل الثاني __ إن مجلس إدارة الجهة الاقتصادية بالقطر الجزائري سيعين بأحدي دوراته التي ستعقب تطبيق هذا القانون 200 تاجر أو صانع أو عامل من كل عمالة جزائرية وعندما تعطي لهم الحقوق السياسية الممنوحة بالفصل الأول من هذا القانون بقرار من الوالي العام وستعين الحجرات الفلاحية بالقطر الجزائري كل واحد علي نفس الشروط لنفس، الغاية 200 فلاح بالدورة الأولى من كل سنة من السنوات التي ستعقب هذا القانون

وإن مجلس إدارة الجبهة الاقتصادية بالقطر الجزائري سيعيش على نفس الشروط آنفا 50 تاجرا أو عاملا من كل عماله وأن الحجرات الفلاحية الثلاث ستعين كل واحدة على نفس الشروط ولنفس الغاية خمسين فلاحا.

الفصل الثالث – أن الأحكام المنصوص عنها بقانون 2 فيفري 1852 الفصلية 15 و 16 وكذلك كل عزل وقع إزاء أصحاب الوظائف المنصوص عنها بالفصل الأول بالعددين 6 و 7 وكذلك تشطيب الاسم من جرائد اللجيون دونور d'honneur والوسام العسكري تقضي بكامل الحق تشطب من الجرائد الانتخابية.

186

^{1.} أمولف مجهول: آثار الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (متفرقات)، ج6، سحب للطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص 177

الفصل الرابع – يمكن لكل أهلي جزائري فرنسي متمتع بنصوص هذا القانون أن يسحب منه التمتع بنصوص هذا القانون أن يسحب منه التمتع بالنصوص المذكورة آنفا بتطبيق ما تضمنه الفصل والفقرة من قانون 10 أوت 1927.

الفصل الخامس _ ليس لما تضمنه هذا القانون أي مفعول فيما مضى ولا ينطبق إلا على الأهالي الجزائريين الفرنسويين الذين تتوفر فيهم الآن أو ستتوفر فيهم في المستقبل الشروط المبينة.

الفصل السادس _ ستحقق نيابة الجزائر بمجلس الأمة على حساب نائب بالنسبة لـ 70000 ناخب مرسومة أسمائهم أو قسم لـ 20000. وكلف وزير الداخلية بتنفيذ هذا القانون¹.

ما هي وجهة نظر كل من النخبة وقادة المسلمين وفرنسي الجزائر وفرنسي فرنسا من الاندماج. كيف يرون الوضع في البلاد ومستقبلها؟

2. المواقف المختلفة من المشروع:

موقف الحركة الوطنية: تعددت الآراء والمواقف بين مؤيد ومعارض ومحافظ.

- موقف النخبة: لقد مثل الطرف المؤيد لجماعة النخبة، حيث وجد المشروع قبولا ودعما في ارتباط الطبقة المثقفة، اذ رحبت بالمشروع واعتبرته خلاصها وخلاص الجزائريين من حالة الاهلية.
- موقف الحزب الشيوعي الجزائري: هو الآخر ايد هذا المشروع باعتباره يدخل اصلاحات على الشعب الجزائري ويعتبره أول خطوة لتحرير الجزائر وكذا أول خطوة للتقارب والتأخى بين المسلمين والأوروبيين.

 $^{^{1}}$ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 178...

- موقف جمعية العلماء المسلمين

. تمثلت في إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية حيث تضمنت النقاط الأولى منه منح فئات من الأهالي حق المواطنة الفرنسية، وخص منهم بالذات الفئات التالية ● :التي اشتغلت بالفرنسي ويتعلق الأمر – 1 : الأهالي الذين أنهوا الخدمة العسكرية برتبة ضابط – 2 .الأهالي الذين غادروا الجيش، برتبة رقيب أول أو رتبة أعلى منها بشرط ان يكونوا خدموا في الجيش مدة 15 سنة ونالوا شهادة حسن السلوك – 3 .الأهالي الحائزون على ميدالية عسكرية أو صليب الحرب – 4 (Croix(Guerre) أصحاب رتبة جوقة الشرف أو الذين عملوا على لنيل مرتبة من رتبها بشرط أن يكون نيلها أثناء اداء العسكرية ● .بينما خص بهذا المشروع فئة ثانية من الأهالي، وهي الفئة الحائزة على إحدى الشهادات الآتية: 1) بمنح الحقوق السياسية لفئة محددة من المسلمين الجزائريين فيوليت، يهدف إلى منح الجنسية الفرنسية لفئة محددة من المسلمين الجزائريين وهي النخبة أي من له مستوى تعليمي إلا أن المشروع لم يعرض للتصويت عليه أمام البرلمان ولكن عرف مناقشات ساخنة.

المحاضرة السادسة عشرة: المؤتمر الإسلامي.

انتصر اليسار في فرنسا، وتشكلت حكومة الجبهة الشعبية برئاسة "ليون بلوم¹"، وعليه، تطلع الكثير من الجزائريين وعلّقت آمالا على إصلاح أوضاعهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، خاصة بعد ان طرحت حكومة اليسار الفرنسي مشروع "بلوم فيوليت"، ولذا فالمؤتمر الإسلامي جاء من أجل مناقشة هذه الاقتراحات التي طرحها المشروع السابق، والخروج بمطالب موحّدة للشعب الجزائري، خاصة قضية التعليم والشغل والتمثيل النيابي وحرية الصحافة وممارسة الشعائر الدينية وإلغاء القوانين الاستثنائية وغيرها من الحقوق التي كان يصبوا إليها الشعب الجزائري، الذي عانى أكثر من قرن من السياسة الفرنسية التي سلّطت عليه في جميع الميادين والمجالات، من تقتيل وتجهيل وتهجير وتغريب وفرنسة وتجويع، وطمس لهويته و معالم شخصيته.

وتتلخّص مطالب "المؤتمر الإسلامي" في المساواة بين الفرنسيين والجزائريين في الحقوق والواجبات، وفي جميع الميادين والمجالات، ومن أهم القرارات التي خرج بها المؤتمر ما يلي:

- المطالبة بأن يكون الانتخاب في صندوق مشترك واحد بين الجزائريين والفرنسيين.
 - إلغاء قوانين "الأنديجينا" (الأهالي) بصفة نهائية.
 - الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية للقطر الجزائري.
- محافظة الجزائريين من الفئة الأولى الذين يدخلون الانتخابات على حالتهم الشخصية الإسلامية، وأن لا يعتبروا مجنسين.

¹ Abderrahmane Kiouane, moments du mouvement national, édition Dahlab, Alger, p43.

⁻ Bennoune, Op.cit, p 79.

- تمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي.
- إصدار عفو عن المعتقلين السياسيين.

انطلقت الاجتماعات التمهيدية للمؤتمر «بنادي الترقي" في17 ماي 1936م، وترأس الاجتماع "الأمين العمودي"، وبحضور «ابن جلول" والشيخ "ابن باديس "، ثم جاء اجتماع 1936 جوان 1936م بنفس النادي، جمع أنصار المؤتمر من شبان العمالات الثلاث ، وغزت الجزائر العاصمة في 1936 جوان 1936م وفود من مختلف جهات الوطن والتقت بقاعة "الماجستيك" (الأطلس حاليا)، قدّر عددها من ستة إلى سبعة آلاف شخص، وامتلأت القاعة عن آخرها والباقي في الطرقات ولأنهج 1936، وقد المؤتمر برئاسة الدكتور "ابن جلول" بالتوافق الجماعي، وتألف مكتب المؤتمر من:

- مثل العاصمة الدكتور "عبد الوهاب" و "تامزالي "، وهما نائبان ماليان، بالإضافة إلى "محمد الطاهر الطيار" و "العبدي عبد الرحمان بوكردان"، وهما نائبان بلديان.
- أما قسنطينة فقد مثلها "عبد الرحمان بن خلاف والدكتور "سعدان و "فرحات عباس".
- وهران مثلها "محمد بن سلمان" (النائب البلدي بتلمسان، ونائب رئيس جمعية النواب بوهران)، بالإضافة إلى "د. الجيلالي بن التوهامي" و "محمد لولات" وهما النائبان البلديان.

أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فمثلها الشيخ "عبد الحميد ابن باديس" والشيخ "البشير الابراهيمي" و"الطيب العقبي"، وتم الاتفاق على تمثيل كل عمالة

قداش، تاريخ الحركة الوطنية، ج01، ص001.

²محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي الجزائري، دار هومه، الجزائر، 2007م، ص 441.

 $^{^{5}}$ فرحات عباس، ليل الاستعمار، ص 3

بعضو ("ابن التوهامي" عن وهران، "عبد الوهاب" عن الجزائر، "فرحات عباس" عن قسنطينة أن وخطب هؤلاء الثلاثة في الجماهير، بالإضافة إلى "سعدان" و"ابن بالإسالمي واللغة العربية.

أما النواب والشبان فتطرقوا إلى الارتباط بفرنسا، وقد ختم المؤتمر جلساته بالموافقة الجماعية على قراراته، وتم تأسيس لجنة تتفيذية للقيام بهذه الأعمال، وفي المساء اجتمع النواب ورؤساء اللجان "بنادي الترقي"، وأسسوا لجنة مؤقتة تتكون من تسعة أعضاء (ثلاثة من النواب، وأمثالهم من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن الشبان²)، وضمت "ابن جلول" و "المحامي طالب"، "بن عبد السلام"، "محمد خير الدين" و "ابن الحاج بوشامة" و "عبد الله"، كما تقرّر تشكيل لجان المؤتمر في المدن الكبرى بالعمالات الثلاث، وهذه اللجان من أجل دعم المؤتمر.

ثم جاء اجتماع 05 جويلية 1936م "بنادي الترقي" وحضره النواب المندوبون من أجل تشكيل لجنة تتفيذية، وسلّمت الملفات إلى "ابن الحاج"، "الأمين العمودي" و"أوزقان"، لأنهم يقيمون بالعاصمة، على أن يسلموا هذه الملفات إلى اللجنة التنفيذية³.

وبعد الانتهاء من أشغال المؤتمر تم تعيين وفد المؤتمر للسفر إلى فرنسا عن طريق البحر، وضم الشخصيات التالية:

أ- عن الجزائر العاصمة: "الشيخ العقبي"، "حمزة فرشوخ"، "البشير بن الحاج".

ب- عن وهران: "الشيخ الإبراهيمي"، "باشطارزي"، "بوشامة"، "قاضي طالب".

²عبد النور خيثر، الدور السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مجلة الحوليات، مخبر التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، ص72.

أقداش، جزائر الجزائريين، ص 315.

الميلي، المؤتمر الإسلامي، ص 447.

ج- عن قسنطينة: "الشيخ ابن باديس"، "ابن جلول"، "فرحات عباس".

د- عن الجنوب: "الدكتور سعدان"، "الأمين العمودي".

حضرت جموع كثيرة لتوديع الوفد، وألقى خلالها "الشيخ محمد العيد آل خليفة" قصيدة، وسافر الوفد في 18 جويلية 1936م، وهو يتكون من 18 عضوا، وبعد وصوله إلى فرنسا، انطلق في مشاورات مع المسؤولين الفرنسيين، فقابل "موريس فيوليت" و "ريجيس" (نائبا عنه)، ثم كاتب وزير الداخلية "أوبو".

وتوالت الزيارات إلى الوزير "فيوليت" ورئيس الوزراء "بلوم"، كما تمت مقابلة "مصالي الحاج" (رئيس نجم شمال إفريقيا أ)، و"الشيخ عبد الحميد ابن باديس" ورفاقه، وخرج الاجتماع بدون اتفاق، وحاولوا إقناعه بان المؤتمر لا يعني الإدماج، فهو تجمع لقوى الشعب الجزائري من أجل خوض المعركة، ولم يستقبل الوفد من قبل وزير الداخلية الفرنسي، بسبب غيابه و ناب عنه مدير مكتبه، الذي صرّح بأنه لا يعارض مطالب الوفد، لكنه سوف يعارضهم إن عرضت على البرلمان، وتمستك الوفد بالحفاظ على مبدأ الشريعة الإسلامية، كما وقف النواب الاشتراكيون مع المطالب وعارضها الجناح "الراديكالي "، وفي الأخير عاد الوفد بخفي حنين، فارغ إلى دين من فرنسا.

استقبله الجزائريون استقبال الأبطال في المرسى بالجزائر العاصمة، وتوجه إلى "نادي الترقي" وسط الحشود والجماهير، وبشرفة النادي ألقى كل من "ابن جلول" و"العقبى" كلمتيهما، فالأول تكلم بالفرنسية، أما الثاني فبالعربية، وهما شخصيتان من

أمحمد قنانش، المسيرة الوطنية أحداث 08 ماي 1945م، منشورات دحلب، ص25.

⁻ شارك في المؤتمر الإسلامي فروع عن النجم، مثل "فرع تلمسان" و "فرع مستغانم"، كما أرسلت برقية من فرنسا عن الشمال الإفريقي، تضمنت تحية أخوية للمؤتمر الإسلامي، تأييد أو مصادقة على المطالب المفيدة لتحسين حالة الشعب، للمزيد انظر مرزوق، قنانش، ص 100.

تيارين مختلفين، استطاع المؤتمر ان يجمعهما، وتلخصت كلمة "العقبي" في الشرح للجماهير عن تحركات ونشاطات الوفد بفرنسا، بعدها عقد اجتماع عام بالملعب البلدي ببلكور (ملعب 20 أوت حاليا ببلوزداد الجزائر العاصمة) في 02 أوت البلدي ببلكور (ملعب التي جندتها الصحف والجرائد في دعوتها، واكتظ الملعب البلدي عن آخره، وحضر الوفد من العلماء والشيوعيين والنواب، كما حضر "النجم" ممثلا به "مصالي الحاج" الذي خصص له مكان بين الوفد، وخطب في الجماهير "عمر أوزقان"، "بوكردانة"، "ابن باديس «،»الإبراهيمي"، وتكلم هذان الأخيران بالعربية والباقي بالفرنسية، وكانت التظاهرة قد انطلقت على الساعة السابعة والنصف صباحا وانتهت على الساعة الحادية عشر والربع صباحا.

واستغل "مصالي الحاج" الفرصة وخطب في الجماهير، حيث أيد بعض مطالب المؤتمر خاصة المساواة الفرنسيين والجزائيين، إلا أنه رفض ضمّ وإلحاق الجزائر بفرنسا، ودامت خطبته أكثر من 20 دقيقة، تكلم بالعربية في البداية ثم بالفرنسية.

رغم أن المؤتمر لم يحقق مطالبه إلا أنّه استطاع أن يجمع مختلف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، وهو أكثر ما تخافه فرنسا "وحدة الجزائريين"، ورغم أن دعاة الاستقلال الممثلين بالنجم ورئيسه "مصالي الحاج" لم يكن طرفا في هذا التجمع، إلا أنه أشرك فيه، من خلال محاورته ومناقشته وحضوره في الاجتماع بالملعب البلدي، فهذا الحوار والمناقشة هي أشياء إيجابية من أجل تبادل الآراء والأفكار وتقريب وجهات النظر، للخروج بأرضية مشتركة، لأنه من الصعب أن تجمع كل تيارات

أمريوش، العقبي، ص 142.

الحركة الوطنية الجزائرية سنة 1936م، وهم من إيديولوجيات متناقضة تماما، ول ولم يحسب أي حسنة لهذا المؤتمر لكان ما أشرنا إلى ه سابقا من الحسنات.

وبعده انهار الحلف المؤقت بين الإدماجيين والشيوعيين ودعاة الإصلاح، وظهرت فرنسا على حقيقتها سواء حكمها اليمين أو اليسار، وما طرحته من مشاريع إصلاحية هي مبادرات فارغة لكسب الوقت وتفتيت لحمة الجزائريين، وقد انتقد الأستاذ "مالك ابن نبي "مشاركة الجمعية في هذا المؤتمر، لكن الأستاذ "احمد توفيق المدني " برر المشاركة من أجل المحافظة على الشخصية الإسلامية للشعب الجزائري، ولتضيف مطالبها لبرنامج المؤتمر. ومنه، فهذا الأخير هو حلقة من حلقات الكفاح والنضال، التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، ولبنة من لبنات الوحدة، التي جمعت مختلف أقطاب الحركة الوطنية الجزائرية، وهو الذي حرك الساحة السياسية سنة 1936م.

ابن نبي، المذكرات، ص 1

²المدني، هذه الجزائر، ص 170.

خاتمة:

من خلال برنامج محاضرات تاريخ الجزائر المعاصر يتمكن الطلب من الالمام بالإطار العام لتاريخ الجزائر من بداية الاحتلال الفرنسي إلى غاية 1954. جملة من المواضيع التي تسلط الضوء على مختلف المراحل بداية من الوضع العام للجزائر قبيل الاحتلال الذي يبين لنا الأسباب الحقيقية للضعف السياسي والعسكري والاقتصادي الذي مهد الطريق امام فرنسا لاحتلال الجزائر. كما يبين للطالب حب الجزائريين لا رضهم بالوقوف امام الجيوش الفرنسية والدفاع عنها وتحدي الاستعمار بإمكانيات بسيطة ودون خبرة عسكرية تذكر فصنع الشعب الجزائري بزعاماته بطولات خالدة خلال فترة المقاومة العسكرية المسلحة في شتى مناطق الجزائر. ثورات شعبية أخرجت إلى نور زعماء على غرار الأمير عبد القادر الذي أسس جيش عصرى في إطار الدولة الجزائرية الحديثة.

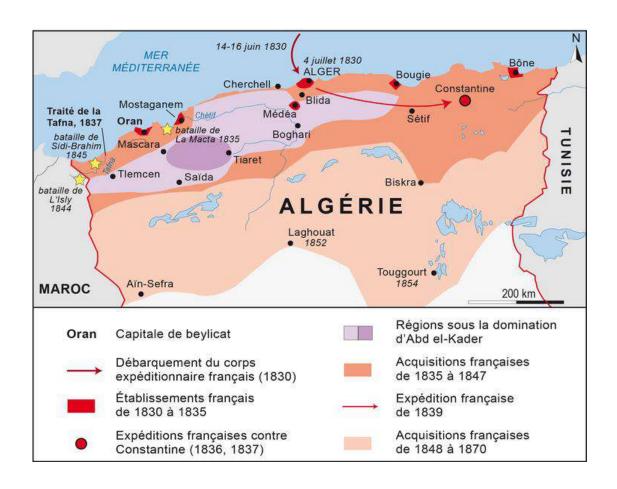
كما يطلع الطالب على السياسة الاستعمارية الفرنسية في مطلع القرن العشرين وما واكبها من نشاطات سياسية أدخلت في اطار المقاومة السياسية بمختلف التيارات التي تجسدت في أحزاب وجمعيات مما استوجب دراسة مطالبها بين 1926 و1939 وأهدافها على غرار نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان لها دور إصلاحي بأبعاد سياسية وطنية التي تجسدت عن طريق اصلاح الدين والاهتمام بالتعليم وتكوين إطارات وطنية كان لها شان عظيم في التحضير للثورة التحريرية والمشاركة في الكفاح المسلح مع مطلع سنة عظيم في التحضير للثورة التحريرية والمشاركة في الكفاح المسلح مع مطلع سنة

ستة عشرة محاضرة استعرضت اهم الاحداث التي عرفتها الجزائر منذ بداية الاحتلال إلى غاية عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة 1939 التي عرفت قمع للحريات وتجميد النشاط السياسي ومن الجزائريين من الاستفادة من الحدث العالمي، إلا ان

حاجة الحلفاء إلى الدعم البشري جعل فرنسا تلجأ إلى تجنيد الجزائريين وفق قانون التجنيد الإجباري لعام 1912 وإغرائهم بوعود الحرية والاستقلال لتجنيد أكبر عدد منهم وهذا ما اغتتمته الحركة الوطنية لطرح مطالبها من خلال بيان الشعب الجزائري لعام 1943.

الملاحق

أصبحت دولة الأمير سنة 1839 إلى 1841م ذات امتداد كبير (ايالة الجزائر بالتقريب) والخريطة التالية تعكس ذلك:



قائمة المصادر والمراجع

أولا: باللغة العربية

1- المصادر:

- أفندي الجزائري أحمد، كيف دخل الفرنسيون الجزائر، دار الكتاب الجديد، 1962م.
- الإبراهيمي محمد البشير، في قلب المعركة، ط01، دار الأمة، الجزائر، 1997م.
- آل خليفة محمد العيد، ديوان محمد العيد، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1967م.
- بن العقون عبد الرحمان إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920م 1986م، ج01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- بن العقون عبد الرحمان إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920م 1984م، ج02، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أب والقاسم سعد الله، ط01، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015م.
- سجل صالح باي للأوقاف 1771م 1792م تقديم وتحقيق فاطمة الزهراء قشى، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي، ترجمة أب والعيد دودو، الجزائر عاصمة الثقافة، 2007م.

- عباس فرحات، الفكر السياسي الجزائري 1830م 1962م ليل الاستعمار، ترجمة أب وبكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2006م.
- قنانش محمد وقداش محفوظ، نجم الشمال الافريقي 1926م 1937م، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
- قنانش محمد، أحداث الثامن ماي 1945م، منشورات دحلب، حسين داي، الجزائر، 1991م.
- المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2009م.
- المدني أحمد توفيق، هذه الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2009م.
- المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج01، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2009م.

2- المراجع:

- أجرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871م إلى اندلاع حرب التحرير، ط01، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 2008م.
- بو صفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931م 1945م، ط01، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1982م.

- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط00، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2005م.
- بوعزيز يحيى، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1930م - 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
- بوعزيز يحيى، ثورات الجزائر في القرن 19 والقرن 20، ج00، منشورات المتحف الوطني المجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الرويبة، الجزائر، 1996م.
- بوشامة كمال، الجزائر أرض عقيدة وثقافة، ترجمة محمد المعراجي، دار هومه، الجزائر، 2007م.
- بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830م 1954م وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010م.
- برفيليي غي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880م 1962م، دار القصبة، الجزائر، 2007م.
- بن خليف عبد الوهاب، تاريخ الحركة الوطنية في الجزائر من الاحتلال إلى الاستقلال، ط02، دزاير أنف وللنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2017م.
- بوشيخي الشيخ، الحركة الوطنية والثورة الجزائرية 1954م 1962م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2018م.
- بوزياني الدراجي، العصبية القبلية، دار الكتاب العربي، ط01، الجزائر، 2003م.
- بركات أنيسة، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، المتحف الوطني للمجاهد.

- بلحاج صالح، الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1910م 1939م، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، 2018م.
- حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ط10، دار الهدى، 2008م.
 - دويدة نفيسة، النخبة الجزائرية مسار وأفكار، منشورات تالة، الجزائر، 2014م.
- زوز وعبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830م 1900م، موفم للنشر، الجزائر، 2009م.
- زوز وعبد الحميد، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1919م 1939م، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007م.
- الزبيري محمد العربي، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- سحلي محمد الشريف، الأمير عبد القادر، ترجمة محمد يحاتين، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 2012م.
- سعد الله أبوالقاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج01، ط03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.
- سعد الله أب والقاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج02، ط03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.
- سعد الله أب والقاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م 1954م، ج05، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2007م.

- سعد الله أب والقاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م 1954م، ج80، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2007م.
- سعد الله أب والقاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج02، منشورات دار الآداب، بيروت، لبنان، 1969م.
- سعد الله أب والقاسم، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر 1830م 1962م، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007م.
- سعيدي مزيان، النشاط التبشيري للكاردينال لا فيجري 1867م 1892م، ط01، دار الشروق، الجزائر، 2009م.
- شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800م 1830م، ط01، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 2011م.
- شريّط عبد اللهو الميلي محمد، الجزائر في مرآة التاريخ، ط01، مكتبة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1965م.
- الصديق محمد الصالح، قاهرة الاستعمار، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر،2011م.
- العسلي بسام والزبيري محمد العربي، الحزب الشيوعي الجزائري تاريخ وخيانات، منشورات الطليعة العربية، تونس.
 - العسلى بسام، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، ط02، دار النفائس، 1984م.
- العربي إسماعيل، الأمير عبد القادر الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1984م.
 - العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية، فسنطينة، الجزائر، 1985م.

- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ عامة ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج01، دار المعرفة، باب الواد، الجزائر، 2008م.
 - عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر ، دار ريحانة ، القبة ، الجزائر ، 2002م .
 - عمراوي أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية
 - 1844م 1918م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م.
- فركوس صالح، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي المقاومة المسلحة 1830م 1962م، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 2012م.
- قداش محفوظ، جزائر الجزائريين 1830م 1954م، ترجمة محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 2008م.
- قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919م 1939م، ج01، ط01، ترجمة أمحمد بن البار، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، 2008م.
- قنان جمال، مظاهر ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطنى للمجاهد، الجزائر، 1994م.
 - الميلي محمد، المؤتمر الإسلامي، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، 2007م.
- مرقص إلياس، تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي، ط01، منشورات دار طليطلة، بيروت، لبنان، 1964م.
 - منير شفيق، الدولة والثورة، ط01، الدار البيضاء، المغرب، 2001م.
- مقلاتي عبد الله، المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830م 1962م، منشورات سيدي نايل، 2013م.

- مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر 1830م 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014م.
- منور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19، دار المعرفة، باب الواد، الجزائر، 2006م.
 - مرزوق خالد، مذكرات قنانش، الدار العثمانية، الجزائر، 2016م.
- مراح محمد، باعزيز بن عمر حياته وفكره الإصلاحي، ط01، منشورات الحبر، الجزائر، 2010م.
 - مريوش أحمد، محاضرات في تاريخ الجزائر وردود أفعال المقاومة الوطنية
 - 1818م 1914م، ج01، دار كنوز الحكمة، بن عكنون، الجزائر، 2018م.
- هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830م 1962م، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995م.
- الوزير محمد السيد، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

ثانيا: قائمة المصادر والمراجع باللغة الفرنسية

- Bennoune Mahfoud, **Eakbia un siècle d'histoire algérienne_(1857-1975)**, Edition n° 2229, O.P.U, Ben Aknoun, ALGER.
- Benjamine Stora, **Algérie histoire coutumes pourne (1830-1988),**C.E.A.
- Benallage Chouia Nora, **Algérie du mouvement ouvrier et question national (1919- 1954),** O.P.U, Ben Aknoun, ALGER, 2010.
- Kaddache Mahfoud, L'EMIR KHLED, Documents et Témoignages pour servir à l'étude du : NATIONALISME ALGERIEN, O.P.U, Ben Aknoun, ALGER, 2009.

- Jean-Pierre Vernant, **le PCF et la question Algérienne (1959)**, voies nouvelles, n°9, 1959
- Kiouane, Abderrahmane, **Moment du mouvement national**, édition Dahlab, Alger.
- Mohamed Lebdjaoui, **Vérités sur la révolution Algérienne**, Gallimard, paris ; 1970
- Theis Laurent et Philippe Ratte, la guerre d'Algérie ou le temps des méprises, maison Mame, Tours, premier trimestre 1974.
- Vernant Jean-Pierre, le PCF et la question Algérienne (1959), voies nouvelles, n°9, 1959

3- الرسائل الجامعية:

- بن جبور محمد، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الأمير عبد القادر 1830م-1847م من خلال وثائق الأرشيف المغربي، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2012م- 2013م.
- بن الشيخ حكيم، دور الأمير خالد في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين 1912م-1936م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001م 2002م.
- بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم 1826م 1848م، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1990م 1991م.
- سعيدي خير الدين، المجاعات والأويئة في الجزائر خلال العهد العثماني 1700م-1830م، رسالة دكتوراه، جامعة قالمة، 2018م 2019م.
- الزاهي محمد، الأوقاف في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية 1830م 1870م، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2014م 2015م.
- العبيدي صباح، الجزائر بين سنوات الحرب العالمية الثانية 1939م- 1945م، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، العراق، 2013م.

- الغول الطاهر، مفهوم الدولة الجزائرية في فكر الحركة الوطنية 1919م 1954م، رسالة ماجستير، جامعة الوادي، 2013م 2014م.
- مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها 1792م- 1830م رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 02، 2009م 2010م.

Fromage Julien: L'Algérie vivra-t-elle? Ou projet Blum Violette au temps du front populaire, mémoire de fin d'étude, université Lyon 3, juin 2003